

كلمة شكر وتقدير

يسرني أن أوجه شكري الخالص وتقديري الكبير لمن نصحتني وأرشدني ووجهني لإنجاز هذا البحث. وهنا أعني بالدرجة الأولى أستاذتي الفاضلة الدكتورة أسماء بنعدادة التي لم تذخر جهداً في مساندتي وإرشادي، طيلة ست سنوات من البحث، وذلك من خلال مواكبة تفاصيل هذا المشروع العلمي من البداية إلى النهاية. فلها يرجع الفضل الكبير في تمكني من إنجاز وتقديم هذه الأطروحة الجامعية.

كما أشكر كل الأطر التربوية والإدارية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية -ظهر المهراز- وأخص بالذكر أساتذة شعبة علم الاجتماع لدعمهم المتواصل ولمجهوداتهم المبذولة في سبيل توفير ظروف ملائمة للطلبة من أجل تسهيل مأموريتهم في مجال البحث العلمي ولاسيما تنظيم سلسلة من التكوينات المهمة والمفيدة كان لها الأثر الايجابي على تقدم أعمال البحث.

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول البحث مشكلة محددات السلوك الاستهلاكي الغذائي وتحولات العادات الغذائية بالريف الشرقي. وذلك بهدف وصف وتحليل ملامح التحول والثبات في الممارسات والسلوكيات الغذائية لمجتمع البحث، مع إبراز آثاره على المستوى الصحي والبيئي. وللتأكد من فرضيات البحث، اعتمدنا على أدوات منهجية متعددة تجمع بين المنهجين الكمي والكيفي:

-تقنية المقابلة مع أربعون مبحوث ومبحوثة لسبر أغوار العادات الغذائية في حياة المبحوثين، بواسطة استقزاز واستنطاق ذاكرتهم الجماعية، وهي محاولة تهدف إلى تحليل السلوك والفعل الغذائيين في الماضي.

-الملاحظة بالمشاركة في أربعة أسواق أسبوعية تنتمي للمجال الترابي لإقليم الناظور، وذلك لرصد بعض السلوكيات وردود الأفعال والتفاعلات بين الفاعلين الاجتماعيين داخل الفضاء الاجتماعي الغذائي ومظاهر التحول الذي عرفه السوق الأسبوعي.

-ثم الاستثمار كتقنية تهدف إلى إظهار بعض الجوانب من الممارسات الغذائية المستجدة والمميزات الجديدة لنمط الاستهلاكي الغذائي لمجتمع البحث في الفضاءين العام والخاص. وقد تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للمعطيات، وذلك لدى عينة عشوائية قوامها 219 مبحوث (ة)

وقد خلص البحث إلى نتائج مهمة نذكر منها :

خضعت العادات الغذائية بالريف الشرقي لسلسلة من التحولات والتغيرات الثقافية والاجتماعية نتيجة العصرية والحداثة. وهو ما عرض الثقافة الغذائية المحلية الى تغير في العديد من السلوكات والممارسات الغذائية، في مدلولها الاجتماعي والرمزي. وانبثق عن ذلك بروز سلوكات وعادات غذائية جديدة خاصة الاستهلاك الغذائي الجماهيري في الفضاء العام. علاوة على ذلك، اندثرت عادات غذائية تقليدية وظهرت عادات أخرى بسبب التمدن والانخراط في الحياة المعاصرة وعوامل أخرى مرتبطة بالتكنولوجيا والتقدم التقني. التحولات في الأدوار الاجتماعية للمرأة وحركتها من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام، لم تمر دون إحداث تصدعات داخل مؤسسة الأسرة خصوصاً في وظائفها التقليدية المتعلقة بتوفير الغذاء والتنشئة الاجتماعية من خلال التغذية سلوكاً وممارسة. مما سمح بنشوء العديد من التحولات في الممارسات الغذائية والسلوكات الغذائية لأفراد الأسرة خاصة.

ملخص البحث باللغة الفرنسية

La recherche porte sur le problème des déterminants des comportements de consommation alimentaire et des changements d'habitudes alimentaires dans la région du Rif Orientale. L'objectif est de décrire et d'analyser les caractéristiques de transformation et de stabilité des pratiques et comportements alimentaires de la communauté rifaine, tout en mettant en évidence ses effets sur les plans sanitaire et environnemental. Pour confirmer les hypothèses de recherche, nous nous sommes appuyés sur plusieurs outils méthodologiques qui combinent à la fois des approches quantitatives et qualitatives:

La technique d'entretien semi_directifs avec quarante interviewés : hommes et femmes pour sonder les profondeurs des habitudes alimentaires dans la vie des individus, en interrogeant leur mémoire collective. Cette technique tentative visant à analyser le comportement et l'acte alimentaires dans le passé.

Ensuite, l'observation participante à quatre souks hebdomadaires appartenant la province de Nador, afin de suivre certains comportements, réactions et interactions entre les acteurs sociaux au sein de l'espace social alimentaire et les manifestations de la transformation qu'a connu le souk hebdomadaire au Rif.

Enfin, le questionnaire en tant que technique vise à montrer quelques aspects des pratiques nutritionnelles émergentes et les nouvelles caractéristiques du mode de consommation alimentaire de la communauté rifaine dans les espaces publics et privés. L'étude a adopté l'approche analytique descriptive des données, pour un échantillon aléatoire de 219 répondants.

La recherche s'est terminée par des résultats, notamment:

Les habitudes alimentaires la région du Rif Orientale ont subi une série de transformations et de changements culturels et sociaux en raison de la modernité. Ce qui a exposé la culture alimentaire locale à un changement dans de nombreux comportements et pratiques alimentaires, dans leurs connotations sociales et symboliques. Cela s'est traduit par l'émergence de nouveaux comportements et habitudes alimentaires, notamment la consommation alimentaire spectaculaire dans l'espace public. De plus, les habitudes alimentaires traditionnelles ont disparu et d'autres habitudes ont émergé en raison de l'urbanisation et de l'implication dans la vie contemporaine et d'autres facteurs liés à la technologie et au progrès technique. Par ailleurs, les transformations des rôles sociaux des femmes et leur passage de l'espace privé à l'espace public ne sont pas passés sans provoquer des fissures au sein de l'institution familiale, notamment dans ses fonctions traditionnelles liées à l'alimentation et à la socialisation par la nutrition. Cela a permis l'émergence de nombreuses transformations dans les pratiques alimentaires et les comportements alimentaires des membres de la famille en particulier.

القسم الأول: الإطار النظري للبحث

مقدمة عامة:

يعد موضوع السلوك الاستهلاكي وتحول العادات الغذائية من أهم المواضيع التي استأثرت باهتمام الباحثين والدارسين لمختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية بفروعها المتعددة على غرار: علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، التاريخ، الاقتصاد وغيرها. وهو ما يعبر عن مدى أهميته كموضوع له القدرة على رصد وتحليل جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية. وإذا كان الاستهلاك بشكل عام قد ارتبط بالمجال الاقتصادي منذ القرن 19، فإن استخدام مصطلح "المجتمع الاستهلاكي" مع مطلع سبعينيات القرن الماضي لوصف ظاهرة لم تكن شائعة من قبل، لفتت الأنظار في الدول الغنية، وكذلك في الدول الأقل دخلاً. حيث بدأ الاهتمام ودراسة أبعاد جديدة للاستهلاك تجاوزت النظرة الكلاسيكية لمفهوم الاستهلاك. وبالتالي لم يعد الاستهلاك هدفاً في حد ذاته، بل بدأت تتجه دراسات علمية للبحث فيما يتم استهلاكه، وفي نظرة الناس إلى الاستهلاك دراسة وتمثلاتهم الاجتماعية، وأولوياتهم الاستهلاكية، إلى درجة أصبح النمط الاستهلاكي معياراً مهماً في تحديد مكانة الفرد في المجتمع.

ومن ثم، كانت نقطة بداية توسع دائرة اهتمام العلوم الاجتماعية، حيث لم يعد يقتصر اهتمام الباحثين حول ظاهرة الاستهلاك، فيما بعد، في مجال علم الاقتصاد فحسب، بل امتد

إلى علم الاجتماع وباقي العلوم الاجتماعية والانسانية. فأصبحت الدراسات في هذا الجانب تتجاوز مفهوم الاستهلاك في بعده الاقتصادي، إلى الكشف عن جوانب وأبعاد أخرى للاستهلاك بما يتضمنه من عمليات مثل الإنتاج وجودته والقدرة على المنافسة ... الخ، بل ثمة جوانب اجتماعية أخرى تتضمنها الظاهرة لا تقل أهمية عن الجوانب الاقتصادية.

لقد أصبحت السلوكيات الاستهلاكية مرتبطة أكثر بمتغيرات ثقافية واجتماعية. بل يمكن القول أن هذه السلوكيات الاستهلاكية للفرد، تعكس خصائص اجتماعية ونفسية للمجتمع الذي يعيش فيه أو ينتمي إليه. وهو ما يتناسب مع نظريات بحثية عبرت عنها الدراسات المبكرة التي أجراها العديد من الباحثين الأنثروبولوجيين مثل دراسات مالمينوفسكي وراكلف وغيرهما. حيث كشف هؤلاء العلماء أن الاستهلاك يمثل جزءاً مهماً من حياة المجتمعات التي قاموا بدراساتها.

وفي هذا الإطار، يستمد موضوع الاستهلاك الغذائي أهمية بالغة داخل مجالات الاستهلاك بشكل عام، وذلك لكون الغذاء ليس كحاجة بيولوجية فقط، وإنما باعتبارها نسقا ثقافيا يميز جماعة عن أخرى، كما يمثل انعكاسا للتراتبية الاجتماعية داخل الجماعة الواحدة. إذ تعتبر السلوكيات والممارسات الغذائية من عالم تشكيل للهوية الثقافية والاجتماعية، ذلك أن الإنسان هو "ما يأكله"¹ بتعبير الفيلسوف الفرنسي Savarin – Brillat، بل أن هناك من اعتبر أن التاريخ للتغذية هو تاريخ للمجتمع الذي ينبنى حول طريقة إنتاج واستهلاك أغذيته. ولئن شكل الغذاء والتحويلات الغذائية أحد الحقول الدراسية الهامة في البلدان الغربية، فإن الحديث عنه في المغرب لا يزال منسيا. من هنا جاء التفكير في دراسة التحويلات الغذائية بالريف الشرقي.

وقد عرفت تغذية المغاربة تباينا بين مختلف مناطقه وبيئاته في ظل صمود بعض الثوابت الغذائية التي لازمت مائدة المغاربة منذ زمن بعيد. على اعتبار أن المجتمع المغربي عامة والريفي خاصة شديد الارتباط بثقافته المحلية وما تحمله من اعتقادات وعادات وتقاليد وقيم. ولعل منطقة الريف تبقى نموذجا للعمومية والخصوصية في دراسة الظاهرة الغذائية، حيث تشترك المنطقة في التراث الغذائي الوطني الذي يتقاسمه جميع المغاربة بشكل عام من

¹ Jean Anthelme Brillat-Savarin, Physiologie du gout, ou méditations de gastronomie transcendante, éd Charpentier, 1838

جهة. لكن من جهة أخرى تتميز منطقة الريف بخصوصية من حيث الممارسات الغذائية والعادات الاستهلاكية

يندرج موضوع هذا البحث في «سوسيولوجيا الاستهلاك الغذائي» كفرع معرفي أخذ مكانة علمية في النظريات السوسيولوجية المعاصرة. حيث ان التطور العلمي الحاصل في علم الاجتماع من خلال خلق فرع معرفي جديد يعكس التطور الحاصل والتحول الكبرى التي يشهدها العالم في مجال التغذية. وذلك راجع إلى مجموعة من العوامل أهمها تحرير التجارة والتطور التكنولوجي الذي أدى بدوره إلى ظهور صناعات غذائية في اقتصاديات المجتمعات المعاصرة.

إن البحث يكتسي طابع الجدة بطرحه واحدة من أهم القضايا المعاصرة "الاستهلاك الغذائي" الذي يتقاطع بتخصصين جد مهمين في حقل السوسيولوجيا، وهما: سوسيولوجيا الصحة والمرض وسوسيولوجيا البيئة. فإذا كانت سوسيولوجيا الصحة تهتم بالأبعاد الاجتماعية للمرض كحالة مجتمعية، فلأنها توجد علاقة وثيقة بين ثنائية الصحة المرض والنسق الثقافي والاجتماعي لأي مجتمع كان. بالمقابل، تربط العادات الغذائية بوصفها تعبيرات ثقافية واجتماعية من جهة، والمرض والصحة من جهة ثانية، علاقة تأثير متبادل. ذلك أن القيم الثقافية المتصلة بأساليب عيش الأسرة والمنظومة القيمية السائدة في المجتمع تتأثر بالجوانب الصحية والبيئية .

وعطفاً عما سبق، فعلاقة الصحة بالدائرة الاجتماعية والاثر المتبادل بينهما يعكس في كثير من الأحيان تأثير مستوى المعتقدات والقيم والاعراف على الصحة العامة. وبالتالي يتضح أن علاقة التالوت (التغذية، الصحة المرض، البيئة) علاقة تفاعل. فالعادات الغذائية التي نتناولها يمكن أن تبعدنا عن المرض كما يمكن أن نحصل من خلالها على صحة جيدة. ومن جهة أخرى فالاستهلاك الغذائي الكثير يلحق أضرار خطيرة بالبيئة من خلال النفايات المنزلية مما يؤثر على الصحة العامة في الحاضر والمستقبل.

إن الاستهلاك الغذائي والتحويلات الغذائية في السياق المغربي عامة والريفي خاصة، لم يحظ بالاهتمام والدراسة التي يستحقها من طرف الباحثين. وما هذا البحث سوى محاولة لإمالة اللثام عن هذا الموضوع من خلال دراسة السلوك الاستهلاكي الغذائي بمدينة الناظور، والتحويلات التي طرأت عليه. هذا المجتمع الذي يعرف تحولات على مستوى العادات والممارسات الغذائية من قبيل طرق التخزين والطهي والاستهلاك وكذلك تخطي الفعل الغذائي لإطار الفضاء الخاص إلى الفضاء العام.

لم تكن مرحلة اختيار موضوع البحث بالمهمة السهلة، خصوصاً في المراحل الأولى لوضع لبناته، خاصة عندما لا تتوفر جميع المعطيات حوله، أو لغياب المصادر الكافية لدراسته، لاسيما وأن مثل هذا الموضوع يشكو من فقر في المعلومات المصدريّة.

بداية، لابد من الإقرار بأن موضوع الاستهلاك الغذائي والتحويلات الغذائية من المواضيع الجديدة في ميدان البحث السوسولوجي. إذ نسجل قلة في المصادر التي تناولته بالدرس والتحليل، علاوة على المعطيات السوسيو-ثقافية لمنطقة البحث المتميزة بخصوصياتها الثقافية. وهذا ما حفزني أكثر على اختياره كموضوع لاستجلائه وسبر أغواره وإعطائه ما يستحق من العناية.

أما السبب الثاني فهو راجع إلى المساهمة في إغناء الأبحاث الجامعية المنجزة حول الريف بشكل عام. حيث اهتمت معظم المؤلفات والأبحاث والدراسات المتعلقة بمنطقة الريف بتاريخ المقاومة، وما ارتبط بها من أحداث سياسية وعسكرية بينما استبعدت الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك العادات الغذائية والاستهلاكية لسكان الريف، باستثناء بعض المؤلفات التي تحدثت عن موضوع التغذية بشكل عرضي خصوصاً المؤلفات التاريخية التي ربطته بظروف الأزمات بسبب قحط أو حصار أو مجاعة.

الفصل التمهيدي

1- إشكالية البحث وعناصرها

يعتبر طرح إشكالية البحث وأبعادها أولى المراحل التي ينطلق منها الباحث في دراسة الموضوع. فهي اللبنة الأولى من أجل فهم وإيجاد تفسير لمشكلة البحث والتي تتمظهر من خلال السؤال الإشكالي وكذلك عبر مجموعة من الأسئلة الفرعية. فالطرح الإشكالي ليس بالعمل الارتجالي، وإنما هو نتيجة تفاعل بين التصور النظري الذي يبنيه الباحث حول موضوعه من خلال المراجع والمصادر، ومن جهة ثانية التصور الامبريقي الذي يتلمس خطواته عبر مناهج وأدوات علمية تمكنه من التحقق من الأسئلة المطروحة والفرضيات الموضوعية. فالإشكالية تعتبر بمثابة المنطلق الأساسي الذي يدفع بعملية التفكير نحو بناء المعرفة، وذلك من خلال إثارة عمليات البحث والتفكير لدى الباحث في اتجاه إيجاد إجابات وحلول على التساؤلات التي تُشكل جوهر الإشكالية، وبالتالي التساؤل حول العناصر والعوامل التي تتحكم في موضوع البحث ومجالاته وحدوده.

أ- مشكلة البحث وإطارها الزمكاني

لقد انخرط المغرب بعد استقلاله إلى جانب مجتمعات العالم الثالث في سياق الاقتصاد العالمي وعصر الحداثة التقنية والتنظيمية. حيث دخل المجتمع المغربي بدوره في مرحلة سمتها

الأساسية هي الحركية وتسارع التحولات في كافة الاتجاهات، نتيجة لتغلغل العلاقات والقيم الرأسمالية التي أدت إلى حدوث تفكك في الكثير من البنيات الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية وكذلك في القيم والذهنيات والتصورات المرافقة والملازمة لها. بالرغم من أن منطقة الريف ظلت لمدة طويلة مجهولة، فإنها لم تكن بمعزل عن هذه التحولات العامة، حيث " عرفت تحولات عميقة خلال المائة سنة الأخيرة. ذلك أنه وابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين بالخصوص، سوف تتعرض المنطقة لتحولات كمية وكيفية معًا على المستوى السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي"²

وإذا ما تأملنا واقع المجتمع المغربي عامة والريفي خاصة، وجدنا أنه قد تعرض لتغيرات اجتماعية هامة في أبنيته وأنظمتها الاجتماعية والثقافية خصوصاً مع بداية القرن 19، بعد أن عرف المغرب "عدة تحولات ديمغرافية عمرانية تتمثل أساساً في الانتقال الديمغرافي والتوسع الحضري والتمدين الكثيف جراء حركية السكان وهجراتهم، الى جانب الانفتاح على المستويين الاقتصادي والثقافي"³. ويقتضي الحديث عن التحول بشكل عام، الوقوف على الظاهرة التي تعرضت للتغير، عند محطات زمنية متتالية، بحيث لا يمكن الحديث عن هذا التحول أو التغير إلاّ عبر هذه الفترة الزمنية. إذ أن " التحول لا يمكن رصده إلاّ داخل الزمان والمكان"⁴ ولمعرفة درجة هذه التحولات، ينبغي الانطلاق من نقطة مرجعية في الماضي، تُشكل مرتكزاً نستند عليه في الوصف، التحليل والتفسير. وذلك بهدف التمييز بين الظاهرة التي تغيرت من تلك التي تستمر في التماثل " فلما نتحدث عن التحول والتغير

² قيس مرزوق الورياشي، "الريف الشرقي: التحولات الاجتماعية والواقع الحضري"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، العدد 1، 1983/1984، ص: 343-348

³ البشير تامر، التحولات الاجتماعية والمجتمع المدني في العالم العربي، حالة المغرب ضمن أشغال اللقاء الثاني لجهة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا للمجلس العالمي، العمل الاجتماعي في موضوع التحولات الاجتماعية في العالم العربي واقع وتساؤلات، المنظم بالرباط بتاريخ 18-19 يونيو 2012، تنسيق ادريس الكراوي.

⁴ Guy Rocher, le changement social, Introduction à la sociologie générale, édition HMH, Paris, 1986, P : 17

الاجتماعي، نضع تحليل مُجتمع ما مقابل حالة اجتماعية سابقة، بحيث تكون هذه الحالة إما حالة واقعية أو مثالية، تُشكّل بالنسبة للتحليل النموذج الاجتماعي المرجعي.⁵

إن هذا البحث يروم بالدرجة الاولى دراسة السلوك الاستهلاكي الغذائي والتحولات الغذائية بالريف الشرقي- حالة مدينة الناظور -في الفترة الراهنة، وإبراز عواملها وأثارها على المجتمع لاسيما الأثار الصحية والبيئية. ومقارنة كل هذا بالوضعية السابقة لسنوات ما بعد الاستقلال، أي ابتداءً من العقد السادس من القرن الماضي. وهذه الفترة التاريخية التي اتخذتها كمؤشر مرجعي، تُحدّد الإطار الزمني للمقارنة، والتي تفرض نفسها بقوة في هذا البحث. وهذا راجع بالأساس لما شهدته هذه الفترة من بداية لسيرورة التحولات الماكروسيولوجية بالمنطقة. وهذا ما يؤكد الأستاذ علال الزروالي الذي اشتغل على نفس مجال البحث في أطروحته الجامعية بقوله "وهكذا سيساهم استقلال البلاد وهجرة أبناء الريف الشرقي إلى أوروبا وظهور بعض الفاعلين في ظهور بواذر التغيرات المجالية التي سيكون لها وقع كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية".⁶ إذ أن التحولات التي حدثت بعد الاستقلال هي أهم منها بكثير كما وكيفا من تلك التي وقعت خلال نصف قرن من الاستعمار. فإذا كانت المنطقة قد عرفت تغيرات نوعية عميقة مع دخول الاستعمار، تجلت بالأساس في انهيار البنيات الاجتماعية التقليدية وتفككها، فإنها ستعرف تطورات كمية مع الاستقلال همت عملية بناء وإبراز بنيات ومؤسسات وأنماط حياتية جديدة.

من خلال المؤشرات والمعطيات المطروحة سالفاً، فمشكلة البحث تتعلق إذاً بدراسة محددات السلوكات الاستهلاكية الغذائية وتحديد قنوات تحول العادات الغذائية بالريف الشرقي. والتعرف على ملامح التحول والثبات في الممارسات والسلوكات الغذائية لمجتمع البحث، لمعرفة مدى صمود النظام الغذائي أمام التحولات التي عرفها المجتمع بفعل التأثيرات الخارجية، سواء على مستوى القيم الاجتماعية، الأسرة، العمران، المجال...أو ما أصبح يعرفه العالم من تنوع ووفرة في المواد الغذائية. حيث أضحت العديد من الأغذية تنتقل بين

⁵ Grigori Lazarev, changement social et développement dans les campagnes marocaines, in B.E.S.M, 1978, P : 130

⁶ علال الزروالي، التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، الجزء الاول، 1999 و2000، ص1

بلدان العالم المختلفة، بفعل ظهور التكنولوجيا وعولمة التجارة التي كان لها دور في تجاوز الصناعة الغذائية الحدود الجغرافية للبلدان، مما جعل مختلف المواد الغذائية متوفرة في الاسواق على طول السنة بغض النظر عن أوقات انتاجها أو مواسم جنيها.

وفي هذا الصدد تتحدد إشكالية البحث في الإجابة على السؤال المركزي التالي: ما هي محددات السلوكيات الاستهلاكية الغذائية داخل المجتمع الريفي؟ إذا كان الريف الشرقي يعيش تجديداً غذائياً، فما هي إذن هذه العادات الغذائية المستجدة؟ وبصيغة أخرى، نزمع أن يطال البحث إبراز السلوكيات والممارسات الغذائية الجديدة على السلوكيات الاجتماعية بالريف الشرقي.

ب- الأسئلة الفرعية

إن السؤال الموجه للبحث يدفعنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي من خلالها سنوضح أهداف ومسار البحث الذي سنتبعه، ومن بين أهم تلك الأسئلة، نذكر مايلي:

-ماهي مرتكزات النظام الغذائي الريفي الذي طاله التحول ونعني بذلك الأطباق التراثية، الأدوات المطبخية، الوجبات الموسمية...

-كيف أثرت الهجرة الخارجية من خلال عائدتها المالية في تجديد نمط الاستهلاك الغذائي؟ وظهور قيم استهلاكية وعادات غذائية جديدة عند مجتمع البحث؟

-كيف أثرت العوامل الماكروسويولوجية، من قبيل التوسع العمراني والتحول المجالي في بروز أشكال وممارسات غذائية جديدة بالريف الشرقي؟

-كيف تؤثر المحددات الديموغرافية والنوعية (السن-النوع-الحالة العائلية- بنية الأسرة- المستوى التعليمي...) في السلوكيات الاستهلاكية الغذائية؟

-كيف تؤثر القيم والتمثيلات الاجتماعية السائدة في المجتمع الريفي في السلوك الاستهلاكي الغذائي؟

إن هذه الأسئلة المطروحة وأخرى ستشكل أهم فحوى ومضامين البحث. وللإجابة عليها يستدعي الأمر أولاً طرح الفرضيات الممكنة

2- فرضيات البحث:

بعد الانتهاء من صياغة الإشكالية وتحديد السؤال المركزي الموجه للبحث، تأتي مرحلة صياغة الفرضية أي وضع كافة التفسيرات الأولية التي بإمكانها تفسير المشكلة المطروحة. وتعد مرحلة طرح الفرضيات في البحث العلمي من أهم الخطوات في بناء موضوع البحث، فهي التي ترسم خطوات العمل الميداني بصورة واضحة، وتسهل بالتالي الوصول إلى نتائج أكيدة، يمكن الاعتماد عليها. وتعرف الفرضية بأنها أفكار مبدئية تدرس العلاقة بين الظواهر قيد الدراسة والبحث في العوامل الموضوعية التي تؤثر فيها.⁷ الفرضية هي صيغة تفسيرية مؤقتة، أو مقترح جواب للسؤال المطروح وتنبني على إقامة علاقة مختلفة بين وقائع دالة والعوامل أو الشروط التي يفترض أن تتسبب في حدوثها. ويشترط فيها أن تكون قابلة للتحقق من صدقها إمبريقياً⁸. وتعمل الفرضية كأداة تقي الباحث من الانحراف عن الأهداف الحقيقية للدراسة. فهي خيط علمي وعملي يسمح بالنفوذ داخل الواقع الاجتماعي لجمع المعطيات الخاصة بالظاهرة المدروسة بشكل منظم ودقيق.

من خلال الأسئلة المطروحة سابقاً والمنبثقة عن الإشكالية، يمكن أن ننطلق في هذا البحث من فرضية عامة تركز على نقطة جوهرية: ذلك أن التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والقيمية التي عرفتتها وتعرفها منطقة الريف لها سبب مباشر في تحولات السلوك الاستهلاكي الغذائي والعادات الغذائية بالريف الشرقي (الناظور أنموذجاً). وعلى أساس هذه الفرضية العامة تنبثق مجموعة من الفرضيات الثانوية، نذكرها على الشكل التالي:

- 1- أن التحول الذي حصل على المستوى المجالي وانتقال المنطقة من مجتمع قروي بالأساس، إلى مجتمع حضري، قد ساهم في بروز سلوكيات وممارسات غذائية

⁷ احسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1982، ص 45

⁸ Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 9eme édition, Dalloz, Paris, 1993, P : 345

خارج الفضاء الخاص. وذلك من خلال، الارتياح على، مقاهي، ومطاعم ومحلّبات. مما أدى إلى استدراج الفعل الغذائي من الحيز الفضائي الخاص، الموسوم بالتباهي الذي يتمظهر خاصة في استعراض الفعل الغذائي في العالم الافتراضي من خلال تصوير الأطباق الغذائية ومشاركته في مواقع التواصل الاجتماعي.

2- أدت تحولات البنية المجالية للناظر إلى تغيير العادات الشرائية لدى الأسر الريفية في بُعدها المكاني (الفضاء الاجتماعي الغذائي)، أي التحول من السوق الأسبوعي كوجهة وحيدة للتسوق إلى اختيارات متعددة.

3- إن الاستهلاك الغذائي بمدينة الناظر هو استهلاك واحد يُدمج ويُوحّد مختلف الطبقات الاجتماعية في نسق سوسيو-اقتصادي واحد. انطلاقاً مما يبدو من تقارب في السلوكات والممارسات الغذائية لنفس أعضاء المجموعة الاجتماعية، بسبب انتمائهم لعصبية واحدة وبالتالي إلى نفس النمط الاستهلاكي الغذائي. ويمكن القول أنه نمط استهلاكي تحكمه قيم ثقافية تتحدى المستوى التعليمي والطبقة الاجتماعية.

4- يتجه النظام الغذائي للأسر الريفية بشكل عام، إلى استهلاك كميات كبيرة من الغذاء. حيث يلاحظ تغيير في النمط الاستهلاكي الغذائي على عدة مستويات؛ خاصة في مكونات السلة الغذائية التي يحضر فيها البروتين الحيواني بشكل قوي. أي المرور من الاستهلاك بالكفاف إلى الاستهلاك بالفائض

5- نفترض أن التوجه العام لاستهلاك الغذاء بكميات كبيرة في مجال البحث، له تأثير مباشر على صحة المستهلكين. حيث يؤدي الاستهلاك المفرط إلى إحداث خلل في التوازن الصحي وظهور أمراض متعلقة بالتغذية مثل: السكري، السمنة والوزن الزائد وكذلك تأثير مباشر على البيئة، من خلال كمية النفايات المنزلية المُخلفة.

3 -أهداف وأهمية البحث

تبرز أهمية الدراسة من خلال التركيز على معرفة أنماط الاستهلاك المفترضة وتحليل العوامل الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في قرارات الإنفاق الاستهلاكي. ومن ثم يمكن تلخيص أهمية الدراسة فيما يلي:

أ. جمع أكبر قدر من المعلومات، والمعرفة النظرية حول مجالي أنثروبولوجيا وسوسيولوجيا التغذية، ومختلف الاتجاهات الفكرية وإسهاماتها العلمية النظرية والتجريبية ذات الصلة بالموضوع.

ب. إلقاء الضوء على العوامل المتحكمة في السلوكيات الغذائية عبر الوقوف على الخصائص الاجتماعية والثقافية لعينة الدراسة والتعرف من جهة على طبيعة العادات والتقاليد الثقافية المرتبطة بمجال التغذية، ومن جهة ثانية على بنية ووظائف العادات الغذائية وآثارها على الجانب الصحي والبيئي.

ت. التعرف على تمثيلات جماعة البحث لأنماط تغذيتهم، وعاداتهم الغذائية، وإدراكهم للعلاقة بين الغذاء والصحة والمرض.

ج. المساهمة في تقديم عمل علمي يمكن الاعتماد عليه لاحقا في فهم وتفسير سلوكيات الاستهلاك من اجل ترشيد الاستهلاك الذي يبقى ضرورة وطنية تأخذ بها الدول المتقدمة والنامية لاسيما وأن الاستهلاك عنصر من عناصر بناء الاقتصاد الوطني.

ح- استجابة لحاجة معرفية وعلمية متعلقة بندرة في الدراسات التي اهتمت بدراسة السلوك الاستهلاكي والعادات الغذائية.

4 -الدراسات السابقة على المستوى الوطني:

قبل الخوض في البناء المعرفي والمنهجي للدراسة التي نقدمها، كان لزاما الاطلاع على الدراسات والأعمال السابقة ذات الصلة بالموضوع. فكانت خطوات جمع المادة المصدرية لموضوع البحث، الارهاصات الأولى لهذه الدراسة. الشيء الذي منحنا مراكمة زاد معرفي يساعدنا على استيعاب مختلف العناصر المرتبطة بالموضوع. فأصالة البحث تكمن حتما في الإضافات العلمية التي يمكن ان يقدمها الباحث من خلال بحثه. ومن بين أهم الدراسات والأبحاث السابقة التي اعتمدناها كمراجع نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ-تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي⁹ وهي دراسة أنثروبولوجية وأطروحة جامعية أنجزتها دة. نعيمة المدني. وقد اتخذت من مدينة العرائش مجالا لبحثها وبالضبط بالجماعتين القرويتين العوامة السهلية والساحل الجبلية. وترصد هذه الدراسة العادات الغذائية بالمنطقة ودور العامل الثقافي والاجتماعي في تحديد الاختيارات الغذائية.

ب-تم الاعتماد كذلك على دراسة¹⁰ محمد حبيدة الذي قام بعمل علمي متكامل جمع بين التغذية والتاريخ والبيولوجيا. ويعلق محمد حبيدة على الثقافة الغذائية المعاصرة لكونها تدفعنا اليوم بسبب الوفرة الغذائية وما تطرحه من مشاكل خاصة في المدن الكبرى الى استهلاك كثرة المواد الغذائية المصنعة التي تغزو الأسواق، وانتشار الوجبات السريعة المقترنة بالأكل المضر. وهذا ما بينته العلوم الطبيعية فيما يتصل بالضرر الصحي الذي يسببه استهلاك اللحوم، الى تغيير المقاييس التقليدية والنظر الى الأشياء ليس من زاوية الرخاء والهشاشة، وإنما على ضوء الفيزيولوجية البشرية والأطعمة النباتية الفقيرة اجتماعيا لكن غنية غذائيا. إن هذا التوجه الغذائي هو الذي حافظ على الكيان البيوكيميائي للمغاربة على مر التاريخ.

كما شكلت دراسة عبد الاحد السبتي وعبد الرحمان الخصاصي الموسومة بعنوان من الشاي الى آتاي العادة والتاريخ¹¹ مرجعاً مهماً في تعميق البحث في الفصل الخاص بتاريخ التغذية بالمغرب. تطرق الكاتبان لموضوع ظهور الشاي بأرض المغرب والصعوبات التي واجهته قصد التغلغل في البلاد المغربية وما صاحب ذلك من مواقف متقاطعة بين الفتاوي الفقهية وكذلك عن مضار ومنافع الاقبال على تناول هذه المادة. مذكرين بإيحاءات ذكر كلمة «الشاي» لدى المغاربة الى فضاء الاسرة والحميمية والصداقة وكرم الضيافة وما يحمله من مضامين روحية ودينية. ولقد أحاط الكاتبان بظاهرة عادة تناول المغاربة للشاي من مختلف جوانبها الثقافية والسياسية والاجتماعية وكذا الاقتصادية.

إن المجال الجغرافي للبحث، المنتمي للريف بشكل عام، دفعنا للاطلاع على كتابات ودراسات العديد من الباحثين الذين اتخذوا الريف رقعة لممارسة تجاربهم البحثية ذات البعد

⁹نعيمة المدني تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي: دراسة أنثروبولوجية، دار الأمان، الطبعة الأولى 2015،

¹⁰ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, 15e-18e siècles. Histoire et biologie, Casablanca, 2008

¹¹ عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي، من الشاي الى الآتاي: العادة والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية - الرباط الطبعة الأولى سنة 1999 مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء

السوسيولوجي، الأنثروبولوجي وكذلك التاريخي. ولا شك أن هذه الدراسات المهمة جداً شكلت لنا أرضية خصبة لفهم تصورات وتمثيلات سكان المنطقة حول العديد من القضايا المتصلة بحياتهم الاجتماعية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

■ دافيد مونتكمري هارت أيت ورياغر، قبيلة من الريف المغربي، ترجمة: عبد المجيد عزوزي، حميد الرايس، محمد أونيا، منشورات صوت المغاربة الديموقراطيين بهولندا، 2016

■ دافيد مونتكمري هارت، القانون العرفي الريفي، ترجمة محمد الوالي من الإسبانية إلى العربية، اصدار المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل التابع للمعهد، 2004.

■ أورسولا كينغسمائل هارت، وراء باب الفناء. الحياة اليومية للنساء الريفيات، ترجمة عبد الله الجرّموني، منشورات “تيفراز ن أريف”، بمساهمة جمعية ملتقى المرأة بالريف، مطبعة النجاح الجديدة، 2010.

■ عبد الرحمن الزكريتي، ثقافة المقاومة بالريف، مقارنة سوسيو-انثربولوجية للأسرة القروية واستراتيجيات تدبير الحياة اليومية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، طبعة 2016.

- Raymond Jamous, Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Revue de l'Occident musulman de la Méditerranée, n°34, 1982.

المقالات العلمية

اعتمدت في هذا البحث أيضا على مجموعة من المقالات التي تحمل الكثير من المعلومات التي مكنتنا من فهم الثقافة الغذائية في المجتمع المغربي عامة والريفي خاصة. وما يرتبط بهذه الثقافة من محددات ايكولوجية اجتماعية ثقافية دينية وكذا اقتصادية. ومن بين المقالات نذكر مجلة امل التي خصصت العددين 16 و17¹² لدراسة الغذاء عند المغاربة

¹²مجلة أمل، الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة العدد: 16 / 1999.

وتضمن هذا العدد مجموعة من الأبحاث التي تتبعت الغذاء منذ العصر الوسيط الى الفترة المعاصرة وما رافق ذلك من تحولات من خلال كشف الوصفات والأطباق وعادات وأدوات الاكل والشرب وكذلك عن بعض المهن المرتبطة بالتغذية. بالإضافة للعديد من المقالات الأخرى التي درست التغذية بشكل عام وفي مختلف أبعادها سواء على المستوى الوطني أو الدولي.

وهكذا يتضح من خلال هذا التمهيد أن موضوع الاستهلاك الغذائي بالريف الشرقي يتجاوز حدود المعطيات الاقتصادية المتعلقة بالقدرة الشرائية. بل هي ظاهرة معقدة يتداخل فيها العامل البيولوجي والاجتماعي والثقافي. وكذا الظواهر الاجتماعية والثقافية المتعلقة بمنطقة الريف من قبيل تحولات بنية الأسرة، التوسع العمراني، الثقافة والقيم، الأحداث التاريخية، الموقع الجغرافي... وهي بمثابة قنوات أساسية مؤثرة في الاستهلاك الغذائي والتحول في العادات الغذائية، بل متغيرات أساسية لتفسير نمط الاستهلاك الغذائي. من أجل ذلك وفي سياق معالجة موضوع بحثنا تم بنائه على الشكل التالي:

القسم الأول الإطار النظري للبحث والذي قسمته إلى مقدمة عامة ثلاثة فصول.

-مقدمة عامة: إشكالية البحث، فرضيات الدراسة، أسباب اختيار الموضوع، أهمية وأهداف البحث ثم ذكر أهم الدراسات السابقة في الموضوع .

-الفصل الأول: الإطار المفاهيمي لمفاهيم لبحث؛ الاستهلاك الغذائي، العادات الغذائية...

-الفصل الثاني: تناول موضوع التغذية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية: التاريخ، الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا

الفصل الثالث: العادات الغذائية بين التعبير الثقافي والبنية الاجتماعية. خلاله تم عرض وتحليل أهم النظريات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية المعاصرة في علاقاتها مع موضوع التغذية كفعل وممارسة.

القسم الثاني: البحث الميداني

سأحاول أن أقدم في الفصل الأول من هذا القسم بحثاً مونوغرافياً شاملاً حول منطقة البحث من خلال تقديم الإطار التاريخي والجغرافي لمدينة الناظور وكذلك وصفاً شاملاً لعناصر الطبيعة والبيئة وطبيعة العيش وعلاقة ذلك في تحديد نوعية الغذاء.

أما الفصل الثاني من هذا القسم سيكون متعلقاً بالجانب الميداني، سأحاول أن أقدم فيه وصفاً وتحليلاً شاملين للممارسات والعادات الغذائية قبل موجة التحولات، من خلال وصف الأطباق الغذائية المتداولة والأواني المطبخية المستخدمة لإعدادها. إضافة إلى رصد التغيرات التي عرفت العادات الغذائية لمجتمع البحث، وتفسير عوامل هذه التحولات، معتمداً على أدوات منهجية: كالملاحظة، المقابلة والاستمارة.

وفي آخر فصلين سيتم عرض النتائج الخاصة بخصائص العينة (التحليل الوصفي) ثم اختبار العلاقات بين متغيرات الدراسة من جهة ونتائج اختبار فرضيات الدراسة من جهة ثانية.

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي للبحث

تقديم

مما لا شك فيه أن مرحلة تحديد المفاهيم من الإجراءات المنهجية الأساسية والضرورية في بناء الدراسات والبحوث العلمية، حتى يستطيع القارئ أن يعي المقصود من المفهوم الموظف من طرف الباحث وفقاً لما يمليه عليه موضوع الدراسة. "فالدقة في تحديد المقاصد

والمضامين تعتبر من بين أهم متطلبات المنهج العلمي¹³. وتجنباً لأي لبس مفاهيمي يمكن أن يقع فيه القارئ، نقدم في هذا الفصل المفاهيم الأساسية التي اعتمدنا عليها في تحديد الإطار النظري والعمل الميداني وكذلك في عرض النتائج، الشيء الذي سيسمح بالفهم الجيد والدقيق للمفاهيم الموظفة: مفهوم السلوك الاستهلاكي، التحول الاجتماعي والعادات الغذائية.

I- الاستهلاك: المفهوم والسلوك

نصبو في هذا المبحث التطرق بالتفصيل إلى الاستهلاك كمفهوم وسلوك. باعتباره متغيراً أساسياً في هذا البحث، وكذلك الإحاطة بأنواعه ونماذجه ثم نبسط بشكل مختصر السلوك الاستهلاكي والنظريات المفسرة له لاسيما في النظريات الاقتصادية والسوسيولوجية.

I-1 الاستهلاك : تعريف وأنواعه

يقصد بالاستهلاك كل ما يستهلكه المجتمع من خلال استخدام سلع أو إتلافها أو التمتع بخدمات يمكن استعمالها في فترة قصيرة أو طويلة، كاستهلاك المواد الغذائية والملابس والسيارات، وذلك من أجل إشباع حاجات أو رغبات معينة. وللاستهلاك علاقة عضوية بالإنتاج، فالاستهلاك يواجه دائماً إما بالسلع التي تُنتج في ذلك الوقت وإما بالسلع التي أنتجت من قبل. وينتج عن الاستهلاك إفناء فوري وكلي للسلعة (تناول الأطعمة مثلاً) أو تدريجي وجُزئي (استعمال جهاز إلكتروني معين مثلاً). ويُمكن النظر إلى الاستهلاك على أنه الهدف أو الغاية الأساسية لكل الأنشطة الاقتصادية. وينقسم الاستهلاك إلى نوعين:

أ- الاستهلاك الوسيط:

ويعني أن الإنتاج يُستهلك وسيطاً أي أنه يُستخدم في شكله الذي أُنتج عليه في إنتاج سلعة أخرى أو خدمة أخرى، وهذا الاستهلاك الوسيط هو ما يُعبر عنه بـ "مُستلزمات الإنتاج" أو "السلع الوسيطة"

¹³ مصطفى عمر التير، أسس البحث الاجتماعي، معهد الإنماء العربي للدراسات الاجتماعية، الطبعة الأولى، 1989، ص:30

ب-الاستهلاك النهائي:

ويُقصد بذلك أن الإنتاج يُستهلك استهلاكاً نهائياً بما ينطوي عليه من استخدام المنتجات من السلع والخدمات أو التمتع بها لإشباع أغراض الاستهلاك. وفي ضوء ذلك، يكون الاستهلاك النهائي في مفهومه الاقتصادي بأنه استخدام السلع والخدمات في إشباع الاحتياجات المباشرة للأسرة.

والاستهلاك ينتفي عموماً من دون سلع وخدمات يتعاون الفاعلون الاقتصاديون والاجتماعيون على إنتاجها. حيث يستدعي تعريض الموارد الطبيعية أو الأولية لحد أدنى من التحويل الذي يحصل بفضل عمل الإنسان وعلمه، وذلك بخلاف المجتمعات البدائية التي كانت تعيش على الصيد والقتل والتقاط الثمار من الأشجار أو من الأرض.

I-2 سلوك المستهلك

هو دراسة كيف يشتري الأفراد، وماذا يشترون ومن أين، ولماذا يقومون بالشراء. ويتقاطع السلوك الاستهلاكي مع مجموعة من المجالات المعرفية: علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد. وتهدف دراسة سلوك المستهلك إلى فهم قرارات الشراء التي يتخذها المستهلك، وكذلك المراحل التي يتم بها هذا القرار. وتدرس لذلك الخصائص الفردية للمستهلك والشخصية والاجتماعية والثقافية. حيث يشمل سلوك المستهلك "جميع النشاطات المرتبطة بالشراء من استخدام السلع والخدمات وتصريفها بما فيها استجابة المستهلك العاطفية والعقلانية والسلوكية التي تسبق هذه النشاطات وتتبعها"¹⁴ يهتم سلوك المستهلك بما يلي¹⁵:

- نشاطات الشراء : شراء السلع أو الخدمات : كيف يحصل المستهلكون على المنتجات والخدمات، وجميع النشاطات التي تؤدي إلى قرار الشراء بما فيها البحث عن المعلومات وتقييم السلع والخدمات وطرق الدفع ومن ضمنها عملية الشراء.

¹⁴ Frank Kardes, Maria Cronley, et Thomas Cline, Consumer Behavior, Mason, OH, South-Western Cengage, 2011, p :7

¹⁵ Frank Kardes, Maria Cronley, et Thomas Cline, Consumer Behavior, Ibid, P :10

- نشاطات الاستخدام والاستهلاك : تهتم بمن وأين ومتى وكيف يتم الاستهلاك وعملية الاستخدام بما فيها من ارتباطات رمزية والطريقة التي توزع فيها السلع في العائلات أو وحدات الاستهلاك.
- نشاطات تصريف المنتج : تهتم بالطريقة التي يصرف فيها المستهلك المنتجات ويعبئها، وقد تتضمن أيضاً أنشطة إعادة البيع مثل إيباي وأسواق المستعمل.

I-3 المفاهيم الاقتصادية حول الاستهلاك

توجد في الفكر الاقتصادي التقليدي نماذج اقتصادية عديدة حاولت تفسير الاستهلاك لدى الأفراد، وتمتاز هذه النظريات بتنوع فريد، بعضها نماذج اقتصادية معيارية تشرح السلوك الذي ينبغي على الفرد اتباعه في الاستهلاك، وبعضها نماذج وصفية تصف سلوكيات الأفراد الاستهلاكية كما هي.

ولعل أهم تلك النظريات أو النماذج: نظرية الدخل المطلق لعالم الاقتصاد كينز، ونظرية الدخل النسبي لصاحبها دوشنبيري ونظرية الدخل الدائم لفريدمان ونظرية دورة الحياة لموديغلياني. وقد حظيت كل تلك النظريات بالقبول لدى علماء الاقتصاد، رغم عدم نجاح أي منها بشكل كلي في تفسير أنماط الاستهلاك لدى الأفراد، إذ هي تبرر وتفسر جوانب، وتعجز عن أخرى.

أ- كينز: نظرية الدخل المطلق

تصدت المراجع الاقتصادية لمسائل الاستهلاك منذ زمن بعيد ويؤكد ذلك ما بقي من تراث الحضارات القديمة المختلفة. بيد أنه من منظور اقتصادي صرف، لا بد من التركيز على علم الاقتصاد الحديث. وفي هذا الصدد، يبرز ما قدمه كينز حول مسألة الاستهلاك. وتكمن أهمية ما قدمه كينز في طرحه لنظرية كاملة مترابطة تتناول مختلف جوانب المسألة

الاقتصادية ومن ضمنها الاستهلاك الذي خصه كينز باهتمام كبير لدوره في تكوين الطلب الكلي للسلع والخدمات الذي يعتبره المحرك الأساسي للعجلة الاقتصادية.¹⁶

يبين كينز في «نظريته العامة» أن الأسس النفسية الراسخة لدى المستهلك تدفعه على العموم إلى زيادة إنفاقه الاستهلاكي عند حدوث زيادة في دخله المتاح،¹⁷ بيد أنه يذخر في العادة جزءاً من تلك الزيادة. وإن نسبة الادخار هذه، تتزايد مع تزايد الدخل، وذلك كله بعد تجاوز حد معين من المستوى المعاشي يكون كافياً لإشباع المتطلبات الاستهلاكية الضرورية. ويؤكد كينز أن حركتي التغيير في مستوى الدخل والاستهلاك تسيران في اتجاه واحد، فمع زيادة الدخل يزداد الإنفاق الاستهلاكي ولكن بنسبة تقل عن نسبة الزيادة في الدخل. وقد أُطلق على نظرية كينز في الاستهلاك «نظرية الدخل المطلق» لأنها ترى أن مستوى الدخل المطلق هو العامل الأساسي الذي يحدد حجم الإنفاق الاستهلاكي للفرد.

ب- دوزنبري نظرية الدخل النسبي

ركز دوزنبري على العامل والأثر البياني الترتيبي وأسهب شارحاً أن الإنفاق الاستهلاكي لأسرة ما لا يعتمد على مستوى دخلها المطلق بقدر ما يعتمد على مستوى دخلها إذا ووزن بينه وبين مداخل الأسر التي تربطها بها صلات ووشائج، سواء أكان ذلك في السكن أم في القربى أم في العلاقات الاجتماعية.¹⁸ وعليه، فإذا ما ارتفع دخل الأسرة في مرحلة من المراحل وشملت نسبة الارتفاع هذه جميع الأسر الأخرى التي لها علاقة بها، وبقي المستوى النسبي بين كل الأسر ثابتاً، فإن توزيع دخل الأسرة المعنية بين الإنفاق الاستهلاكي والادخار يبقى على ما كان عليه قبل ارتفاع الدخل، مع أن مستوى الإنفاق الاستهلاكي ومستوى الادخار لتلك الأسرة، يكون قد ارتفع ارتفاعاً مطلقاً. ووفق المقولة نفسها، فإذا ما ارتفع مستوى دخل الأسر الأخرى وبقي مستوى دخل الأسرة المعنية ثابتاً، فإن المستوى المعيشي

¹⁶ Keynes John Maynard, .La Théorie générale de l'emploi, de l'intérêt et de la monnaie, traduit par : Jean de Largentaye, Éditions, Payot, Paris, 1942

¹⁷ Keynes John Maynard, La Théorie générale de l'emploi, de l'intérêt et de la monnaie, op, cit, pp 178-1791

¹⁸ Duesenberry James Stemple. Income, saving and the theory of consumer behaviour, Havard UP, 1949.

لتلك الأسرة يتراجع مع أن دخلها لم يتدنَّ، وذلك لأنها تنجح في العادة لزيادة إنفاقها الاستهلاكي تحت تأثير تقليد بقية الأسر التي طرأت زيادات على دخلها.

ويلج أنصار هذه النظرية على الطبيعة المتأصلة لدى الناس لتقليد بعضهم بعضاً في طرائق الاستهلاك وأنماطه. وتنافسهم في ذلك إلى حدود المضاهاة والتفاخر، ويبينون أن الأسر ذات الدخل المحدود تنجح نحو المزيد من الإنفاق الاستهلاكي عندما تعيش في محيط من الأسر ذات الدخل الأعلى، أكثر مما يكون عليه الحال لو عاشت في محيط من الأسر ذات الدخل الأدنى. كذلك فإن دوزنبيري يبين أن للدورة الاقتصادية أثراً في إحداث تغيرات في مستوى الإنفاق الاستهلاكي بالنسبة إلى الدخل.

ت-فريدمان M. Friedman نظرية الدخل الدائم

ومع أن نظرية دوزنبيري لا تخلو من التجديد، فإنها لم تسلم من النقد لأسباب متعددة مما حدا ببعض الاقتصاديين ممن كانوا من دعايتها إلى التنصل منها والتركيز على ما بات يعرف بنظرية الاستهلاك «وفق مفهوم الدخل الدائم»¹⁹ التي نجح فريدمان M.Friedman في تطويرها. ولقد بين أصحاب الاتجاه الثالث أن الإنفاق العادي للمستهلك لا يتأثر آلياً وبسرعة بالمتغيرات التي قد تطرأ على دخل المستهلك في المدى القصير إذ إن استهلاك الفرد في شهر معين لا يعتمد بالضرورة على دخله في ذلك الشهر. كذلك فإن المستهلك لا يتوقف عن استهلاكه مثلاً إذا ما توقف دخله في شهر من الأشهر.

ومن منطلقات أصحاب هذه النظرية أن الاستهلاك يتأثر بالدخل في مدة زمنية أطول، وأن المستهلك ينظر إلى دخله السنوي كله وإلى مستوى دخله في العام السابق وإلى توقعات تطور دخله في المستقبل.

لذلك كله ولتفصيلات مشابهة يقول فريدمان: " إن الاستهلاك على المدى الطويل هو جزء ثابت من الدخل الدائم، وإن هذا الجزء يعتمد على شروط وعوامل متعددة مثل معدل الفائدة المصرفية والدخل الآتي من دون جهد، كالإرث مثلاً وعلى الذوق الخاص للمستهلك الذي

¹⁹ Milton Friedman : A Theory of the Consumption Function, National Bureau of Economic Research, Princeton University Press ,1957

يعتمد على الطبيعة الاجتماعية للأسرة وأعمار أفرادها وغيرها".²⁰ لذلك يقول أصحاب هذا الرأي: إن الإنفاق الاستهلاكي لأي أسرة يتوقف على مستوى الدخل الدائم لها، ولما كانت هناك فروق خاصة بين أسرة وأخرى فإن ذلك الجزء من الدخل الذي تنفقه أي أسرة من الأسر على استهلاكها يختلف بين حالة وأخرى. أما إذا افترض أن الفروق التي تتجم عن عوامل مثل الذوق والعمر وغيرها متساوية، فحينئذ يصبح ذلك الجزء من الدخل الدائم الذي ينفق على الاستهلاك متساوياً بغض النظر عن كون الأسرة فقيرة أو غنية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدم أخذ فريدمان بالحسبان للاختلافات في النهج والتصرفات لطرائق الإنفاق لدى الأثرياء والمحرومين قد عرّض هذه النظرية للكثير من الانتقاد على الرغم من التجديدات التي أدخلتها على مسألة الاستهلاك بوجه عام.

وإذا كان ما تقدم يُعد شرحاً مبسطاً ومختصراً لأهم المدارس أو الاتجاهات النظرية لمسألة الاستهلاك، فثمة تشعبات نظرية أخرى انطلقت من هذا الاتجاه أو من ذاك، ومازالت النصوص الاقتصادية تقدم الجديد باستمرار في هذا الأمر، ومن الجدير ذكره هنا، أن لكل اتجاه من الاتجاهات النظرية المختلفة عدداً من الأبحاث الإحصائية والقياسية التي تدعمها.

ث- سلوك الاستهلاك وفقاً لنظرية دورة الحياة:

تنسب هذه النظرية لعالم الاقتصاد الشهير فرانكو مديغليانين وطالبه ريتشارد برومبيرج وقد طورها بداية الخمسينات من القرن العشرين. إذ لا تنظر النظرية للدخل (والاستهلاك) للفرد لفترة زمنية معينة، بل لمدة حياة الفرد. كما تنظر للدخل على أنه كل ما يكتسبه الإنسان طيلة فترة حياته العملية من بدئه العمل إلى أن يتوقف عن العمل (التقاعد)، وخلال هذه الفترة يستهلك الفرد جزءاً من دخله ويدخر جزءاً آخر. ومن البديهي أن يستمر استهلاك الفرد إلى

²⁰ Milton Friedman : A Theory of the Consumption Function, op.cit, p : 285

نهاية عمره، غير أن الإنفاق على الاستهلاك بعد سن التقاعد إنما يكون من المدخرات.²¹ وفقاً لهذه النظرية، وتأسيساً على ذلك فإن الثروة تنقسم إلى:

- أ- (الدخل الجاري من مصادر غير الملكية)
- ب- (الدخل السنوي المتوقع من مصادر غير الملكية)
- ت- (صافي الثروة في نهاية الفترة)

وبالتالي فإن الاستهلاك وفقاً لهذه النظرية يتوقف على الدخل الجاري والدخل السنوي المتوقع من مصادر غير الملكية وصافي ثروة الإنسان.²²

ج- ما الذي تشترك وتختلف فيه نظريات الاستهلاك؟

بالرغم من تعدد نظريات الاستهلاك في الفكر الاقتصادي التقليدي إلا أن الاختلافات بينها ليست جوهرية، فهي كلها تقر بأن نظرية كينز صحيحة في فرضياتها وأسسها، بمعنى آخر أنها تقر ارتباط الاستهلاك بالدخل، غير أن الاختلاف بين النظريات كان في نوع الدخل، فإذا كانت النظرية الكينزية ترى أن المؤثر في الاستهلاك هو الدخل الجاري، ترى نظرية "الدخل المطلق" أن هذا الأخير هو المحدد لمستوى الاستهلاك، بينما تقر نظرية المحاكاة أن الاستهلاك يعتمد على الدخل النسبي الذي هو استهلاكها مقارنة بنسبة الاستهلاك لدى الأسرة المجاورة والذي يبقى ثابتاً حتى مع تذبذب الدخل. أما نظرية الدخل الدائم فتقرر أن الاستهلاك يمثل نسبة ثابتة من الدخل الدائم، علماً أن الدخل المتاح ينقسم إلى قسمين: دائم وانتقالي. في حين اعتمدت نظرية دورة الحياة على العلاقة بين ثروة الإنسان والاستهلاك.

I-4 تصورات سوسيولوجية لظاهرة الاستهلاك

ينظر علماء الاجتماع إلى النشاط الاستهلاكي على أنه نشاط مجموعة من الأفراد، متأثرين بضغوط الجماعات وبرغبات الأفراد. ولقد أوضحت دراسات سوسيولوجية أهمية

²¹ Angus Deaton, Franco Modigliani, The Life Cycle Theory of Consumption, Deaton Research Program in Development Studies and Center for Health and Wellbeing, Princeton University, March 2005.

²² Albert Ando et Franco Modigliani, « The 'life-cycle' hypothesis of saving: aggregate implications and tests », American Economic Review, vol. 53, no 1, 1963, p. 55-84

الجماعات وأهمية الدور الجماعي ومدى تأثير الطبقة الاجتماعية في السلوك الإنساني في الاستهلاك بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية المختلفة التي نوضحها فيما يلي:

أ-التصور المادي التاريخي

يمكن اعتبار التنظير المادي التاريخي على أنه البداية الحقيقية في بحث وتحليل ظاهرة الاستهلاك، حيث جمع ماركس في تصوره لتطور المجتمع بين ما هو اجتماعي وما هو اقتصادي، ومن ثم جاء تصوره للتطور التاريخي للمجتمع، مؤسساً على تصوره لتطور النظام الاقتصادي (المادية التاريخية).

لقد ركز ماركس في تحليله للاستهلاك على الاستهلاك الضروري، باعتباره شرطاً أساسياً للمحافظة على مستوى الإنتاج القائم، وهو استهلاك يتألف من نمطين: الأول، شخصي يحافظ على بقاء المنتجين واستمرارهم في الإنتاج. والثاني، استهلاك إنتاجي، يحافظ على وسائل الإنتاج من حيث صيانتها وتجديدها، كما تتحدد العلاقة بين قيم الإنتاج والاستهلاك بنمط تقسيم العمل الاجتماعي، ومستوي تطوره²³.

ولذلك قدم ماركس رؤيته للظاهرة الاستهلاكية، من نفس منظور التفسير المادي للتاريخي، وهو تفسير تتقارب فيه كافة الأطروحات التي قدمها ماركس في رؤيته للمجتمع، وتكاد تكون ظاهرة الاستهلاك، الظاهرة التي اجتمعت فيها كافة مقولات الماركسية وآراءه العديدة حول الطبقة وعلاقات الإنتاج وغيرها.

ففي تفسيره لأزمة قصور الاستهلاك، ذهب ماركس إلى أن الاستهلاك يحدث نتيجة لاستحواذ أرباب الأعمال على نصيب متزايد من الدخل القومي، وعملهم على استثمار معظم نصيبهم. "وما يؤدي إليه هذا من نمو في الناتج من السلع بشكل مستمر وبمعدلات متزايدة، مما يجعل المجتمع يتعرض للاهتزاز والاضطرابات الاجتماعية التي قد تقلب كيان المجتمع

²³ إنعام عبد الجواد، النسق القيمي في الريف المصري، قيم الإنتاج والاستهلاك، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1998، ص 1

فكيف له أن يستهلك هذا الناتج وليس لدى غالبية أفراده من العمال الأجراء القدرة على شراء متطلبات الحياة بسبب عدم العدالة في توزيع الدخل"²⁴.

ومن هنا يرى ماركس أنه لا بد من دعم القوة الشرائية للعمال حتى تستطيع أن تزيد من الاستهلاك، وحتى لا تحدث أزمات وإفراط في الإنتاج، لذلك يعتقد ماركس أن الاهتمام بالاستهلاك لا يقل أهمية عن الاهتمام بالإنتاج فالحقيقة أنهما متكاملان " فالإنتاج تتمثل مهمته الأساسية في خلق السلع اللازمة للاستهلاك في حين أن الاستهلاك تكون مهمته الأساسية خلق الحاجات بمعنى الغرض من الإنتاج"²⁵

ب- المنظور الوظيفي:

وخلافا لوجهة النظر الماركسية، هناك تنظير آخر، انطلق في رؤيته للظاهرة الاستهلاكية من وجهة نظر مخالفة لمقولات المادية التاريخية. فإذا كانت الماركسية انطلقت في تفسيرها لظاهرة الاستهلاك من المقولات المادية التاريخية، فإن الوظيفية الوضعية انطلقت من أبعاد أخرى مخالفة تماما. وها هو ماكس فيبر يؤكد على أن القيم والأفكار تؤثر بشكل أساسي في تشكيل الإنتاج والاستهلاك والسلوك الاقتصادي المترتب عليهما، على أساس أن الأفكار والمعتقدات لها دور فعال في تاريخ الإنسان، خصوصا تاريخ التطور الاقتصادي. ففيبر يرى أن عالم القيم تخلقه الظروف الاجتماعية التاريخية، لأنه يرى أن القيم اختيارات فردية حرة مشروطة بشروط اجتماعية تاريخية تحددها أفكار الجماعات الاجتماعية وتصوراتها المتباينة.²⁶

أما أميل دوركايم، فقد قدم هو الآخر رؤية تقترب إلى ما قدمه فيبر وتأتي على النقيض تماما من الرؤية الماركسية، حيث انتقل دوركايم من الخضوع الميكانيكي لقيم الإنتاج والاستهلاك إلى الاختيار العقلاني لها. فهو على عكس ما ذهب إليه ماركس. فالقيم الاجتماعية من وجهة نظره محددة لوجود الناس وما بينهم من علاقات اجتماعية، كما أنها مكونة للضمير الجمعي، فالقيم الأخلاقية تحتل مكانة بارزة من حيث أدوارها ووظائفها في

²⁴ محمد يسرى إبراهيم، اقتصاديات مجتمع الانفتاح، دار أم القرى للطباعة والنشر الإسكندرية، الإسكندرية، 1997، ص52

²⁵ عبد العزيز فهمي هيك، موسوعة المصطلحات الاقتصادية الإحصائية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان 1986، ص 553

²⁶ ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي مقلد، مركز الاتحاد العربي، بيروت، (بدون تاريخ) ص/ ص 16 - 19.

المجتمع، فهي تؤثر في غيرها من القيم الاجتماعية وتوجهها، بما في ذلك قيم الإنتاج والاستهلاك. فالمجتمع في إجماله ظاهرة أخلاقية معيارية قيمية، والإنسان بطبيعته أخلاقي، لأنه يعيش في " مجتمع تتغير قيمه من خلال التغير من نمط التضامن الآلي إلى نمط التضامن العضوي. وهو تغير يرتبط بعناصر مادية لها تجسدها الخارجية عن الأفراد، مثل تقسيم العمل والاستهلاك والجريمة والانتحار والطقوس والاحتفالات.²⁷

II- العادات الغذائية: مقارنة مفاهيمية

II-1 تعريف الغذاء : في اللغة والبيولوجيا

اشتقت كلمة التغذية من الغذاء وقد عرفه ابن منظور في لسان العرب، وقال "ما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب واللبن"²⁸ وقد عرفه معجم المعاني الجامع "تغذية الجسم تزيده بالغذاء إحدى الأسس التي يركز عليها بنيان الحياة، وتشمل العمليات المختلفة التي تختص بحصول الكائن الحي على غذائه لمساعدة الوظائف الحيوية كالنمو والحركة والتناسل والمحافظة على المميزات الطبيعية والكيميائية لجسمه"²⁹

أما في المعجم الفرنسي، تُعرف التغذية بمجموعة العمليات المختلفة التي بواسطتها يحصل الكائن الحي على العناصر الغذائية الضرورية للنمو والمحافظة على وظائف الجسم³⁰

وإصطلاحاً، فالغذاء هو المأكّل والمشرب الذي يحتوي على العناصر الغذائية المفيدة للجسم، والتي تمكنه من القدرة على النمو بالشكل السليم، ويحمي الجسم من الأمراض.

أما المفهوم البيولوجي للتغذية فهو تزويد جسم الكائنات الحية بالعناصر المغذية والضرورية لضمان حياة الخلية، بمعنى آخر فهي "جملة من الوظائف الفيزيولوجية التي

²⁷ أحمد زايد: المداخل النظرية في دراسة القيم، نحو مدخل نظري لدراسة قيم العمل في المجتمع القطري، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، 1994، ص 81 - 101

²⁸ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) لسان العرب دار صام 2003 ص 23

²⁹ معجم المعاني الجامع نسخة الكترونية WWW.HMANY.COM

³⁰ Larousse, éditions Larousse, 2008, P : 108.

تضمن امتصاص المغذيات وطرح الفضلات³¹ من خلال هذا التعريف البيولوجي لمفهوم التغذية يتضح أن الكائنات الحية لا تستطيع أن تعيش دون غذاء فهو الذي يمدّها بالعناصر الأساسية التي تساعدّها على النمو وبناء الأنسجة وصيانة الخلايا وتجديدها ومقاومة الأمراض على اختلافها. وهذا بسبب محتوى الغذاء من الكربوهيدرات والفيتامينات والدهون والبروتين والمعادن والألياف الطبيعية التي يأخذها الجسم منه بصورتها الكاملة. وبالطاقة المستخلصة من الطعام يؤدي الإنسان جميع نشاطاته الحركية، والفكرية، سواء كان ذلك قراءة كتاب، أم عدّوا في سباق. كذلك، فإن الطعام يزود الإنسان بالمواد التي يحتاج إليها من أجل بناءه جسمه وإصلاح أنسجته، ولكي ينظم عمل أعضائه وأجهزته.

أمّا عالم التغذية الفرنسي Jean Trémolières يعرف الغذاء على أنه "مادة غذائية تحتوي على مغذيات، إذن هي مغذية وقادرة على إشباع رغبة الأكل إذن مُشبعة وعادة ما تستهلك في مجتمع ملاحظ إذن فهي معتادة"³² ويعتبر الإنسان أحد الكائنات الحية القادرة على التكيف مع التحولات البيئية المؤثرة على العادات الغذائية. فالإنسان يتأقلم مع الوسط الذي يوجد فيه والخصائص التي تطبع هذا الوسط. وذلك راجع إلى امتلاك الإنسان ميكانيزمات بيولوجية داخلية تساعد على تقبل أي غذاء بالإضافة إلى ذلك التغذية البشرية يطمعها نوع من التعقّد: فالإنسان له القدرة على التجديد في تغذيته غير أن كل غذاء غريب ودخيل عليه يشكل خطرا بالنسبة له.

II-2 العادات الغذائية :

تُعبّر العادة عن إستعداد شخص ما أو جماعة للتصرّف في كثير من الأحيان بنفس الطريقة من خلال التكرار والإعادة. وهي تحيل كذلك على أعراف وعادات مجتمع ما من خلال تعوده على القيام بفعل ما بشكل متكرر يرسخ الفعل كسلوك مكتسب. فالعادة هي طريقة

³¹ Dictionnaire de Biologie, Edition CILF 2000, p :140

³² Jean Trémolières, Alimentation et Santé « Manuel de l'alimentation humaine » Tome I, Les bases de l'alimentation, ESF, 9eme édition, 1980, P65

مكتسبة للعيش، التصرف، الإحساس والتفكير. وتستند عادات الأكل على عوامل حسية واجتماعية وثقافية.

أ- الغذاء وقوة العادة

تتعلق العادات الغذائية باختيار متكرر يقوم به شخص أو مجموعة من الناس بخصوص أطعمة بغرض استهلاكها. وترتبط أيضاً بعدد مرات استهلاك تلك الأطعمة وطرق تحضيرها واستهلاكها³³. وتخضع العادات الغذائية إلى انتقال جيلي. بحيث تتوارثها الأجيال كسلوكات وتنقلها إلى الفرد عبر أبويه أو بيئته عن طريق التقليد اللاشعوري لتصرفات أفراد الأسرة داخل المجتمع. وهنا تصبح العادة الغذائية مثل كثير من المهارات التي يكتسبها الفرد أثناء مراحل النمو كالكلام والمشي. لهذا فالعادات الغذائية هي أكثر العادات مقاومة للتعبير بحيث غالباً ما يعتقد الفرد أن العادات الغذائية الخاصة بجماعة (الأسرة أو المجتمع) صحيحة وسليمة وينظر إلى باقي الطرق والنماذج الغذائية على أنها غريبة وشاذة أو مهزوزة. ومن العادات ما يركز على معتقدات دينية خرافية صادفها الفرد ومارسها دون أن يناقشها إما تحت قوة الوازع الديني أو لأنها رأي الجماعة.

فالغذاء يخضع لسلطة العادة كما يعبر عن ذلك Paul Guillaum الذي يرى أن السلوك الاعتيادي يتكون من مجموعة من العناصر المعقدة التي تحكم اندماج فرد عضواً واجتماعياً في المجتمع. ويؤكد Paul Guillaume على البعد الوظيفي للعادات الغذائية التي نكتسبها. وفي نظره يحقق السلوك الاعتيادي المكتسب توازناً ما وتكيفاً مع الوضع القائم. لكن إذا كان التكيف يظل نسبياً ولا يحدث دائماً، فإن التطور في فعل معين يرجع إلى مجموعة من المثيرات التي تجعل من الفعل سلوكاً فعالاً بالنسبة للفرد، ذلك أن الفشل أو النجاح في سلوك معين يتم تقديره حسب الشخص، بل وحسب درجة اللاتوازن التي يشعر بها الفرد، هذا التوازن الذي يجعله يعتقد أن سلوكه الاعتيادي ماضٍ في تحقيق استقرار له.³⁴

³³ Université Laval, Office Québécois de la langue française, 2006.

³⁴ Paul Guillaume, la Formation des habitudes, Paris : PUF, 1973, P27-28

وقد أكد ذلك عالم النفس Chiva Matty على صعيد آخر عندما تحدث عن الأكل كوسيلة للتعلم الدائم. لاسيما عند الأطفال الذين يقومون بعمليات التعلم والتحديث من خلال احتكاكهم بالآخر. فالرضيع منذ بداية الحياة وحين يصير طفلاً ثم راشداً "يبني العالم ويبني نفسه. هذا البناء ليس مجرد عمل ميكانيكي فحسب، بل هو أيضاً خلق للهوية، الذات والغذاء، انخراط في سياق ثقافي ورمزي بالإضافة إلى طريقة للتواصل مع الآخرين ومشاركة القيم والفضائل معهم." ³⁵ فالأكل كنشاط بشري، لا يتحدد فقط بمحددات بيولوجية وفيزيولوجية، لكنه في نفس الوقت هو نشاط اجتماعي. فالأكل ليس مجرد امتصاص للأغذية والسوائل الضرورية للحياة بل يحتل كذلك مكانة مهمة في النسيج الاجتماعي والعائلي.

ب- العادات الغذائية والطبقة الاجتماعية

تطرق علماء الأنثروبولوجيا في سياق بحوثهم العلمية بخصوص العادات الغذائية للتعريف لمفهوم الغذاء والتغذية. وقد اتفقت العديد من التعاريف لعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن العادات الغذائية تتضمن كفعل وممارسة، مفهوم الطبقة الاجتماعية. بحيث تتميز كل طبقة اجتماعية كما أشارت الأنثروبولوجية Margaret Mead "بمجموعة من العادات الغذائية المميزة لها تضطلع بدور حيوي في تأسيس وترسيخ النمط الغذائي للطبقة الاجتماعية" ³⁶ ومن جهة ثانية كتب كل من M.Damon وAgbessi Dos Santos "أن العادات الغذائية لشعب ما، هي تعبير على نموذج الحضارة التي يعيشها" ³⁷. كما يرى Tourne أن "تغير العادات والممارسات الغذائية مؤثر من بين أخرى تدل على تطور مجتمع معين" ³⁸ فالعادات الغذائية حسب Tourne تعكس تنظيمه الاجتماعي وتتعدى الأكل كعملية بيولوجية. فهي أحسن وسيلة تعكس الحقائق الاجتماعية والاقتصادية، ونموذج حياة مجموعة اجتماعية. فالطعام نتاج تنظيم المجتمع ومرآته. بحيث ينفرد كل مجتمع بطريقة

³⁵ Matty Chiva. De l'honnête volupté : la place du plaisir dans le déterminisme des conduites alimentaires. Université de Paris X – Nanterre, 1997

³⁶ Margaret Mead, Manuel for the study of food habits, in bulletin of national research council National Academy of Science, N°11

³⁷ Agbessi Dos Santos Michel Damon, Manuel de nutrition africaine, Edition Carthela, 1987, P 63

³⁸ Tourne F, "Le Comportement alimentaire des étudiants français", Edition : MNEP/CEFS, Paris, Novembre 1982, P : 80

خاصة في إعداد الطعام وتناوله ويبدو ذلك واضحاً في الوقت الراهن لتنوع واختلاف أطعمة الشعوب وطريقة إعدادها.

ت- العادات الغذائية كنموذج ثقافي

نجد العديد من الكتابات التي أكدت أهمية وظائف العادات الغذائية في تمييز مجتمع عن آخر وتكريس خصوصيته. باعتبارها أي (العادات الغذائية) مميزات ثقافية. وفي هذا الصدد نجد العالم Parviz Ghadirian المتخصص في علم التغذية يؤكد أن "معرفة العادات الغذائية وحدودها هو أمر أساسي من أجل تحليل المخططات الغذائية في أي مجتمع. فهي إحدى الملامح المميزة الأكثر وضوحاً للشعوب ولأنها تعكس وتتأثر بالملامح الثقافية للمجتمع"³⁹. بحيث يشكل الغذاء جزءاً مهماً من ثقافة مجتمع ما، فكل مجتمع يحاول تأصيل هويته وتفرد بثقافة طعامه التي تختلف عن الآخرين. إن شخصية الإنسان تظهر من خلال الطعام الذي يتناوله وطريقة إعداده وطهيته لطعامه وفي ذلك أشار الكاتب والفيلسوف الفرنسي Jean Brillat Savarin بمقولته الشهيرة "قل لي ماذا تأكل أقول لك من أنت"⁴⁰.

ومن جهة أخرى تشكل العادات الغذائية إحدى أنماط الثقافة كما يدعى "ويسلر" الذي أدرج عادات الطعام ضمن العناصر والمركبات المادية للثقافة. وتتعلق عادات الطعام بالمطبخ الذي يختلف من مجتمع لآخر تبعاً لمجموعة من المتغيرات " فالمطبخ جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، وتختلف أنواع ونكهات الطعام تبعاً للثقافة التي بدورها تأثرت بالجماعة وبيئتها الاجتماعية والجغرافية والتاريخية"⁴¹

III - مدلول التغير الاجتماعي من خلال النظريات السوسيولوجية

ركزت العلوم الطبيعية والإنسانية منذ زمن بعيد على مظاهر التطور حتى أصبح من الأمور البديهية الإقرار بأن هناك تطوراً أو تحولاً في كل شيء بما في ذلك العلوم

³⁹ Parviz Ghadirian, Résultats préliminaires d'une enquête sur les habitudes alimentaires des canadiens-français à Montréal, Med et Nuit, 1996, P :39

⁴⁰ Jean Anthelme Brillat-Savarin, Physiologie du gout, ou méditations de gastronomie transcendante, éd Charpentier, 1838

⁴¹ مريم بشيش، الطعام التقليدي والعولمة مجلة الثقافة الشعبية، العدد 9 - ص 87

والمعرفة⁴². لكنها اختلفت في تحديد طرق فهم إشكالية التغير، وتنوعت بحسب تعدد زوايا النظر التي ينطلق منها كل اتجاه معرفي على حدة. فكل اتجاه نظري طرح مقاربات نظرية ورؤى تحليلية ونماذج تفسيرية لإشكالية التغير الاجتماعي وعوامله.

يعتبر مفهوم التغير الاجتماعي أهم المفاهيم المرتبطة بعلم الاجتماع والذي يشير إلى التغير المستمر في المجتمع بسبب تأثيره بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وفي هذا الإطار، يذهب عالم الاجتماع الانجليزي Antoni Gidner إلى القول بأن التغير الاجتماعي هو تحول في البنى الأساسية للجماعة الاجتماعية أو المجتمع. حيث يرى أن " التغير الاجتماعي هو ظاهرة ملازمة على الدوام للحياة الاجتماعية"⁴³ ولعل ما يفهم من ذلك هو أن التغير ينطوي في عمقه على نوع من الاستمرارية فهو عملية مستمرة ومتجددة في آن واحد. لهذا قاربنا في هذا الإطار المفاهيمي مفهوم التغير بكثير من الحذر في التعامل مع الارث النظري الذي خلفه التراث السوسيولوجي والأنثروبولوجي. فالمقاربة المفاهيمية الرصينة تكمن بدون شك في التأسيس النظري للظاهرة المدروسة. وفي هذا الإطار تكشف لنا الأدبيات المعاصرة عن كم هائل من المحاولات الفكرية والإسهامات العلمية التي تدارست موضوع التغير.

1- التغير الاجتماعي في النظريات السوسيولوجية :

يحفل التراث السوسيولوجي بالكثير من التعاريف التي ترتبط بمفهوم التحولات الاجتماعية بوصفها تلك "التغييرات الواسعة والكبيرة في البنى الاجتماعية للمجتمع والتي تحدث أثرا في نظام المجتمع وتؤثر في العلاقات بين الأفراد"⁴⁴. وفي ذلك إشارة إلى أن التغير مسألة طبيعية تشهدها كل المجتمعات الانسانية. إذ لا وجود لمجتمع ثابت بشكل كلي بحكم تفاعل مجموعة من التغييرات داخل بنياته الأساسية كما أن التغير لا يخضع لإرادة

⁴² لحبيب لمعمري، العمليات الاجتماعية والتغير الاجتماعي، دفاثر (مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية)،

التغير وآليات المراقبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - فاس- العدد الأول، دجنبر، 1997، ص: 40

⁴³ انتوني غدنر، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005، صفحة 143

⁴⁴ عبد اللطيف كداي، التحولات الاجتماعية القيمة للشباب المغربي محاولة للرصد والفهم، التدريس مجلة كلية علوم التربية، العدد 7، السلسلة

الجديدة، يونيو 2015، ص : 99/79

معينة، بل إنه نتيجة لتيارات وعوامل ثقافية اقتصادية وسياسية متداخلة يؤثر بعضها في بعض.

أ- النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية

لقد ربط الرواد الأوائل في علم الاجتماع، طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مفهوم التغير الاجتماعي بفكرة التقدم. إذ تقوم نظرية التقدم الاجتماعي في نظرتها إلى التغير الاجتماعي على أنه يسير في خط متصاعد أي أن التغير يكون ارتقائياً، وأن المجتمعات في تقدم مستمر. ومن ممثلي هذا الاتجاه جان جاك روسو J.J.Rousseau وأوجست كونت A.comte وهربرت سبنسر H.spencer .

وقد جاءت نظرية J.J.Rousseau عن التقدم الاجتماعي في كتابه المعروف "العقد الاجتماعي" Social Contrat ومن خلالها، نجد أن تقدم الحياة الإنسانية وتطورها قد مرّ بمراحل مختلفة:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الحياة الفطرية وخضوع الإنسان للنظام الطبيعي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الملكية الفردية والإنتاج اليدوي في مجال الزراعة مما حفّز الإنسان على الاستقرار وتشكيل أسرة.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة عدم المساواة، وفيها زاد التنافس والصراع بين الأفراد والجماعات وأصبحت السيطرة للأقوى.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التعاقدية، وفيها تم التعاقد بين الأفراد وقيام التنظيم السياسي المنظم، واختيار حاكم يحكم بإرادتهم.

أما أوجست كونت فقد توصل (Auguste Conte 1779-1857): من خلال دراسته التغير الاجتماعي والبناء الاجتماعي إلى قانون الحالات أو المراحل العقلية الثلاث ونظريته

في التقدم الاجتماعي الخطي⁴⁵. ويرى كونت أن التطور الارتقائي الذي شهدته الإنسانية يبدو في مظهرين هما:

أولاً: التقدم الارتقائي للحالة الاجتماعية: فهي في تحسن مستمر وذلك بفضل ما نستطيع كشفه من قوانين الظواهر الاجتماعية. للتنبؤ بسير الظواهر فيحول ذلك دون انحرافها من خلال ضبطها وتوجيهها الوجهة المرغوبة.

ثانياً: التقدم الارتقائي للطبيعية البشرية، الذي حدث في النواحي الطبيعية والعقلية والأخلاقية.

وتعتبر فكرة التطور، من أهم الأحداث الكبرى التي سيطرت على الفكر الإنساني، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان لكتاب داروين " أصل الأنواع " الذي نشره عام 1859م أكبر الأثر في نشوء النظرية التطورية في الفكر السوسيولوجي. ومن أشهر الممثلين للاتجاه التطوري في علم الاجتماع العالم الإنجليزي هربرت سبنسر، الذي يعتبر من أهم دعائم الحركة الاجتماعية العلمية في القرن التاسع عشر، وهناك تشابه كبير بين نظريته الاجتماعية ونظرية داروين البيولوجية، حيث شبه تطور المجتمع بتطور الكائن العضوي.

ويرى سبنسر أن كل الأفعال تسير وفق قانون "الاتصال النسبي " أي أنها مرتبطة ببعضها، حيث أن هناك تشابهاً بين المجتمع والكائن العضوي في عدة مجالات. وهو يرى أن التطور بشكل عام يتجه تدريجياً من مرحلة التجانس إلى مرحلة اللاتجانس وصولاً إلى مرحلة التكامل. وفي هذا الصدد، حاول هربرت سبنسر أن يفسر تغير (نمو) المجتمعات انطلاقاً من تصور وظيفي للمجتمع، حيث يرى أنه " لا يمكن أن يتم التغير في البناء التركيبي دون حدوث تغيرات في الوظائف والأدوار... نظراً لأن كثيراً من تغيرات البنية

⁴⁵قانون الحالات الثلاث: • الحالة الدينية اللاهوتية (الثيولوجية): وهي المرحلة التي كانت تفسر فيها الظواهر المختلفة بعلم أولية. • الحالة الفلسفية (المتافيزيقية) (1800-1300): يسميها (بعصر الثورات الغربية) ويكون تفكير الإنسانية وتصوراتها أقل تشخيصاً. وتستبدل العلة الأولية بعلة أكثر عمومية وهي كينونات ميتافيزيقية (فوق الحس الإنساني). • الحالة العلمية (الوضعية) من (1800م إلى ما لانهاية): فيها تفسر الظواهر بعلة تقوم على المنهج العلمي المبني على الملاحظة. والتجربة والمقارنة التاريخية والابتعاد عن العلة المجردة.

في المجتمع تبرزها التغيرات الوظيفية أكثر مما يمكن رؤيتها مباشرة".⁴⁶ ففي هذا الاتجاه بلور سبنسر نظريته الاجتماعية حول التغير أو التطور الاجتماعي، حيث اعتبر أن المجتمع يتطور من حالة المجتمع البسيط مجسداً في الأسرة إلى حالة المجتمع المركب، مجسداً في المجتمعات الصناعية المعاصرة.

ب- النظريات السوسيولوجية الحديثة

تذهب نظرية الفعل الاجتماعي إلى القول بأن الأفعال تتمركز حول مختلف الفاعلين الاجتماعيين، وبالتالي فالتغير يكون نتيجة حدوث فاعلين يقومون في فترات معينة بمجموعة من الأنشطة الاقتصادية أو السياسية التي تساهم في إحداث التغير الاجتماعي. كما تقف نظرية الفعل عند مستويين أساسيين من التغير الاجتماعي: الأول يعتبر أن التغير يقع على مستوى الماكرو أي المجتمع العام الكلي، والثاني يرى بأن التغير يحدث على مستوى الميكرو. وهنا يرى ماكس فيبر في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية أن "القيم والمقومات الثقافية هي الأكثر تأثيراً في التغير الاجتماعي، وبالتحديد مفهوم العقلانية".⁴⁷ فالتغير الاجتماعي يمكن أن يحدث لأسباب عديدة، وبلغة أكثر دقة فإن التغير الاجتماعي متعدد العوامل وفقاً لتحليل ماكس فيبر.

بينما تنطلق النظرية الماركسية في تفسيرها للتغير الاجتماعي من اعتبار أن العامل الاقتصادي هو الموجه للحياة الاجتماعية. ومعنى ذلك أن المجتمع يتأسس على أساس اقتصادي يكمن في علاقات الإنتاج وأنماط الإنتاج السائدة في كل مرحلة تاريخية. وفي هذا المضمار يقول كارل ماركس (Karl Marx) إن شكل الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يبيت بالصفة العامة لعمليات الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية.⁴⁸ ومن ثمة فإن التغير

⁴⁶ هيربرت سبنسر " نمو المجتمعات "، ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1984، ص 26.

⁴⁷ مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002، ص 56.

⁴⁸ كارل ماركس. «موجز في المادية التاريخية». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. 1984 ص 63.

الاجتماعي يحدث بفعل تغير في التركيب المادي والاقتصادي للمجتمع. بحيث أنه " لما يتغير الأساس الاقتصادي تحدث تغيرات في البنية العليا الهائلة بكاملها وبنفس السرعة تقريباً"⁴⁹.

أمّا دوركهيم، رائد الاتجاه الوظيفي، فقد قام بتفسير التغير الاجتماعي بالاعتماد على العامل الديموغرافي الذي أكد على وجود علاقة بين السكان وقضايا التخلف والتقدم، أي بمسألة التغير الاجتماعي عموماً، من خلال العلاقة بين النسق الديموغرافي والبناء الاجتماعي. وقد أكد " دوركهيم " في تحليله للعامل الديموغرافي والتغير الاجتماعي على أن تقسيم العمل قد أحدث تغييرات جذرية بالانتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي الخاص بالمجتمعات الحديثة، الذي يمر عبر عامل التزايد السكاني، وفي هذا الصدد يقول: "إننا عندما نحدّد السبب الرئيسي للتقدم الحاصل على مستوى تقسيم العمل. نُحدّد في الوقت ذاته العامل الجوهري لما نُسميه الحضارة."⁵⁰

وضمن نفس التوجه الوظيفي اعتبر عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (TalcottParsons) أنه لتفسير حالة التغير ينبغي الرجوع إلى حالة عدم التغير أي فترة الثبات والتوازن. ويشير إلى ذلك بقوله "لا يمكن أن تظهر مواصفات التغير إذا لم يكن هناك خلفية نسبية لعدم التغير التي يمكن ربطها به."⁵¹

ويضيف بارسونز قائلاً: "إن بنية النظام الاجتماعي وبيئته، يجب أن تُميزا عن سيرورة التقدم التي تتم داخل النظام وعن التغير المتبادل بين النظام وبيئته"⁵²

ت- النظريات السوسيولوجية المعاصرة

ومن بين العلماء السوسيولوجيين الذين حاولوا تقديم تعريف لمفهوم التحول نجد Michel Forsé و Henri Mendras اللذين أكدا على أنه مهما قُدم من تعريف لمفهوم التحول فإنه يبقى تعريفاً غير محدد بشكل كاف. لكن بالمقابل يبرز علاقات بين مستويات مختلفة للتحول. لأنه "لا توجد نظرية عامة للتغير الاجتماعي وأنه من المستحيل الاعتماد

⁴⁹المرجع نفسه، ص 63

⁵⁰ Emile Durkheim, De la Division du Travail Social, Paris, PUF, 1960, P224

⁵¹ تالكوت بارسونز النظريات الوظيفية للتغير «». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. 1984. ص 132.

⁵²المرجع نفسه، ص 133

على تصور واحد، بما أنها ستكون نظرية عامة للتاريخ⁵³ وعلى هذا الأساس، فقد ميز الباحثون بين التحول العام والتحول المحلي أي بين التحولات الميكروسوسولوجية والماكروسوسولوجية لهذا يعني التحول في نظر الباحثان التحول الذي يحصل في المجتمع برمته وليس محصوراً في ظاهرة ما⁵⁴.

إن صعوبة تحديد تعريف دقيق لمفهوم التحول جعل Boudon Raymond يعتمد على مجموعة من النظريات لتناول المفهوم في مستويات مختلفة مرتبطة بـ: شروط انتاج التحول مراحل التحول وأشكال التحول.⁵⁵ وفي هذا الصدد يمكن أن يعني التغيير الاجتماعي ظهور اختلاف يمكن ملاحظته في البناء الاجتماعي أو في العادات المعروفة. إن عنصر الاختلاف يمكن أن يرتبط بالأشياء والأدوار والعلاقات والعادات الاجتماعية ... الخ. وأي اختلاف يطرأ على هذه العناصر مع مرور الزمن يعتبر تغيراً اجتماعياً.

وهنا يظهر عامل الزمن كعنصر أساسي في حدوث التغير الاجتماعي، لأن التغير في الواقع كما يقول إميل دوركهايم "هو قبل كل شيء مرحلة تاريخية انتقالية بين حالتين مستقرتين للمجتمع"⁵⁶ أي الاختلاف الملاحظ بين الحالات السابقة والتالية لمنطقة محددة من الواقع الاجتماعي أو بالأحرى ما يحدث بين مرحلتين بمرور الوقت.

وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه الباحث السوسيولوجي الفرنسي Grigori Lazarev حين أشار إلى أن "التغير الاجتماعي هو التحول القابل للملاحظة الذي يؤثر في بنية ووظيفة التنظيم الاجتماعي لجماعة ما ويغير مجرى تاريخها"⁵⁷ وقد اعتبر Lazarev أن كل المجتمعات تتحول، بل يجب أن نرصد هذا التحول بتتبع التاريخ الخاص بمنطقة معينة، وكأننا نضع تحليلاً لحالة معينة في علاقتها مع حالة سابقة. وهو نفس التصور الذي سبق أن

⁵³ Henri Mendras, Forsé Michel, Le changement social, tendances et paradigmes, Paris, Armand Colin, 1983, p :7

⁵⁴ Henri Mendras, Forsé Michel, Le changement social, tendances et paradigmes, Paris, Armand Colin, 1983, p8-9

⁵⁵ Raymon Boudon, Dictionnaire critique de la sociologie, Paris, PUF, 1986, p70-71

⁵⁶ Alexis Trémoulinas, Sociologie des changements sociaux, Paris, Edition La découverte, 2006, P9

⁵⁷ Grigori Lazarev, « changement social et développement : études sociologiques sur le Maroc », in BESM, RABAT, Nouvelle édition, 1978, p130

ذهب اليه عالم الاجتماع الفرنسي Guy Rocher عندما قال بأن "التغيير الاجتماعي يتوقف الى حد ما على التحولات الملحوظة والقابلة للتحقيق على مدى فترات زمنية قصيرة".⁵⁸

2- التحول أو التغيير: صعوبة تحديد المفهوم

يتضح من خلال جردنا لأهم النظريات والاتجاهات التي تناولت ظاهرة التغيير الاجتماعي أنها وظفت في ذلك مفاهيم متقاربة الدلالة، تنتمي الى نفس الحقل الدلالي. وتحيل تقريبا على نفس المعنى، بحيث تتميز هذه المفاهيم بالتشابه والتشابه. وفي هذا الإطار يؤكد جورج بلاندي على أن "مصطلح التحول مثلا يندرج ضمن حقل دلالي موسع يتضمن مصطلحات متقاربة مثل التغيير، التطور، النمو، الثورة، التحديث الخ".⁵⁹ غير اننا نلاحظ تشابهاً شبه تام بين مفهومين أساسيين: التحول الاجتماعي والتغيير الاجتماعي. فماذا يعني كل واحد منهما:

أ- التحول الاجتماعي:

يعتبر التعريف الذي قدمه جورج بلاندي أحد أهم التعاريف لمفهوم التحول وقد استمد هذا التعريف من Roger Bastide حيث يرى أن "هذا المفهوم يرتبط بالتغيير الاجتماعي الذي يحدد الانتقال من بنية الى بنية اخرى كرجة تطال الأنساق القائمة".⁶⁰ ومن ثم، فإن التحول يعني تغيير بنيوي وعملية موجهة نحو تغيير الأنساق الاجتماعية وخلق أوضاع اجتماعية جديدة، من حيث شكلها التنظيمي وسيرها العام؛ طبقا لحدة ودرجة عوامل هذا التحول، خصوصاً إذا كانت قوى التغيير ذات مفعول كبير، وكانت الضغوطات التي تمارس على النسق تؤدي إلى تغييرات على مستوى بنيته. وهي التغييرات التي تنتج أوضاعا مختلفة أكثر من الوضعية السابقة التي أخذتها نقطة انطلاق. وتتميز عملية التحول الاجتماعي بكونها غير معطاة سوسيولوجيا، أي غير قابلة للملاحظة السوسيولوجية. حيث تظل متخفية قبل أن تطفو على السطح وتساهم في إحداث تغييرات داخل المجتمع.

⁵⁸ Guy Rocher, Introduction à la sociologie générale, le changement social, édition HMH, P 22

⁵⁹ Georges Balandier, Sens et Puissance, PUF, Paris, 1971, P :78

⁶⁰ Roger Bastide, Anthropologie appliquée, P.B Payot, Paris, 1971, P :45

ب -التغير الاجتماعي

ينظر إليه على انه كل تحول للبنية الاجتماعية وهو تحول قابل للملاحظة على مدى زمني معين. حيث " يطال بشكل مستمر البنية الاجتماعية أو وظائف التنظيم الاجتماعي لجماعة ما. كما أنه يساهم في تغيير مجرى تاريخ هذه الأخيرة"⁶¹. وهو بذلك يمس مختلف البنيات والمؤسسات الاجتماعية وخدمات متنوعة اجتماعية وثقافية ويتحدد التغير الاجتماعي من خلال العناصر المتحركة فيه، والشروط التي أوجدتها. وفي هذا الإطار يقوم Guy Rocher بصياغة أربعة شروط لعمليات التغيير الاجتماعي.⁶²

أولاً: التغير الاجتماعي هو تغيير للبنية أي أنه يساعدنا على ملاحظة التنظيم الاجتماعي في كليته أو على الأقل في بعض مكوناته ويسمح لنا بتحديد العناصر البنوية أو الثقافية للتنظيم الاجتماعي والتبدلات التي طرأت عليه.

ثانياً: التغير ظاهرة جماعية.

ثالثاً: على التغيير الاجتماعي ان يتم تحديده في الزمن بحيث لا يمكن تقييم وقياس تغيير إلا بالنسبة لنقطة مرجعية في الماضي.

رابعاً: التغير الاجتماعي بالنسبة ل Guy Rocher هو "كل تغير للبنية الاجتماعية يجب أن يبرهن على نوع من الاستمرارية. فالتغير الاجتماعي هو كل تحول قابل للملاحظة في الزمان يؤثر بشكل لا يكون مؤقتاً على بنية أو نشاط التنظيم الاجتماعي."⁶³

وبناء على كل ما سبق عرضه، يمكن اعتبار التغيير الاجتماعي هو كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بناءه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، وينص على كل تعبير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي أو نظمه الاجتماعية أو انماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الافراد وعاداتهم وتصوراتهم وممارساتهم.

⁶¹ Georges Balandier, Sens et Puissance, op cité, P : 82

⁶² Guy Rocher, Le Changement social, Introduction à la Sociologie, 1968, P22

⁶³ Guy Rocher, Le Changement social, op cité, P :24

وبعد هذا الجرد لمختلف التعاريف لمفهوم التغير/التحول الاجتماعي من خلال عرضنا لأهم النظريات السوسيولوجية التي تناولت المفهوم، سوف نتناول مفهوم التحول الذي طال العادات الاجتماعية الغذائية بمنطقة الريف الشرقي كفعل وممارسة من حيث النوعية او الكيفية وكذلك السلوكيات المصاحبة للوجبات الغذائية.

الفصل الثاني: موضوع التغذية في العلوم الاجتماعية

تقديم

يعتبر موضوع التغذية في البحث العلمي ملتقى للعديد من الحقول المعرفية كالتاريخ، الاقتصاد، السوسيولوجيا والجغرافيا وكذلك الأنثروبولوجيا. وسنحاول في هذا الفصل التطرق لمختلف الرؤى النظرية التي فسرت الظاهرة الغذائية في المجتمع، بدءاً من الدراسات التاريخية التي وصفت وحلّلت تطور مظاهر التغذية على مرّ الحقب الزمنية المتعاقبة، مروراً بالتحليلات الأنثروبولوجية التي قدمها الرواد الأنثروبولوجيون. مع التركيز على التيارات والمدارس السوسيولوجية التي تعرضت لفعل التغذية كموضوع، مفهوم وظاهرة في حقول علم الاجتماع. ومن خلال ما سبق، تعدّ التغذية "ملتقى معرفي"⁶⁴ لكثير من التخصصات المعرفية، بحيث تتمفصل كموضوع معرفي مع العديد من الحقول، منها ما يتصل بالسوسيولوجيا، ومنها ما يحيل على الأنثروبولوجيا، فضلاً عما يرتبط بالتاريخ.

I- التغذية في الدراسات التاريخية

وإذا كان كل حقل معرفي تناول مسألة التغذية من زاوية نظره، فإن الأبحاث التاريخية في هذا الميدان تفرض نفسها بقوة في الحاضر، باستخدام مناهج علمية وطرح إشكاليات ومفاهيم وظيفية بعيداً عن كل الاعتبارات السردية أو التصويرية. وقد ارتبط تاريخ التغذية

⁶⁴ عبد الرحيم العطري، قرابة الملح الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، المكتبة الجامعية، 2016، ص:18

كحقل معرفي بدراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة. حيث تعتمد كتابة تاريخ التغذية أساساً على تفكيك صيرورة تحويل الثروات الطبيعية النباتية والحيوانية إلى ممارسات وسلوكيات غذائية يومية. ولهذا، فالمقاربة التاريخية لموضوع التحولات الغذائية ذات أهمية قصوى لفهم سلسلة من الممارسات الغذائية التي نجد جذورها في قرون مضت.

يهدف تاريخ التغذية الى تحقيق غاية معرفية هامة تتجلى بشكل أساسي في وصف المجتمعات بشكل مباشر وملمس من خلال رصد تجارب الأكل وحالات الجوع لديها، واستحضار ذاكرة الارتباط العاطفي الذي يجمع الأفراد والجماعات ببعض الاغذية. وإذا كانت الكتابات التاريخية حول موضوع الغذاء وأبعاده المعرفية عرفت تطوراً ملحوظاً في أوروبا وأمريكا، إلا أنه لم يلقى نفس الحظوة والاهتمام عند المؤرخين في المغرب

I-1 التغذية والبحث التاريخي بأوروبا والمغرب

أ- التغذية والبحث التاريخي بأوروبا

تبوأَت الأبحاث والدراسات الغزيرة حول تاريخ التغذية مكانة عالية من بين الحقول المعرفية الأخرى، خصوصاً في أوروبا وأمريكا وأستراليا، الشيء الذي يؤكد الخصوبة المعرفية لتاريخ التغذية. وهذا ما جعل الباحث محمد حبيدة يصف تيمة التغذية "بالوضعية الاستراتيجية"⁶⁵ في الحياة ومنظومة القيم في مختلف المجتمعات الأوروبية.

وقد شكل موضوع التغذية والإشكاليات المرتبطة به، أحد المحاور الأساسية للكتابة والبحث التاريخي منذ بداية ق 19، ويعتبر Jules Michelet و Alfred Franklin من بين المؤرخين الذين انشغلوا كثيراً بالتغذية والطبخ والمهن المرتبطة بها في مؤلفاتهم المرجعية⁶⁶. إلا أن André Burguière وجه انتقاداً لهذه المؤلفات باعتبار أن "العيب الكبير لهذه المؤلفات خاصة فيما يتعلق بمشاكل التغذية أنها غير قادرة على إعطاء معنى إعادة تشكيل هذا الواقع الماضي إلا بتسطير بعدها أو قربها من الواقع الحالي. لأنه بصفة عامة، قليلاً ما يتم الانشغال بأشكال التطور التي تلازم التغذية أو ربط تاريخ التغذية

⁶⁵ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, Op cit, P 11

⁶⁶ -Jules Michelet, L'Histoire de France, éditions de A. Lacroix 1876

-Alfred Franklin, *La vie privée d'autrefois*, Bibliothèque de l'École des chartes, 1888

بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية أو الذهنية"⁶⁷. على اعتبار أن تاريخ التغذية في منطق André Burguière لم يحظ في القرن 19 باهتمام كبير كموضوع للعلوم الاجتماعية عامة والتاريخ خاصة بحيث طغى التاريخ العام على تاريخ الحياة اليومية التي لم تكن إلا تفاصيل لها أهميتها عندما تخدم التاريخ العام.

ب- الحوليات: الغذاء في أبعاد معرفية جديدة

قلّلت معظم الأعمال من البعد الزمني للغذاء لفترة طويلة ولم يأخذ في الاعتبار جوانبه التطورية. حيث تم التركيز على تفاصيل ممارسات تناول الطعام، وعلى استدامة الطبخ على حساب مسألة التحول والتطور. وقد طرحت مدرسة "حوليات"، التي تركز على تاريخ الغذاء والحساسيات الغذائية والذوق، مسألة التغيير. حيث دعت إلى المزيد من الدراسات ليس فقط حول موضوع ممارسات تناول الطعام ولكن موضوع الغذاء بشكل عام.

ان الوعي بالاستعمال اليومي للغذاء وكتابته أتى بشكل متأخر مقارنة بالتاريخ العام الذي يبقى في مجمله تاريخ حروب وأحداث سياسية واجتماعية. حيث بدأت كتابة تاريخ التغذية ابتداء من سنوات 1930 من القرن الماضي مع الجيل الأول من الحوليات Les Annales. ولقد تميزت هذه الحقبة بربط تحولات العادات الغذائية بالتحولات الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية. حيث تم إدراج التغذية في تاريخ الاقليات والعادات الثقافية والبنىات السوسيو-اقتصادية.⁶⁸ وفي هذا الإطار، نذكر مجموعة من المؤرخين الذين ركزوا في أبحاثهم⁶⁹ على قضايا هامة نذكر منها: أثر تحول العادات الغذائية في التوازن النفسي والبيولوجي، مساهمة التوسع الاستعماري في التحول النظام الغذائي، ثم دور الغذاء في

⁶⁷ أمينة بريديعة، «تاريخ التغذية» ترجمة لمقال:

Burguière André, « Alimentation », in : Dictionnaire des sciences historiques, p.7-11
"الأطعمة والأشربة في تاريخ المغرب" مجلة أمل، 1999، العدد 16، ص 179-180.

⁶⁸ Faustine Régner, Anne Lhuissier et Séverine Gojard, Sociologie de l'alimentation, Collection : Repères Éditeur : La Découverte, 2009, P :9

⁶⁹ - William Ashley, The Bread of our forfathers, an enquiry in economic history, Oxford, 1928

-Adam Maurizzio, Histoire de l'alimentation végétale chez l'Homme, Journal d'agriculture traditionnelle et de botanique appliquée, 1931

-Roger Dion, Histoire de la vigne et du vin en France, des origines au XIXème siècle, 1960

التعبير عن الطبقات الاجتماعية.⁷⁰ وبالتالي لم يعد تاريخ الغذاء لصيقاً بالأحداث والشخصيات الكبرى، بل تعدى ذلك إلى تحقيق، استقلالية معرفية وبحثية عن التاريخ العام. وقد عرف البحث في تاريخ التغذية تطوراً مع الجيل الثاني من الحوليات ابتداء من سنوات 1950-1960 من القرن العشرين، خصوصاً مع فيرناند بروديل الذي أعطى سنة 1961 الانطلاقة لسلسلة من الأبحاث في مجلة الحوليات، تمحورت حول "تاريخ الحياة المادية والسلوكيات البيولوجية"⁷¹ والتي ساهمت بشكل وافر في كتابة تاريخ التغذية بفرنسا. وتميزت هذه الحقبة بهيمنة تاريخ الثقافة المادية والنزعة الكمية. مما دفع رواد تاريخ التغذية إلى اتخاذ منحى آخر تحت تأثير الانثروبولوجيا التي باتت تركز على الملاحظة، الممارسات، والفعل. وفي هذا الصدد، يعتبر Jean Paul Aron و Jean Louis Flandrin أبرز الوجوه التي قادت هذا التجديد في البحث التاريخي حول موضوع التغذية وذلك من خلال مجموعة من الأبحاث والدراسات⁷² التي أثارت مواضيع وإشكاليات جديدة حول الممارسات الغذائية في زمن البرجوازية وكذلك الأنواق والحساسيات المطبخية. واتجهت الأبحاث كذلك فيما بعد إلى اهتمامات معاصرة من خلال انفتاحها على فاعلين آخرين غير المستهلكين، وذلك بالبحث بشكل أساسي في مفاهيم جديدة من بينها أخطار التغذية، جودة التغذية والأمن الغذائي.

ت- التغذية والاهتمام التاريخي بالمغرب

⁷⁰ أمينة بريدية، «تاريخ التغذية» ترجمة لمقال :

Burgiere André, « Alimentation », in : Dictionnaire des Sciences historiques, p.7-11

منشور في: "الأطعمة والأشربة في تاريخ المغرب" مجلة أمل، 1999، العدد 16، ص 179-180.

⁷¹ Faustine Régnier, Anne Lhuissier et Séverine Gojard, Sociologie de l'alimentation, op cité

⁷² نذكر على سبيل المثال:

- Jean-Paul Aron, *Essai sur la sensibilité alimentaire à Paris au XIXe siècle*, Cahiers des Annales, N°25, Armand Colin, Paris, 1967.- Aron J.P, *LE mangeur du XIXe*, Robert Laffont, Paris, 1973- Aron J.P, « sur les consommations avariées à Paris dans la deuxième moitié du XIXe siècle », Annales ESC, N° 2-3, Mai-Juin, 1975, P553-562.

- Jean-Louis Flandrin, « La distinction par le gout », in Ariès P. et Duby G. (DIR), Histoire de la vie privée. DE la Renaissance aux Lumières, Tome 3, Seuil, Paris, P. 267-309, 1999.- Flandrin J.L, « Le lent cheminement de l'innovation alimentaire », in Piauxet F. (DIR), Nourritures plaisirs et angoisses de la fourchette, Autrement, Mutations, Paris, N°108, 1989, P68-74. Flandrin J.L, Chronique de Platine : pour une gastronomie historique, Odile Jacob, Paris, 1992.- Flandrin J.L, « les heures des repas en France avant le XIXe siècle » in Aymard M. (DIR), Le Temps de manger, Editions de la MSH/Institut national de la recherche agronomique, Paris, 1993. P197-226, Jean-Louis Flandrin et Massimo Montanari, *Histoire de l'alimentation*, Paris, 1996.

إن الاهتمام الفعلي بموضوع التغذية في المغرب لم يبدأ إلا حديثاً. وبشكل أدق، ارتبط البحث التاريخي بالمغرب في مجال التغذية بإطار عام موسوم بالأزمة. حيث لم تكن الكتابات التاريخية لموضوع الغذاء إلا من أجل وصف مجاعة من المجاعات أو قحط أو أوبئة. فجاءت هذه الكتابات للحديث عن تاريخ الأزمة في إطارها العام في غياب أي دراسة لليومي الغذائي. في حين أن الأزمة بشتى أبعادها، شكلت جزء من تاريخ التغذية وليس كل التاريخ. وبالتالي فإن الكتابة التاريخية التي اهتمت بالأزمة، تنتمي إلى التاريخ العام أكثر منه إلى تاريخ التغذية، مما يفيد أن تاريخ التغذية بالمغرب، كمجال علمي لازال في بداياته. وقد عبر عن ذلك المؤرخ المغربي عبد الأحد السبتي بشكل صريح في تقديمه لكتاب محمد حبيدة المغرب النباتي: القرون الـ 15-18، التاريخ والبيولوجيا حيث قال: "لازال تاريخ التغذية كموضوع للبحث قليل الاهتمام وحقل علمي في طور التكوين"⁷³.

إن هذا التوجه المنهجي في التعاطي مع الغذاء بالمغرب خلق بياضات معرفية وترك عدة أسئلة عالقة تخص مكونات النظام الغذائي المغربي وما كان يقات به المغربي في ظل التنوع الثقافي الجهوي والمحلي. ولعل هذا التوجه له ما يبرره، خاصة أمام قلة المراجع المتناولة لتاريخ الغذاء بالمغرب. حيث تعترض المؤرخ المغربي صعوبات جمة متعلقة أساساً بقلة المراجع إن لم نقل انعدامها. وفي هذا الصدد أشار Bernard Rosenberger في كتابه⁷⁴ إلى ندرة المصادر التي تناولت موضوع الغذاء في المغرب باستثناء نصوص بعض المعمرين أو بعض الرحالة. وهذا ما ذهب إليه الأستاذ محمد منقاشي عندما أثار قلة المراجع باستثناء بعض الوثائق المتعلقة بتغذية سلاطين وساكنة القصور، من خلال بعض الكنائش والأرشفيف الخاصة. حيث أكد أن "على الرغم من وفرة الوثائق إلا أن جانبها المجزأ هو عائق رئيسي بالنسبة للمؤرخ المغربي. ومع ذلك، لدينا العديد من الاستشارات الفقهية، وكنائش منازل القياد والقصور والتي تحتوي على قائمة من مؤن القصور والتي تمكنا من رسم تاريخ تغذية القياد. أما فيما يتعلق بالتغذية الشعبية، فإن ندرة كتب الحساب وسجلات

⁷³ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, op, cit P : 7

⁷⁴ Bernard Rosenberger, Société, pouvoir et alimentation, nourriture et précarité au Maroc précolonial, Ed, Alizés, 2001, p6

المساجد والزوايا هي نتيجة لغياب الاهتمام أكثر من كونها منعدمة.⁷⁵ ومنه نستشف أن الاهتمام بالتغذية في المغرب في الكتابات التاريخية لم يكن إلا بشكل عرضي. حيث أن أغلب المعلومات المتوفرة حول التغذية مشتتة بين المونوغرافيات الخاصة بسيرة الأولياء والصالحين أو بعض كتب الأدوية والنباتات أو بعض الوثائق المتعلقة بالحسبة وفقه النوازل . ومن جهة أخرى يمكن القول أن الكتابات التاريخية لم يستهويها موضوع الغذاء لأن "فعل الأكل لم يكن يشكل فعلا استثنائيا. إنه فعل يومي لا يستحق التوثيق كما أن الثقافة الشفوية هي التي كانت تلعب دور الذاكرة وتتحكم في انتقال المهارات الغذائية من الأم الى البنت"⁷⁶ وعلى الرغم من كون التغذية إحدى الضروريات لدى الإنسان، إلا أنها ظلت كموضوع للبحث والدراسة بعيدا عن اهتمامات الباحثين والمؤرخين الذين كانوا لا يتطرقون إليه إلا بشكل عرضي كالحديث عن مجاعة أصابت قوم من الأقوام أو لوصف معيشة الملوك وما يفضلونه من غذاء، وكيفية إعداد الطبخ لديهم. وقد استأثر موضوع التغذية بالمغرب باهتمام قلة من المتخصصين بالتاريخ الاجتماعي. وفي هذا الإطار جاءت كتابات بعض الرحالة والمؤرخين وصفية، فاهتموا بوصف ولائم الانتصارات والمناسبات كما نال موضوع التغذية اهتمام فقهاء النوازل واهتم أطباء العصر الوسيط بالبحث عن فوائد الغذاء ومنافعه وأضراره⁷⁷.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الاهتمام العلمي بموضوع تغذية المغاربة في عهد الحماية كان غائبا لدى الباحثين المغاربة. بالمقابل، اهتم الفرنسيون بشكل قوي بهذا الموضوع⁷⁸. حيث يمكن القول أن الدراسة التاريخية من منظور عصري لموضوع التغذية لم تظهر بالمغرب إلا مع مجيء الفرنسيين إبان دخول البلاد تحت الحماية وهي "دراسات كانت تصدر في الغالب عن أشخاص يهتمون بمعرفة عناصر التغذية ونظام الغذاء لدى المغاربة

⁷⁵ Monkachi Mohamed. L'alimentation traditionnelle dans les campagnes du nord du Maroc. In: Médiévales, n°33, 1997. Cultures et nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger. pp. 91-102 ;

⁷⁶ Monkachi Mohamed. L'alimentation traditionnelle dans les campagnes du nord du Maroc, op cit.p : 94

⁷⁷ جوانب من التغذية لدى المغاربة خلال فترة الحماية ذ. بوجعة رويان، مجلة أمل، العدد 16، سنة 1999، ص 130/152.

⁷⁸ بوجعة رويان جوانب من التغذية لدى المغاربة خلال فترة الحماية، مرجع سابق، ص 135

ومدى تأثيرها على أحوالهم الصحية من زاوية استغلالهم في مشاريع الفلاحة والصناعة الاستعمارييتين أو من باب البحث عن مسالك لتمرير عادات غذائية جديدة وخلق خاصيات جديدة في إطار ما يمكن تسميته "نقل الذواقة"⁷⁹. وفي هذا الإطار نذكر بعض الدراسات⁸⁰ التي قام بها بعض الباحثين الفرنسيين حول تغذية المغاربة وعاداتهم الاستهلاكية، بخلفية فهم البنية الاستهلاكية للمغاربة والتمهيد لاستعمار البلاد اقتصاديا من خلال إغراق السوق المغربية بالمنتجات الأجنبية.

إذا كان موضوع تاريخ الأغذية قد أخذ مكانة مهمة في مجال البحث والتفسير التاريخيين بأوروبا وأمريكا فإنه في المغرب لم يعرف نفس الحظوة الكافية مقارنة مع المجالات الكلاسيكية الأكثر دراسة. إلا أنه لا يمكن تغافل ذكر بعض البحوث والدراسات العلمية في هذا المجال والتي شكلت اجتهادات قيمة انبرى لها باحثون ومؤرخون مغاربة وجهوا بوصلة اهتماماتهم الفكرية لتاريخ التغذية. وفي هذا الصدد نذكر بعض الباحثين ومؤلفاتهم⁸¹ الذين أسهموا بأعمال على قدر كبير من الأهمية أمثال: محمد حبيدة، محمد

⁷⁹ بوجمعة رويان، جوانب من التغذية لدى المغاربة خلال فترة الحماية، مرجع سابق، ص: 131
أهم الدراسات في هذا الشأن نجد:

⁸⁰ - Jean Lavergne. Le poisson au Maroc, Industrie des pêches et industrie dérivées, Toulouse, Clédor, 1932

-M.Gaud L'alimentation indigène au Maroc, BIH, 1933

-Robert Richet et Georges Hardy, L'alimentation indigène dans les colonies françaises. Protectorat et Territoire sous mandat, Vigot frères, Paris, 1933

-Hardy Georges, Une Enquête marocaine sur les niveaux de vie indigenes, 1934

-Mathieu J, Etude de l'alimentation dans le Mellah de Rabat et contrôle de l'état de nutrition de ses habitants, 1937

⁸¹ مجلة أمل، العدد 16 – الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة العدد 16 / 1999 * مجلة أمل، التغذية والأزمة في المغرب النصف الثاني من ق 17 و ق 18، العدد: 17 / السنة 1999

-عبد العالي أحمتي، التغذية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط : قضايا ومناهج، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الموسم الجامعي 2001/2002.

-محمد البركة وسعيد بن حمادة وعبد الهادي البياض، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد. منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 77، أكتوبر 2016

-نزهة نجاح، العادات الغذائية في المغرب زمن الحماية الفرنسية : الثابت والتحول، أطروحة جامعية في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2015.

-تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي : دراسة أنثروبولوجية، نعيمة المدني، دار الأمان، الطبعة الأولى، 2015 .

- عبد الرحيم العطري، قرابة الملح الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، المكتبة الجامعية، 2016
Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, 15eme-18eme siècles, Histoire et Biologie, Editions Wallada, Casablanca, 2008.

Mohamed Oubahli "La main et le pétrin" : Alimentation céréalière et pratiques culinaires dans l'Occident musulman au Moyen Age, thèse de doctorat soutenu à EHESS Paris, 2002.

منقاشي، بوجمعة رويان، علال ركوك، عبد العالي أحمتي، محمد أوبحلي ونعيمة المدني. فضلا عن مجلة "أمل" التي خصصت عددين هاميين عن تاريخ التغذية بالمغرب.

ث- تاريخ التحولات الغذائية: خصوصية التحقيق

يعتبر تاريخ التحولات الغذائية منقسماً لحقب زمنية طويلة، إنه تاريخ بطيء التحول بحيث "يتفكك بانتظام كأي تاريخ آخر إلى مقاطع زمنية عريضة السمك إلى حد ما.. فقد تطلب سكر الشمندر أكثر من مائة سنة ليتوطن في أوروبا والعالم ثم إن شأن الذرة والبطاطس لم يكن بالتأكيد أسرع من ذلك".⁸²

إن حركية الأنظمة الغذائية مختلفة تماماً عن الأحداث السياسية والعسكرية، كون هذه الأخيرة تتميز بالسرعة والتوالي، في حين أن تطور التغذية يتميز بالبطء "فألف عام يأتي بكثير من التغيير، حين يتعلق الأمر بتاريخ التغذية وأن المطبخ يقاوم الغزو"⁸³. ففي تاريخ كل حياة اجتماعية انسانية مد وجزر، وهو مسار لا يعرف الرتابة. فقد يتعرض لهزات اجتماعية تحدث تحولات. وهذا نفسه ما يمكن أن نطبقه على الأنظمة الغذائية التي تظهر وتختفي حسب نسق الزمكان ومعطيات التبادل الثقافي. بحيث "شكل التبادل المستمر للثروات الثقافية قاعدة بين الحضارات الراسخة والحضارات شبه الراسخة. هذا ما يفسر الأسفار والتنقلات، فالكل يتحرك: الناس طبعاً، الحيوانات والنباتات، التقنيات، أساليب التفكير والتصور والفعل، جزئيات اللباس والسكن، وفي صفات الطبخ الأكثر بساطة".⁸⁴ وهذا ما يُصعب مأمورية ومسؤولية المؤرخ في كتابته لتاريخ الغذاء والإلمام بكل جوانبه. وقد عبّر عن هذه الصعوبة فرناند بروديل قائلاً باندعاش كبير "لكن من يكتب هذا التاريخ المعقد بالدقة المطلوبة ليس فقط تاريخ الخبز الذي تتوفر حوله على أدبيات، أو تاريخ الخمر الذي يعرفنا عنه كتاب كبير بل تاريخ متزامن لهذه التجمعات الغذائية البطيئة التكون والانحلال أيضاً، لكنه انحلال قد يستغرق قروناً وقد يحصل من يوم لآخر"⁸⁵. وقد عبّر عن هذه الصعوبة قائلاً " أن كتابة التاريخ الغذائي للمجتمعات تزداد صعوبة عندما يصطدم

⁸² مجلة أمل، العدد 16 – الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة العدد 16/1999، ص 175.

⁸³ مجلة أمل، العدد 16، سنة 1999 من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ذ الحسين الفقادي، ص 34.

⁸⁴ فرناند بروديل: ترجمة: محمد حبيدة، المرجع: مجلة أمل، العدد 16 – الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة ص 174 – 176.

⁸⁵ فرناند بروديل، مرجع سابق، ص 176.

الباحث والمؤرخ بإشكالية البنية الزمنية للظاهرة الغذائية، أي نقطة بدايتها وحدود نهايتها. بحيث أن الظاهرة الغذائية يشتى أبعادها ترفض الثبات، بل تقبل التحول؛ تمتد وتتطور عبر الزمان وتختلف من مكان إلى آخر⁸⁶. لهذا، ارتأينا مقارنة تاريخ التغذية بالمغرب من خلال التحقيب الزمني الكلاسيكي حتى نتمكن من ملامسة مظاهر التغذية عند المغاربة بدءاً من العصر الوسيط إلى الحديث.

I-2 التغذية عند المغاربة خلال العصر الوسيط.

سنحاول في هذا الفصل الإجابة على سؤال يتمحور حول مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط وذلك بذكر شتى أنواع الأطعمة والأشربة التي شكلت مائدة مغاربة العصر الوسيط وإلى أي حد كانت التغذية مرآة عاكسة للفوارق الاجتماعية القائمة بين شرائح المجتمع.

أ - المغرب النباتي

يصعب كثيراً تحديد أصناف الأغذية التي شكلت مائدة المغاربة في العصر الوسيط وذلك راجع لقلّة المصادر التي تناولت الموضوع. أو للتباين الحاصل في بعض المصادر حيث تحتوي على معلومات متناقضة يصعب التعويل عليها في استنتاج النظام الغذائي للمغاربة واتخاذها مقياساً حقيقياً وتعميمه على كل سكان المغرب ويبقى وصف إفريقيا لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان الفاسي أهم مصدر توسع في ذكر الأغذية المغربية.

هناك العديد من العوامل التي تتدخل في تحديد نظام التغذية عند سكان المغرب خلال العصر الوسيط، أهمها المستوى الاجتماعي وطبيعة المناخ السائد ثم نوعية التربة المزروعة لهذا لا يمكن الزعم بوصف نظام غذائي موحد لجميع المغاربة بالرغم من اختلاف نوعية التغذية لدى المغاربة حسب المناطق ومستواهم الاجتماعي إلا أنه يمكن الحديث عن بعض المواد الغذائية وبعض الأطباق التي شكلت الغذاء الأساسي للمغاربة

لقد تأثرت التغذية في المغرب الأقصى بمجموعة من العوامل التاريخية والثقافية. بل كانت محطات تاريخية ذات أهمية قصوى في تغيير مسار الحياة الاجتماعية للمغرب

⁸⁶فرناند بروديل، مرجع سابق، ص 177.

خصوصاً من حيث النظام الغذائي ومكوناته ابتداءً من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 20. وقد لعب الموقع الجغرافي الإستراتيجي دوراً مهماً في نسج الارتباط الثقافي والاجتماعي بالبلدان المتحضرة كمحور الدولة الإسلامية شرقاً والأندلس شمالاً وقد بدت معالم هذا الارتباط وتمظهراته المختلفة واضحة في بعض المدن المغربية بالشمال وفاس بالوسط.

عند قدوم العرب مع الفتح الإسلامي حوالي 62هـ/681م لم يحدث تغيير عميق في نمط العيش "لأن حياة الأمازيغ والعرب الاجتماعية لم تكن تختلف كثيراً من حيث الطعام أو السكن"⁸⁷، على الأقل إلى غاية فترة الحكم الأموي. حيث تميز مستوى العيش بالبساطة والاقتصاد على أطعمة محددة وقليلة. وقد سمح انضمام الأندلس إلى المغرب في عهد المرابطين والموحدين بالتلاقح والتفاعل بين الثقافتين المغربية والأندلسية بفضل التقارب الجغرافي بين الضفتين. وقد عرفت مائدة الطبخ المغربي تغييراً واضحاً بحيث "حدث تحول في نوعية مستوى العيش خصوصاً لدى فئات الطبقة المترفة التي تفننت أفرادها في تنويع ألوان الأطعمة والأشربة"⁸⁸.

عموماً، ارتكز النظام الغذائي بشكل عام على ما تنبته الأرض من حبوب وخضر وفواكه، كما شكلت الحبوب، خاصة الشعير والقمح عنصراً مهماً من هذا النظام الغذائي. ولعل انتشار زراعة الشعير في جل المناطق المغربية دليلاً على أنها ذات أهمية في الطبخ المغربي. بل تنوعت استعمالات الحبوب في تغذية المغاربة، بحيث كانت تستعمل في تحضير الخبز والعصائد والحريرة والكسكس...الذي كان في العهد المريني "الطعام الشعبي المفضل"⁸⁹. هذا، وقد شكل الخبز أهم مادة غذائية في النظام الغذائي المغربي على مر التاريخ بل كانت العادة تقتضي بطهي الخبز يومياً. فقد اعتاد المغاربة منذ العصر الوسيط كأدنى تقدير على أكل الخبز بشكل يومي. لقد أثر الخبز في الحياة اليومية المغربية إلى درجة أنه أدّى إلى ظهور مجموعة من الحرفيين: كالطحانيين، الدقاقين، الخبازين وأصحاب الأفران. علماً بأن المؤهلات الزراعية للمغرب، كما في دول حوض المتوسط أتاحت ظروف مواتية لإنتاج كل أنواع الحبوب بوفرة لا سيما القمح والشعير.

⁸⁷ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ج 1، البيضاء، 2007، ص88.

⁸⁸مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ذ. الحسين الفقادي، مجلة أمل، العدد 16، ص36-58.

⁸⁹ابراهيم حركات، الأطعمة والأفراح في عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط عدد 5-6، ص، 46.

عموما، ارتبطت التغذية عند المغاربة باللاقتيات مما تنبته الأرض من حبوب وزيت. وإلى ذلك أشار ابن خلدون وهو يتحدث عن نمط العيش وما ينتج عن تفاعل الإنسان مع بيئته من اعتياد. "وأصل هذا كله أن تعلم أن الأغذية وائتلافها أو تركها إنما هو بالعادة فمن نفسه غداء ولائمه كان له مألؤفا وصار الخروج عنه والتقيد به داء، ما لم يخرج عن غرض الغذاء كالسموم... فإذا أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن والبقر عوضا عن الحنطة فقد حصل له غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك، وكذا من عود نفسه على الجوع والاستغناء عن الطعام"⁹⁰.

وبالإضافة إلى الحبوب وما قد يصنع منها، فكان المجتمع المغربي يميل إلى استهلاك بعض الخضر الموسمية وكذلك اللحم. فإذا كان الرحل اعتمدوا في تغذيتهم على ما ينتجه القطيع من لحوم وألبان، فقد ارتكزت عند السكان المستقرين في الجبال والبسائط على مواد زراعية كالحبوب والخضر والزيت والفواكه⁹¹. وفي هذا السياق أيضا تحدث الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا عن الوجبات وعادات الطعام لدى عامة الناس في المغرب، مع استعراضه للوجبات اليومية الثلاث وهي:

- وجبة خفيفة في الصباح وتتكون من خبز وفواكه وحساء.

- عند الظهر الخبز والسلطة والحليب والزيتون

- في المساء الخبز والبطيخ والعنب واللبن، وفي الشتاء يأكلون اللحم المطبوخ مع طعام يسمى الكسكس⁹². وفي معرض حديثه عن عادات الأكل لدى المغاربة ذكر الحسن الوزان خبز الشعير والعصيدة، وزيت الأركان والكسكس.

ب - تأثير الظروف الطبيعية والسياسية على تغذية المغاربة

كانت التغذية عند المغاربة خلال العصر الوسيط تتأثر بالظروف العامة الطبيعية منها والبشرية للبلاد من خلال ما كان يطرأ عليها من تقلبات مناخية وما يعقبها من مجاعات أدخلت البلاد في سنوات من القحط والجفاف وأدت إلى أوبئة. لقد شكلت المجاعات والقحوط

⁹⁰ ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار البيان، سنة 1377م، ص 89-90.

⁹¹ نفس المرجع السابق

⁹² الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، مكتبة بيسر، ج1، تونس، 1998 ص 203-202.

شبحاً مخيفاً يتهدد باستمرار المغاربة وقد ذكر الحسن الوزان في كتابه بأن الأوبئة كانت تجتاح المغرب كل 10 أو 15 أو 25 سنة.⁹³ ولعل أصعب فترة عانى خلالها المغاربة في العصر المريني هي التي امتدت من سنة 722 هجرية إلى 726 هجرية وتلك التي زامنت اجتياح الطاعون الأسود الذي حل بالمغرب سنة 749 هجرية إلى 751 هجرية⁹⁴.

بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، ساهمت الحروب والفتن السياسية في تأزيم الوضع الغذائي بالمغرب. وقد ذكر أحمد الناصري في كتابه الشهير "الاستقصا" أن الناس كانوا يعانون من الخوف والجوع وانعدام الأمن بسبب الهجمات المتكررة لقبائل على قبائل أخرى واقتحام دورهم وسلب طعامهم. وفي هذا الصدد، ذكر ابن خلدون أنه أثناء حصار يوسف بن يعقوب المريني لمدينة تلمسان⁹⁵، ارتفعت أسعار المواد الغذائية فاضطر الناس إلى البحث عن أطعمة بديلة فماذا كان يأكل المغاربة زمن الشدة في العصر الوسيط؟

أدت فترات عدم الاستقرار السياسي بالإضافة إلى المجاعات الناتجة عن الظروف الطبيعية إلى تغيير في مظاهر التغذية، وابتدأ بعض الممارسات الغذائية من طرف المجتمع المغربي. فقد اضطرت فئات من المجتمع المعوزة إلى أكل غير المأكول لضمان البقاء، والافتيات على مواد سيئة عفنة. ولعل ما ذكره ذ. محمود اسماعيل في كتابه: الخوارج في المغرب الاسلامي، لا يستدعي الدهشة نظراً للظروف المزرية والقاسية التي كان يعيشها المغاربة آنذاك. فقد أكد أنه بسبب "حدوث الأزمات والمجاعات حتى ألف الناس أكل الأعشاب والدواب والكلاب"⁹⁶. فأكل الكلاب كان شائعاً بشكل عادي في هذه الظروف، خصوصاً في المناطق الشاسعة من الصحراء وهي عادة غذائية موهلة في القدم، لكنها تراجعت بشكل كبير بعد مجموعة من الفتاوي تنهي عن أكل الكلاب والذئاب والثعالب استناداً لأحاديث نبوية، وقد كانت العديد من الحيوانات تباع وتشتري في الأسواق مثلها مثل باقي المنتجات. فكان الناس يقتنون البعض منها لا سيما خلال الأزمات حيث ترتفع أثمانه الحبوب والقمح والشعير. "فثمن بقرة واحدة مائتي مثقال، والضأن سبعة مثقال ونصف، أما

⁹³ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الأول، ص 68

⁹⁴ البزاز أمين، الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14 ميلادية مجلة كلية الآداب الرباط عدد 16.

⁹⁵ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب البيضاء، 1955، ص 112

⁹⁶ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة المغرب الأقصى، 2008، ص 204.

سعر اللحم من الجيف ورطل من لحم البغال والحمير بمثقال والقط والكلب بمثقال ونصف. أما الحية والفأر فبعشرة دراهم⁹⁷.

ومن جهة ثانية، فقد طور المجتمع المغربي آنذاك استراتيجية مواجهة ندرة المواد الغذائية للأسباب السالفة الذكر، بحيث عمد الأهالي إلى تخزين أقواتهم في المطامير تحسبا لأي أزمة مستقبلية تعصف بهم إلى هلاوة المجاعة. وفي هذا الصدد ذكر محمد الأنصاري السيتي أنه "بعد المجاعة المهولة التي ضربت مدينة سبتة 637هـ تعود السكان على تخزين الحبوب وكان عدد المطامير المعدة لخزن الزرع أربعون ألفا"⁹⁸.

وقد عمد المغاربة على تخزين الحبوب في مطامير خاصة وأخرى جماعية أو في التي توفرها السلطة الحاكمة. وبلغت نجاعة خزن الحبوب أهمية كبيرة لدى المغاربة. ومثال على ذلك ما وفرته مطامير سبتة، حيث بلغت سعة مطاميرها (سبتة) "ما يمكن من مقاومة الجوع لمدة ستين سنة وسبعين سنة"⁹⁹. وفي نفس الصدد، ذكر الوزان أن "سكان دكالة تعودوا على خزن حبوبهم 100 سنة دون أن تفسد أو تتغير رائحتها"¹⁰⁰.

ولم تكن الحبوب المادة الوحيدة التي كانت تطالها عملية التخزين، بل لجأ المغاربة الى خزن مواد غذائية أخرى إلى جانب الحبوب بالاعتماد على تقنيات مطبخية ومواد حافظة طبيعية كتجفيف العنب والتين وتصبير الزيتون وتمليح السمك.

وعلى صعيد آخر، لجأ المغاربة إلى العديد من النباتات البرية والأعشاب كمصادر غذائية بديلة احتلت موائدهم طيلة فترات المجاعات. واختلفت هذه النباتات باختلاف المناطق ونوعية التربة التي تنبت فيها. ومن بين هذه المصادر الغذائية التي تعود للمغاربة عليها نجد "فيتور الزيتون والنارنج وعصائر الخروب. كما عولوا في مواجهة المجاعة على النباتات البرية مثل الجمار، وهو قلب النخلة وشجر الدوم والبلوط والخبيز وعتاب السدر"¹⁰¹.

⁹⁷ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ج السابع، ص 128.

⁹⁸ محمد الأنصاري السيتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من بني الأثار، الرباط 1983 ص 42

⁹⁹ نفس المرجع

¹⁰⁰ الحسن وزان الجزء الأول ص 121

¹⁰¹ التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني، استاذ مصطفى نشاط، ص 5_15 المصدر مجلة امل، العدد 17، 1999، ص 10

يأتي نبات "الارني" في مقدمة المواد الغذائية التي شكلت بدائل غذائية للمغاربة في أوقات الشدة والأزمات الغذائية حيث وبالرغم من أن نبات "الارني" يحتوي على سموم شكلت خطرا على صحة الناس، وكانت تؤدي بهم إلى الموت، فقد عمدت الأسر المغربية إلى استهلاكه وذلك " بسلق جذوره لمرات متعددة للتخلص من تلك السموم التي يحملها ثم يعرض للشمس ليجفف ويطحن للحصول على دقيق يصنع منه الخبز يصعب هضمه"¹⁰². وكانت لهذه الممارسات الغذائية عواقب خطيرة على صحة الناس. حيث أدت إلى ظهور أوبئة وأمراض جماعية فتاكة بسبب رداءة الأغذية.

ت - بعض السلوكات الغذائية وموقف فقه النوازل

تناولت بعض المؤلفات من فقه نوازل الأطعمة، الأغذية من زاوية دينية وأخلاقية. ولا شك أنه في هذا المستوى "تبرز كتب النوازل أقرب المصادر التي رصدت الحياة اليومية والعادية للسكان لارتباط الفقيه والمفتي بهموم مجتمعه"¹⁰³. وهي في الأصل تم تأليفها من طرف "فقهاء وبعض أهل الورع لإرشاد الناس إلى الحلال والحرام في أعمالهم وثباتهم، ولتكون أدوات عمل ناجعة في يد المكلفين بخطة الحسبة"¹⁰⁴ وقد تضمنت هذه المؤلفات معلومات ومعطيات مهمة عن أحوال السوق والمواد التي تروج داخله، وكيفية معرفة الرديء منها من الجيد. ويمكن إدراج هذه المؤلفات في نوازل الأطعمة، بحيث جاءت على شكل فتاوى تحت الناس على ضرورة تحري أمور أكلهم وشربهم، والابتعاد عن المحرم والمنهي عنه.

ولم تكن لديهم (الفقهاء) نصوص دينية جامعة يستندون إليها في بناء تصورهم عن الحاجيات والضروريات اللازمة للناس حفاظا على حياتهم، في ظل غياب معطيات شاملة اثناء تقديم مقترحاتهم عن الوضعية الغذائية التي كان يعيشها الغرب الإسلامي، سواء على مستوى كميات الانتاج او على مستوى الحاجيات اللازمة. ورغم ذلك "كانوا يقدمون آراءهم عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في علاقتها بالنظام الغذائي وبالضبط الأمن

¹⁰²التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني، استاذ مصطفى نشاط، نفس المرجع، ص 10

¹⁰³التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني، استاذ مصطفى نشاط، نفس المرجع، ص 8

¹⁰⁴ أدب النوازل ومسألة الأطعمة والأشربة بالغرب الإسلامي، ذ. محمد فتحة، مجلة أمل، العدد 16، ص 26.

الغذائي. سندهم في هذه الاجتهادات، وهي مجموع الاحكام التي دعت اليها الشريعة حفاظاً على الضرورات الخمس، وهي ضرورات ارتكزت على القاعدة الفقهية الكلية: جلب المصلحة ودرء المفسدة¹⁰⁵ وعند قراءة هاته المؤلفات قراءة تحليلية سوف نتحصل على معطيات مهمة عن كيفية تعامل الناس، وما دأبوا عليه فيما يخص أطعمتهم على ضوء الضوابط الفقهية. فماهي الجوانب التي اهتمت بها كتب النوازل في مجال التغذية خلال العصر الوسيط؟

تبنت هذه المؤلفات مخاطبة عامة الناس من خلال مطارحات وتقديرات فقهية، والبت في بعض المسائل التي تشوبها شبهة، ومن بين بعض المسائل التي تكررت في بعض كتب النوازل نجد "السؤال عن طهارة بعض الأطعمة ومدى حليتها إذا ما سقطت فيها بعض الحشرات أو الحيوانات، كتحلل أجزاء النحل في العسل أو وجود الدود في زيتون أو فاكهة أو سقوط فأر أو نمل في قنطة أو في مائع"¹⁰⁶. وقد وضع ذ. محمد فتحة بخصوص تكرار بعض المسائل المتعلقة بأطعمة وأشربة الناس بقوله أن "هذه المسائل تبقى افتراضية ويطغى عليها الجانب التفضيلي فإن وقوعها في كل زمن أمر وارد، لكن تكرارها في كتب النوازل المتعاقبة يفيد بأن الناس كان يهتمهم معرفة رأي الشرع في أطعمتهم"¹⁰⁷.

ومن جانب آخر اتجه الفقهاء في تلك الفترة من تاريخ الغرب الإسلامي إلى دعوة الناس إلى أكل الصيد، سواء في البر أو البحر، زيادة على النباتات والبقول التي تنمو في البر، لأنه أبعد الطعام عن الشبهة. لكنهم نبهوا بالمقابل إلى بعض المحظورات التي يرتكبها الصيادون في عملهم، وذلك بعدم "نتف الطير حيا أو شنح رأسه قبل الذبح واتجاه إلى كل ما يمكن أن يؤدي إلى تعذيب الحيوان خلال ذبحه أو بتر عضو من أعضائه خلال صيده"¹⁰⁸. هذا، وقد تعارضت اجتهادات فقه النوازل مع بعض العادات الغذائية المتجذرة في الحياة الاجتماعية للشعوب لكونها مخالفة لتعاليم الشرع.

¹⁰⁵ محمد البركة وسعيد بن حمادة وعبد الهادي البياض، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد. منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 77، أكتوبر 2016، ص 10-11

¹⁰⁶ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الكتب العلمية، 2012، ج 5، ص: 238

¹⁰⁷ أدب النوازل ومسألة الأطعمة والأشربة بالغرب الإسلامي، ذ. محمد فتحة، مجلة أمل، العدد 16، ص 26-30-1999، ص 27.

¹⁰⁸ نفس المرجع السابق ص 29

من بين المسائل الخلافية التي طرحت للنقاش على فقهاء النوازل، الافتاء في بعض العادات الراسخة في المجتمعات المجاورة للصحراء بالمغرب الكبير والتي اعتادت على أكل الكلاب والذئاب ولحم الخنزير الوحشي فهذه العادات الغذائية شكلت خلافا بين الفقهاء. كما تناولت بعض النوازل أكل طعام وذبائح اليهود والنصارى، خصوصا في المجتمع الأندلسي. الذي كان يضم عددا مهما من اليهود الشيء الذي طرح مشكل استهلاك ذبائحهم وكيفية التعامل معهم خصوصا في المناسبات حيث يقدم الطعام والشراب. وقد شكلت هذه المسألة خلافا بين الفقهاء" فقد أجاز البعض أكل دجاج الكتابيين وذبائحهم دون صيدهم باستثناء ما هو حرام"¹⁰⁹. وقد اندرجت بعض النوازل ضمن مسائل فقهية ذات محتوى تاريخي واضح، بمعنى أنها تهم وقائع ملموسة من حياة الناس وتفاعلاتهم، وفضلا عن ذلك فهي تقدم أمثلة ملموسة من مظاهر التآزر بين أفراد المجتمع. وفي هذا الصدد نورد مثالين يحضر فيهما عنصر التغذية والأطعمة بشكل قوي: المقايضة والوزيعة.

أولاً: لم تكن تلبية حاجيات الناس من الأطعمة تتم وفق منطق تجاري، أي شراء ما يحتاجه من أطعمة بمقابل مادي، بل شكلت بعض الظواهر الاجتماعية، تاريخيا، استثناء خصوصا بالمناطق القروية. إذ كان المغاربة منذ العصر الوسيط، على الأقل، يتعاملون بالمقايضة بشكل جزافي وبدون تحري الدقة في الكيل. وكان موقف المشرع إيجابياً بحيث أجاز غالبية الفقهاء هذه المعاملات بسبب عامل الضرورة ولبعد المسافة عن الأسواق ونظرا كذلك لضعف التعامل النقدي في ذلك العهد.

ثانياً: تعد الوزيعة مظهرا من مظاهر التآزر والتضامن داخل الجماعة وعاملا أساسيا لتوطيد العلاقات داخل القبيلة، فقد اعتاد الناس منذ زمن بعيد على شراء بهيمة بمساهمة عينية أو نقدية من أعضاء منتمين للقبيلة ويقتسمون بينهم الوزيعة. وهنا يمكن القول أن الوزيعة كفعل غذائي اجتماعي هو بمثابة استراتيجية جماعية واعية تسعى إلى توفير اللحم للجميع. وقد تولد هذا الفعل عن غياب أو لصعوبة الحصول على الغذاء (اللحم). فالحاجة الماسة للغذاء دفع الأفراد للتكتل والمساهمة من أجل الحصول على أمنهم الغذائي وضمان البقاء والصمود في وجه المجاعات.

¹⁰⁹ نفس المرجع السابق ص 28

كما أن أهمية هذه الممارسة الغذائية – الوزيرة – حظيت باهتمام فقهاء النوازل وتكررت كثيرا في مؤلفاتهم "فقد أبدوا تحفظهم بشأن هذه العادة لكنهم لم يذهبوا إلى حد التحريم"¹¹⁰. إذ أجازوا توزيع اللحم بشكل جزافي بشرط أن يقوم بعملية التوزيع شخص له معرفة ودراية بأمور القسمة. لكن اختلفوا بشأن القرعة كإجراء يعتمد لتوزيع حصص اللحم. وهنا نخلص إلى أنّ العادة الغذائية هنا سابقة عن الأحكام الشرعية، وترسيخها عبر الزمن جعلها أقوى من مقتضيات الشرع وما الفتاوى المعلنة من طرف الفقهاء في هذا الباب إلا اجتهاد لتطويع واقع حاصل وتكييف الأعراف مع الأحكام الفقهية.

ث - التغذية والتمايز الاجتماعي:

إن المطبخ المغربي كباقي المجتمعات يكشف ويعكس تراتبية المجتمع وطبقاته من خلال نوعية الأطعمة المتناولة، والتي تميز فئة مجتمعية عن أخرى. فالتغذية هنا تؤدي وظيفة اجتماعية على مر العصور بوصفها مرآة للتمايز الاجتماعي. على اعتبار أن ما يأكله الناس يعد ترميزا يحمل دلالات عن المراتب الاجتماعية. ويتعلق الأمر هنا بالمراتب الاجتماعية الثلاث المعروفة في تاريخ المغرب الاجتماعي وهي: العامة (سائر الناس) والخاصة (التجار الأعيان وخدام المخزن) وخاصة الخاصة (الفقهاء العلماء والشرفاء).

فالناس لا يأكلون ليس فقط لتجديد طاقتهم، بل أيضا لحفظ مكانتهم الاجتماعية وإعادة إنتاجها، فالطعام كما قال F. Braudel "يحمل شهادة على مكانته الاجتماعية وعلى الحضارة والثقافة المحيطة به"¹¹¹. وبهذا الدور الوظيفي، تقدم التغذية نفسها كمجموعة من الرموز¹¹²، كما يقول كلود ستروت. ومن بين أوجه التناقضات التي تكشف عنها الممارسات الغذائية تلك المتعلقة بالأوساط الجغرافية والثقافات المحلية الحاملة لها. إذ يمكن القول إن البيئة الجغرافية تسقط الأنظمة الغذائية تحت سلطة العادة. فالبيئة التي يعيش فيها تفرض علينا ممارسات تقاليد غذائية إما لظروف طبيعية أو سوسيوثقافية.

¹¹⁰ أدب النوازل ومسألة الأطعمة والأشربة بالغرب الإسلامي، ذ. محمد فتحة، مجلة أمل، العدد 16، ص 26-30-1999، ص 30

¹¹¹ Ferdinand Braudel : civilisation matérielle, économie et capitalisme XV – XVIII, les structures du quotidien, Paris, 1972, p 8

¹¹² Claude Levi-Strauss, Les origines des manières de tables. Op cité

إن أبرز هذه التناقضات الغذائية التي تجد صداها في التمايزات الاجتماعية تتأطر جغرافيا على مر التاريخ في ثنائية المدينة / القرية أو البدو والحضر: فالفوارق ثابتة ليس على المستوى المجالي فقط، وإنما أيضا على مستوى الغذائي. إن النظام الغذائي المتبع في البادية أكسب أهاليها مناعة وقوة ومقاومة للجوع، خصوصا إبان المجاعات والقحوط أكثر من سكان المدينة، فإذا استحضرنّا أطعمة سكان القرى نجد أطعمة خالية من الدهون كخبز الشعير والزيت الطيبعية والفواكه مما يدخل في اقتصاد التقشف والكفاف. أما أهل المدن فتعودوا على موائد دسمة، تكثر فيها الدهون واللحوم، علماً بأن علماء البيولوجيا قد أكدوا فيما بعد وفق أبحاث علمية مخبرية أن الأطعمة النباتية تحفظ الجسم من السمنة وتقيه من الأمراض. ومن بين ما تميز به الأعيان والأسر الميسورة في تغذيتهم عن العامة استعمال "الخليع" الذي كان يدخر منه أواني كبيرة، وهو لحم الغنم والأبقار مطهي ومملح. كما أن أمثال هذه الأسر تمتلك خلايا أجباح النحل وأنواع الفواكه المجففة في أجنة وغيرها مما يساعد على حفظها من التلف.

عرفت المائدة المغربية نوعين من الخبز، الأبيض والأسود. إن تمايز الخبز يحيل أولا على مكوناته: فالخبز الأبيض أو كما يسمى في كتب التاريخ بالخبز الخالص استنادا لعمليات تحضيره كان مكوناً من الدرمك وهو قمح خالص مطحون بعناية فائقة. ويمر القمح بعملية الطحن ثم يغربل عدة مرات لإزالة النخالة واستخراج دقيق ناعم بدونها. أما الخبز الأسود أو ما يسمى في النصوص التاريخية بخبز الحنطة، فهو دقيق من القمح الكامل ممزوج بالنخالة. هكذا إذا نجد أن: الخبز الأبيض كان حكرا على الأثرياء الخواص وكبار البادية، أما دقيق النخالة فكان طعام الفقراء.¹¹³

I-3- تطور العادات الغذائية خلال القرنين 17 و18

عرفت العادات الغذائية بالمغرب تطورا ملحوظا خلال القرنين 17 و18 وهي فترة تاريخية مهمة كانت حافلة بالأزمات والمجاعات، طرحت بالمقابل سؤال البدائل الغذائية لدى المغاربة إبان فترات الأزمات، ونتائج هذه الأخيرة على الساكنة.

¹¹³ محمد حبيدة، ص 45.

أ - بدايات الإنتاج الزراعي بالمغرب

وقبل الخوض في الأزمات الغذائية وأسبابها ونتائجها، وجب ذكر بعض المعطيات الأساسية التي ميزت الإنتاج الزراعي المغربي خلال القرن 17 و18¹¹⁴ إذ أقرت العديد من المصادر التي أرخت للتغذية بالمغرب، أن أرضه صالحة لإنتاج العديد من المنتجات الغذائية. وهذا راجع لجودة الأراضي الصالحة للزراعة حيث أن "ارض المغرب الخصبة ومياهه المتدفقة جعلت المغاربة يولون اهتماما كبيرا لتغذيتهم ونتاجها بالطرق والوسائل التقليدية"¹¹⁵. وهذا يعني أن زراعة الخضر والفواكه ومختلف الثمار كانت تتوزع على مختلف المناطق المغربية حسب نوعية الطقس السائد والتربة، إلى درجة أنه عند استقراء بعض المصادر في الموضوع، يمكن رسم خريطة المنتجات الغذائية التي لا زالت ذات راهنية إلى غاية اليوم.

لقد عرف المغرب بخصوبة أرضه على مستوى الإنتاج الغذائي رغم الطرق والوسائل التقليدية المتبعة، إلا أن هذا الإنتاج لم يكن متنامياً بل تخللته فترات كثيرة من الأزمات أدت إلى نقصانه أو فقده. فقد كان الإنتاج متنوعاً وحسب المناطق والجهات، فكل جهة من أرض المغرب كانت تتميز بنوع أو أنواع من المنتجات الغذائية: فمع ذكر منطقة مكناس نستحضر الزيت والبصل والعنب وعدة أنواع من الخضر والفواكه، أما بالنسبة لمنطقة تافيلالت فكانت معروفة بأعدادها الكبيرة من أشجار النخيل، في حين كانت منطقة سوس تنتج أنواعاً كثيرة من الفواكه والثمار وفي مراكش تزرع بها كل أنواع الحبوب أما في شمال المغرب فكانت تطوان محل إنتاج أنواع كثيرة من الثمار خاصة العنب الدمشقي الذي كان يصدر إلى أوروبا. وفي مدينة القصر الكبير، كانت تكثر فيها الحبوب والسمن والعسل. إلى غير ذلك من المناطق المنتجة لأنواع مختلفة من المواد الغذائية، وهذا ما يوضح اختلاف التغذية بين هذه المنطقة وتلك. ويظهر من خلال هذه النظرة على خريطة المنتجات الغذائية أنها كانت متنوعة وهذا ما استرعى اهتمام الأجانب ومنهم الأسير Mouette¹¹⁶ الذي صرح

¹¹⁴التغذية والأزمة في المغرب النصف الثاني من ق 17 إلى 18، ذ. محمد منفعة، مجلة أمل العدد: 16/ السنة 1999.

¹¹⁵ذ. محمد منفعة التغذية والأزمة في المغرب، النصف الثاني من القرن 17 والقرن 18 ص 53

¹¹⁶جيرمان موييت) بالفرنسية(Germain Moüette : ويُعرف كذلك بـ «مُويط») «ولد في بونيل، - 1651 توفي في بونيل حوالي(1691 ؛ هو كاتب فرنسي، اختطف من قبل قراصنة سلا، و سجن في الرباط وسلا و مكناس، في عهد

أن "بلاد البربر من أخصب بلاد الدنيا وكانت مملكتا فاس ومراكش أجمل هذه البلاد وألطفها وأغناها"¹¹⁷.

ب- العادات الغذائية من خلال الرحالة الأجانب

كانت لمسألة التغذية حظاً وافراً من الاهتمام في كتب الجغرافيا والرحلات بالمغرب خلال القرنين 17 و18 وقد اهتمت هذه المؤلفات من زاوية وصفية لغذاء الشعوب وعاداتهم الغذائية التي كانت تعكس واقع حال المجتمع آنذاك. وركزت هذه المؤلفات على وصف أحوال الملوك وتفضيلاتهم الغذائية وطبخهم. كما اكتست المصادر الأوروبية أهمية بالغة لاطلاعها على عادات المغاربة في الأكل والشرب، فهي بالنسبة للباحثين مادة علمية غنية يمكن الاعتماد عليها خلال مختلف الفترات للوقوف على الظروف التي مرّ منها التحول الغذائي.

وقد استعرض العديد من المؤرخين والرحال جوانب مهمة من العادات الغذائية التي تميز بها المغاربة خلال ق 18 إبان عهد مولاي اسماعيل، وقد ذكر Busnot أن "المغاربة يتمتعون بقدرة فائقة على تحمل الجوع والعطش وقد يأكلون التراب إذا لم يتوفر لديهم الخبز".¹¹⁸ في حالة ما إذا استحال على الناس العثور على القمح خصوصاً في بعض المناطق كما كان الحال بتوات. وفي هذا الصدد أشار Thomas Pellow بأن سكان توات

السلطان مولاي إسماعيل، لمدة أحد عشر سنة. غداة عودته لفرنسا، سنة 1683، أصدر كتابين يعتبران من المراجع المهمة التي تصف بدقة الواقعين السياسي والاجتماعي للمغرب في القرن السابع عشر: سيرته الذاتية سرد لسجن السيد موبت في مملكتي فاس والمغرب، اللتان ظل فيهما إحدى عشرة سنة، وتاريخ فتوحات مولاي رشيد، ملك تافيلالت، ومولاي إسماعيل، أخيه ووارث عرشه.

¹¹⁷ جيرمان موبت، سرد لسجن السيد موبت في مملكتي فاس والمغرب، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، 1989 ص

¹¹⁸ Busnot Dominique, Histoire du règne de Moulay Ismail, Roi de Maroc, Fès, Tafilalt, Sous, Rouen, 1731, p 167.

كانوا " يدخلون في عاداتهم الغذائية اللحوم وخاصة لحوم الجمال ويعوضون الماء في غالب الأحيان باللبن".¹¹⁹

وأمام الظروف المناخية الصعبة خصوصاً في فترات الحر الشديد، ابتدع المغاربة طرقاً خاصة للحفاظ على جودة غذائهم لأطول مدة ممكنة، وقد تحدث Thomas Pellow في هذا الإطار، عن إحدى الطرق: "زودنا (القائد منصور) لمدة ثلاثة أيام بالمؤونة، فكان يرسل إلى الجنود كل يوم ضعف ما يحتاجون إليه، وهكذا قمنا بقطع ما فضل من اللحم إلى أجزاء، وتمليحه ثم علقناها على السروج لتجف تحت وطأة البرد والشمس ونحن نقطع المسافات الطويلة، وبهذه الطريقة يمكن الحفاظ على اللحم لمدة سنة كاملة"¹²⁰.

وقد وصف بريثوايت Braithwaite بعض عادات المغاربة في الأكل والشرب قائلاً: "يتناولون الأرز والكسكس ولحم الغنم والبقرة والدواجن، وأن شرابهم يتكون من الماء والعسل لأن البعض يحرم شرب الخمر، وعندما تكون الأكلات سائلة، يستعملون ملعقات من خشب، ولا يشربون إلا بعد الانتهاء من الأكل، ويستعملون أواني من النحاس والطين فقط لأن استعمال الذهب والفضة تحرمه الشريعة"¹²¹.

وهذا ما أكدّه الطبيب الانجليزي Lemprière، الذي انتبه إلى الطريقة المتميزة وطقوس المغاربة عند تناولهم وجباتهم، فقد أشار إلى عدم استعمال الملاعق والشوكات والكراسي، وأن الأكل يتم على الأرض في حلقة جلوس حول آنية الطعام¹²².

أمّا Mouette فقد ذكر بعض أنواع الخضر والفواكه المنتجة بالمغرب، والتي شكلت على مر الزمن أهم مكونات الطبخ المغربي، بحيث كان الناس يتناولونها باستمرار. إلا أنه لا ندعي كون المنتجات الاستهلاكية من خضر وفواكه كانت موضوع فلاحية وزراعة، بل كان الناس يعتمدون على قطف الثمار البرية ومختلف الفواكه في الجنان المجاورة للسهول والأنهار. وقد وصف Mouette طريقة الأكل عند المغاربة ذاكراً في كتابه القيم المشار

¹¹⁹ Morsy Magali, la Relation de Thomas Pellow, une lecture du Maroc au 18^{ème} siècle, paris, 1983, p 459-460

¹²⁰ معطيات حول عادات المغاربة في الأكل والشرب في عهد مولاي إسماعيل. عبد الإله الدحماني، ص 97-100، مجلة أمل العدد 16، 1999.

¹²¹ نفس المرجع، ص 98.

¹²² William Lemprière, voyage dans l'empire de Maroc et le Royaume de Fès, p 30-42.

إليه، مجموعة من المعطيات الرمزية المهمة التي تميز بها المغاربة إلى غاية اليوم، حيث أشار أن " الموائد التي يأكلون فوقها مصنوعة من الجلد، دائرية الشكل، توضع على الأرض فوق حصير، يجلسون حولها بعد أن يزيلوا أنعالهم، ويغسلون اليد اليمنى في إناء من النحاس الأصفر... ويرددون عبارة (باسم الله) ويتناولون الطعام بأيديهم، وكانت الصحن المستعملة ضيقة في الأسفل، ومتسعة في الأعلى، ويقومون بقطع اللحم بأيديهم، حيث يجزونه كل من جهته ولا يتكلمون أثناء الأكل وعقب الانتهاء من الأكل يمسحون أيديهم على جوانب الصحن، ثم يلغون أصابعهم مردين عبارة (الحمد لله) ولا يشربون إلا الماء"¹²³.

ومن جانب آخر، يعتبر Mouette من بين الدارسين الأوربيين الذين أفردوا قدراً وافراً من الوصف لتحضير الكسكس المغربي إذ سنحت له المدة الطويلة التي قضاها بالمغرب بمشاهدة السكان المغاربة وهم يعدون وجبة الكسكس ويتناولونها وقد جاء في وصفه أن المغاربة : "يأخذون قطعة كبيرة من الخشب أو الطين، يضعونها أمامهم مع جفنة مملوءة بالدقيق وأخرى بالماء الصافي، وغربال ومغرفة، يرضخون جفنتين أو ثلاثة من ذلك الدقيق ويضعونها في القصعة ويصبون عليها الماء، يحرك الدقيق جيداً بالأصابع، ثم يسقى من حين لآخر بالماء إلى أن يتحول إلى شبه حبات الجلبان الدقيقة ... وفي نفس الوقت يتم وضع كمية من اللحم في قدر لتطهى، و فوق القدر يوضع وعاء آخر (كسكاس) يتميز باتساعه في الأعلى وضيقه في الأسفل وفيه يوضع الكسكس، وعادة ما تحاط خاصرة القدر الأول بخرقه مبللة تحول دون خروج البخار. ويعقب ذلك صب الكسكس في طبق لكي يتفتت، ثم يدهن بالسمن ويضاف إليه ما اشتمل عليه الوعاء الثاني من مرق ولحم"¹²⁴.

وقد أشار عبد الإله الدحماني في إحدى مقالاته إلى بعض الطرق التي كان المغاربة يستعملونها للحفاظ على الحليب نقلاً عن رواية windus "وزودنا windus من جهته بمعلومات هامة عن الطرق التي كان يستعملها المغاربة للحفاظ على الحليب، فقد كانوا

¹²³ نفس المرجع السابق،

¹²⁴ مويط جرمان ورحلة الأسير جرمان مويط، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر الريصاني، 1990، ص 29.

يقومون بتحويل كميات منه لاستعمالها عند الحاجة بوضعه في قربة وتحريكه إلى أن يصبح زبدا ويكون دائما حامضا"¹²⁵.

ت- أزمات التغذية خلال القرنين 17 و18

عرفت فترة المنتصف الثاني من القرن 17 أزمات غذائية بشكل متواتر، أثرت بشكل وخيم على تغذية المغاربة وأحدثت تحولات في سلوكياتهم الغذائية. حيث أدت قلة المنتجات الغذائية الضرورية كالحبوب والقطاني إلى ارتفاع الأسعار بشكل فاحش استعصت على الأسر الفقيرة شراءها. فإبان أزمة 1674 "بلغ فيها القمح 40 أوقية للوسق، ولم يذبح الناس في العيد أصحابي، وإنما كان عيدهم كعيد الفطر"¹²⁶. وقد تكررت هذه الأزمات الموسومة بالغلاء مرات عديدة فبعد أربع سنوات أي سنة 1678 "ارتفع سوم الغنم حتى بلغت الشاة عددا لم يعهد اصلا، وبقي الكثير من غير أضحية"¹²⁷ وبعدها بسنتين أي سنة 1680 غلت الأسعار مرة أخرى فبلغ سوم القمح نحو 45 أوقية"¹²⁸. وكانت أزمة 1683 آخر أزمة في القرن 17، حيث عرف القمح غلاء غير مسبوق بسبب تأخر الامطار.

وبحلول القرن 18، تزامن أول أزمة غذائية مع وفاة السلطان مولاي اسماعيل أي سنة 1727 حيث بلغ "سوم القمح 30 موزونة وهي سبع أواقي ونصف للوسق"¹²⁹. وإذا كانت الظروف الطبيعية والمناخية سببا مباشرا في العديد من الازمات الغذائية، فإن محمد حبيدة ركز في كتابه المرجعي¹³⁰ على العوامل السياسية والعسكرية التي عمرت طيلة فترة حكم مولاي اسماعيل (1672-1727). إذ انعكست الاضطرابات السياسية والعسكرية بشكل سلبي على العمليات الفلاحية سواء في مرحلة الزرع او الحصاد. مما شكل تهديدا حقيقيا للأمن الغذائي للعديد من المناطق المغربية، فعندما كانت تتحرك المعسكرات من هذا الجانب او ذاك كانت تستبيح كل شيء: قطع الاشجار، هدم المنازل، نهب المحاصيل والحدائق

¹²⁵ معطيات حول عادات المغاربة في الأكل والشرب في عهد مولاي إسماعيل. عبد الإله الدحماني، ص 97-100، مجلة أمل العدد 16، 1999.

¹²⁶ الضعيف، تاريخ الدولة السعدية، تحقيق احمد العماري، ص 60.

¹²⁷ الضعيف، نفس المرجع، ص 62

¹²⁸ الضعيف، نفس المرجع، ص 62

¹²⁹ حوليات نثر المثاني، ص 30

¹³⁰ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, 15e-18e siècles. Histoire et biologie, Casablanca, 2008

والخضروات. وقد ركز محمد حبيدة على الفترة الممتدة من 1727 الى 1757 او كما سماها «الدائرة السوداء» حيث "وصل عدد الحركات المعلنة من طرف السلطان مولاي اسماعيل آنذاك 52 حركة ضد القبائل. وفي موسم الحصاد خصوصا تصبح الحركات العسكرية تهديدا حقيقيا للمحاصيل الزراعية بحيث تنخفض انتاجية الحقول بنسبة 40 % مقارنة مع الاوقات العادية."131

من هنا يتضح ان الظروف المناخية لم تكن العامل الوحيد المؤثر في استغلال الاراضي الفلاحية بل كان العامل السياسي والعسكري محدداً اساسياً في نقص المواد الغذائية في ارض المغرب. وهذا ما أكده موليراس حين قال ان " احتكار الملوك القادمين من الصحراء للأعمال الزراعية والضرائب المفروضة على الفلاحين، والمنع الكلي لتصدير الحبوب، كل ذلك شكل ضربة قاضية للفلاحة المغربية. لذلك ظلت الساكنة القروية على حالها ولم تستفد من محصولاتها كما ان كمية المنتوجات الفلاحية المعروضة في الاسواق كانت بالكاد تكفي لحاجيات السكان"132.

وهنا يرصد لنا محمد حبيدة مكونات النظام الغذائي قبل الاستعمار ويعتبرها «نباتية عفوية» خالية من أي وعي بيئي أو صحي لأن «قساوة البيئة وضعف التقنيات وتدني المستوى المعيشي وتوثر المجاعات جعلت أهالي المدن والبادي على السواء يكتفون بطعام مكون من حبوب ونباتات»133. ويضيف أن اللحم كان طعاما احتفاليا بالدرجة الأولى، لا يأكله الناس إلا في المناسبات الكبرى الدينية والعائلية ومؤشراً قوياً على التمايز الاجتماعي بين الأعيان وسائر الناس.

وخلاصة لما قدمناه، يمكن القول إجمالاً أن تاريخ التغذية بالمغرب خلال القرنين 17 و 18 عرف سلسلة من الأزمات البنيوية تتلخص في نمط الاستغلال الزراعي وطريقته، وكذلك الظروف المناخية القاسية بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية والتمردات التي ميزت فترات طويلة من تاريخ المغرب، كل هذه العوامل، أعاقَت تطوير الإنتاج الزراعي.

¹³¹ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, Op cit, P21

¹³² أوجيست موليراس، "المغرب المجهول"، ج 1، اكتشاف الريف، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تلغراف، 2007. ص 37

¹³³ Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, op cit, P : 6

ويتضح أيضاً أن هذه الأزمات التي عرفها المغاربة خلال القرنين 17 و 18 لم تكن درجتها قوية، حيث لم يتجاوز تأثيرها على الناس حدود قلة الموارد الغذائية وغلاءها مقارنة مع الازمات الغذائية التي عرفها المغاربة خلال العصر الوسيط؛ حيث وصلت حدتها إلى مجاعات مميتة وأوبئة قاتلة. إلا أنه مع بداية القرن 19 سيعرف النظام الغذائي المغربي تحولاً ملحوظاً في مكوناته وعناصره وذلك بإدخال مواد غذائية جديدة بفعل المبادلات التجارية مع القوى الاقتصادية الأوروبية آنذاك.

I-4 القرن 19 وبدايات التحولات الغذائية بالمغرب

بحلول القرن 19، وقع المغرب العديد من المعاهدات التجارية مع القوى الاقتصادية الأوروبية خصوصاً بريطانيا التي كانت تمثل آنذاك الشريك التجاري الأول للمغرب إلى جانب فرنسا. ونتيجة لهذه العلاقات التجارية حصل نوع من التقارب بين الأجانب (الأوروبيين) والسكان المحليين. الشيء الذي أثر في السلوكات الاستهلاكية الغذائية المحلية.

أ- وضعية التجارة العامة للمغرب خلال القرن 19

مثلت بريطانيا الشريك الأول للمغرب منذ منتصف القرن 19، بالإضافة إلى فرنسا وألمانيا. حيث وصلت نسبة التموين بالسوق المغربية من الحاجيات إلى 88%، فيما كانت بلجيكا تغطي 5% منها¹³⁴. وقد عرفت هذه الدول منافسة شرسة فيما بينها لامتلاك الأسواق المغربية وتزويدها بالمنتجات الأساسية: مواد التجهيز، المنتجات الصناعية المستعملة في الإنتاج وكذلك المواد الغذائية.

وهكذا تمكنت فرنسا مطلع القرن 20 من خلال اتخاذ تدابير ناجعة من تطوير تجارتها والاستحواذ على السوق المغربية. حيث "بعد سنة 1904 ستترك بريطانيا العظمى المكان لفرنسا التي ستصبح أول شريك للمغرب من حيث الواردات، وستتعمق هذه الوضعية أكثر عندما ستعمل فرنسا على إنزال جيوشها بالدار البيضاء ووجدة"¹³⁵. وقد احتدم الصراع بين فرنسا من جهة وألمانيا وبلجيكا من جهة ثانية مع بداية القرن

¹³⁴ علال ركوك، التدخل الأوروبي في نهاية القرن 19 وآثاره على نظام الاستهلاك لدى المغاربة، مجلة أمل العدد 16، 1999، ص (107-118)

¹³⁵ نفس المرجع

العشرين حيث اقتحمت المنتجات الألمانية البلجيكية المغرب، وهكذا أصبح المغاربة أمام منتجات أوروبية متنوعة، فرضت نفسها على المستهلك المغربي. ومن خلال دراسة الميزان التجاري المغربي بين 1890-1912 يمكن تسجيل ارتفاع واضح للواردات كما يبين الجدول أسفله:

الجدول رقم 1: الميزان التجاري المغربي بين 1890-1912¹³⁶

المنتجات من الأسواق الأوروبية

الصادرات	الواردات	السنوات
36.964.130	40.005.846	1890
41.768.525	41.664.643	1891
35.882.000	41.735.360	1892
34.000.000	41.000.000	1893
26.330.000	32.268.000	1894
39.758.000	42.660.000	1895
22.167.000	35.084.000	1896
22.860.000	30.882.000	1897
28.000.000	31.000.000	1898
39.914.437	38.569.085	1899
44.841.168	40.974.88	1900
32.461.352	43.493.10	1901
38.507.959	52.676.16	1902
36.568.396	62.435.48	1903
36.489.416	54.494.52	1904
27.464.224	42.795.80	1905
29.169.712	45.182.24	1906
29.103.702	35.761.64	1907

¹³⁶ نفس المرجع السابق ص 107

40.370.470	54.736.47	1908
38.964.000	55.514.00	1909
39.384.628	64.709.53	1910
68.071.000	88.787.00	1911
66.645.356	134.309.264	1912

من خلال الجدول أعلاه يتضح أننا أمام وضعية غير عادية تتميز بوجود فوارق بين الصادرات والواردات. إذ أن الواردات جد مرتفعة تتراوح ما بين 02 إلى 10 ملايين فرنكاً خلال المرحلة المتراوحة بين (1830-1900) وعشرة ملايين إلى 15 مليون فرنكاً ما بين 1900 و1912. كما تطورت كثيراً إذ تضاعفت مرتين ما بين 1890 و1920 وثلاث مرات في سنة 1912. ويفسر ذ. علال ركوك ارتفاع واردات المغرب في هذه الفترة بعوامل تاريخية واقتصادية حيث يرى أن "بعد احتلال الشاوية سنة 1907 تطورت المستعمرة الأوروبية وتوسعت، مما حتم استجابة الواردات للطلبات المتزايدة، ومن ثم أصبح الطلب متزايداً وملحاً على مواد التجهيز والطاقة والمنتجات الصناعية المستعملة في الإنتاج وكذلك على المواد الاستهلاكية والغذائية الموجهة إلى الساكنة الأوروبية المتزايدة العدد"¹³⁷. إن التأثير التجاري على نمط عيش المغاربة وعاداتهم الاستهلاكية تظهر بشكل جلي على مستوى واردات المغرب منذ الربع الأول من القرن 20. ومما لا شك فيه، أن ارتفاع الطلب المحلي على بعض المواد الغذائية بفضل تكاثر الجالية الأوروبية وبفضل تأثير طبقة محلية بنمط الاستهلاك الأوربي، ساهم في خلق دينامية اقتصادية غير مسبقة. على اعتبار أن الاقتصاد الوطني منذ ق 19 ارتكز أساساً على الانتاج الزراعي وبعض الأنشطة الصناعية التقليدية بسبب عدم توفر البلاد على بنية صناعية قوية وصلبة.

وإذا كان عدد المقيمين الأوربيين بالمغرب في تزايد مستمر منذ احتلال الإدارة الاستعمارية لأرض المغرب سبباً مباشراً في ارتفاع واردات المغرب عامة والمواد الاستهلاكية خاصة، فإنها من جهة ثانية ساهمت في خلق حاجيات لدى المغاربة لم تكن

¹³⁷ نفس المرجع السابق ص 108

موجودة من ذي قبل وهذا ما يمكن أن نسميه "تثاقف استهلاكي غذائي" الذي عرف ظهور مواد غذائية وعادات غذائية جديدة في النظام الغذائي المغربي مقابل تراجع مواد أخرى أساسية في المطبخ المغربي. فما هي هذه المواد الغذائية المستوردة؟ وكيف أثرت في النمط الاستهلاكي الغذائي المغربي؟

المواد الغذائية المستوردة:

تعكس تركيبة المبادلات المغربية خلال السنوات الأخيرة من القرن 19، ضعف التطور الاقتصادي التقليدي. حيث تميز الاقتصاد المغربي بالاعتماد بشكل أساسي على الإنتاج الزراعي وبعض الأنشطة الصناعية التقليدية، فأضحى استيراد المواد المكتملة التصنيع بالخارج أمراً ضرورياً. ولن نتطرق في هذا البحث لجميع المواد والمنتجات المستوردة من دول أوروبا، بل سنكتفي بالمنتجات ذات الصلة بموضوع البحث، أي بالمواد الغذائية والتي حققت أرقام معاملات مهمة في الميزان التجاري المغربي بنهاية القرن 19 وبداية القرن 20: كالسكر، الشاي، القطنيات، الدقيق، الأطعمة الجاهزة للاستهلاك، المصبرات الغذائية والحلويات وغيرها، من خلال دراسة لإحدى مكونات التجارة المغربية ويتعلق الأمر بالواردات من المواد الغذائية دون غيرها نظراً لعلاقتها المباشرة مع موضوع البحث.

الجدول رقم 2: واردات المغرب من بعض المواد الغذائية من الأسواق الأوروبية

بلجيكا	ألمانيا	انجلترا	فرنسا	نوع المواد الغذائية
%	%	%	%	
22	4	2	72	السكر
0.25	6	93.60	0.15	الشاي
	1.90	91	7.10	القطنيات
0.25	2.45	10.25	83.35	الدقيق

مصدر الجدول:

أ- السكر وبداية تحول الذوق

مع بداية ق 19 بدأ تغيير كبير في الذوق، خصوصاً بعد الانتشار المتزايد للسكر وازدياد الطلب على الأطباق الحلوة. عموماً، فضعف إنتاجية الاقتصاد الوطني دفع المغرب إلى استيراد مواد مكتملة التصنيع من الدول الأوروبية السالفة الذكر، خصوصاً المواد الغذائية كالسكر والشاي والأطعمة المصبرة والحلويات... إلخ

الجدول رقم 3: تطور واردات السكر بالمغرب (بالفرنك الفرنسي)¹³⁸

السنة	القيمة
1902	12.123.507
1903	10.917.786
1904	12.322.381
1907	11.196.576
1908	15.583.662
1912	29.508.000
1913	30.026.222

ومن خلال الجدول أعلاه، يتضح تطور استهلاك السكر بشكل ملحوظ بالمغرب، فإذا كانت قيمة واردات السكر سنة 1902 وصلت 12.123.507 فإنه تضاعفت بعد حوالي 10 سنوات لتصل إلى 30.026.222 بالضبط سنة 1913. ويعود هذا الطلب المتزايد على السكر إلى الوتيرة المتصاعدة لاستهلاك هذه المادة الموازية للتطور الديمغرافي الذي عرفته البلاد. وفي هذا الصدد، أكد ذ. علال ركوك أن مادة السكر كان "منتوجاً نادراً في المغرب خلال القرن التاسع عشر، وكان ثمنه مرتفعاً بسبب الطلب المتزايد عليه من طرف المستهلك

¹³⁸ نفس المرجع السابق ص 111

المغربي".¹³⁹ وقد كانت الأسواق المغربية محط تنافس بين الدول المصنعة للسكر خصوصاً فرنسا وبلجيكا وألمانيا بنسبة أقل، بحيث وصل رقم معاملات السكر الفرنسي سنة 1900 إلى 1.936.000 فرنكاً أما المنتج البلجيكي وصل سنة 1908 إلى 1.300.000 فرنكاً¹⁴⁰.

ب- الشاي

يعتبر الشاي مشروباً حديثاً لدى المجتمع المغربي، إذ تفيد مجموعة من المعطيات أن الشاي دخل المغرب مع مطلع القرن الثامن عشر. فالمعطيات المتوفرة حول تناول الشاي بالمغرب قبل النصف الثاني من القرن 18 تشير إلى أن استهلاكه كان محدوداً جداً، وتُفيد بأنه سلعة نادرة وباهظة الثمن، كان يقدم هدية من قبل البعثات الدبلوماسية الأوروبية إلى السلطان المغربي في بعض المناسبات. ومن هنا ظل استهلاكاً مخزناً، وبالتالي من سلع الترف. ولم يكن يشرب في البوادي حتى مطلع القرن العشرين إلا في المناسبات الكبرى. ويؤكد بعض الرحالة الأجانب أن الانجليز كانوا أول من أدخل الشاي إلى المغرب. مثل ما نجد عند الرحالة الإسباني دومينغو باديا " كان استخدام القهوة في المغرب شائعاً في الماضي، وكان يتم تناولها في مختلف ساعات النهار، كما في المشرق. ولكن الإنجليز قدموا هدايا من الشاي إلى السلاطين؛ ومنحها هؤلاء إلى رجال البلاط، وبسرعة انتشر استعمال هذا المشروب رويداً رويداً إلى أن بلغ طبقه المجتمع"¹⁴¹. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرف الشاي مرحلة حاسمة في بلاد المغرب في الاتجاه العمودي والأفقي، أي الاجتماعي والجغرافي؛ من القصر والحاشية إلى الأرستقراطية الحضرية والريفية، وصولاً إلى العامة ومن الحواضر إلى البوادي. وفي نهاية القرن الثامن عشر، مكن انخفاض الأسعار من انتشار استهلاكه في الأوساط الميسورة التي تنزع إلى محاكاة المخزن ورجالاته.

ومع مرور الزمن وانتشار استهلاكه في الأوساط الشعبية، أصبح الشاي يحتل المرتبة الثانية ضمن لائحة المواد الغذائية التي كان يتم استيرادها من أجل الاستهلاك اليومي من

¹³⁹ نفس المرجع السابق ص 111

¹⁴⁰ نفس المرجع السابق ص 112

¹⁴¹ Ali Bey, (Domingo Badia), Voyage d'Ali El Abassi en Afrique et en Syrie pendant les années (1803-1807), Paris, 1814, T1, P : 36

طرف السكان عبر البلاد. ولنا فيما ذكره Miège عن الشاي مثالا، فهو يضع الشاي عند المغاربة في نفس منزلة القمح تقريباً لكونه علامة بقدر ما هو مادة غذائية، فهو حسب قوله يشكل أحد الفصول الأكثر تميزاً في تاريخ التغذية بإفريقيا الشمالية. حيث أكد Miège أن " الشاي الذي يرمز إلى الضيافة المغربية لم يكن إلا منتوجاً أجنبياً وفي بضع سنوات سيصبح المشروب الرئيسي لجميع الطبقات الاجتماعية ".¹⁴² ومع مرور السنين سيتسع استعمال الشاي لدى الاوساط الشعبية بعد أن كان حكراً على الخاصة، وسيصل إلى مدن أخرى داخل البلاد.

إن الشاي الذي كان يتم استيراده هو الشاي الأخضر الصيني الذي كانت بعض المقاولات الإنجليزية متخصصة في انتاجه وتصديره، والتي سيطرت لسنوات عدة على السوق المغربية.

الجدول رقم4: كمية الشاي التي تم إنزالها بالموانئ المغربية ما بين 1902-1912.

السنة	القيمة
1902	5.052.385
1903	4.182.348
1904	3.358.458
1907	1.845.585
1908	3.268.851
1912	6.887.000

الجدول رقم5: كمية الشاي التي تم إنزالها بميناء الدار البيضاء ما بين 1894-1898

¹⁴² Jean Louis Mieg, le Maroc et l'Europe, Tome III, Paris : Presses universitaires de France, 1962, P 543.

السنة	القيمة
1894	322.925
1895	378.585
1897	462.342
1898	584.800

كانت واردات السكر والشاي تصل إلى الموانئ المغربية الأساسية في الرباط، الدار البيضاء، آسفي، مازاكان.. مما يدل على أن هذه المناطق استوطنتها ساكنة أوروبية كثيفة، وكان لها طلب متزايد على هاتين المادتين، وكانت الموانئ تشكل نقطة انطلاق هذه المواد صوب المدن الداخلية للبلاد والمناطق الأخرى لينتشر في أرجاء بلاد المغرب قاطبة.

إلا أنه لا بد من الإشارة أن السكر والشاي، كانا من المواد التي تستهلكها نخب معينة، إذ لم يكن في متناول الجميع استهلاك هاتين المادتين إلا أن الانتشار الواسع للشاي سمح له أن يصبح المشروب الأول لدى المغاربة. وقد أوضح Miège أن "هناك منتجات من شأنها أن تصبح من العناصر الأساسية للواردات المغربية ويتعلق الأمر بالسكر والشاي، وتعود بداية استهلاك الشاي والسكر إلى الفترات المتراوحة ما بين 1830 و1845، ومع سياسة الاحتكار يظهر أن استهلاك هاذين المنتجين كان ينحصر في المخزن وحاشيته دون باقي فئات الشعب... هكذا إذاً سيصبح السكر مكوناً تاريخياً مهماً للمغرب، فضلاً عن دوره التاريخي والاجتماعي والرمزي".¹⁴³ ليصبح بذلك السكر والشاي عنصرين أساسيين في إحداث خلل في الاقتصاد التقليدي للمغرب وذلك نظراً للدور الذي لعبه في خلق اختلال في الميزان التجاري وفي شيوع اقتصاد مالي.

وقد أدى تدفق الشاي والسكر على المغرب خصوصاً خلال النصف الثاني من القرن 19 إلى نزيف مالي خطير، حيث شكل استهلاك الشاي إلى جانب السكر عبئاً على القدرة الشرائية للمغاربة خلخل العادات الاستهلاكية القائمة وخلق نقاشاً فقهيًا حول شرعية استهلاكهما. مما دفع محمد بن حم التازي إلى تأليف كتاب في الموضوع عنوانه (الأي في

¹⁴³ Jean Louis Miège, Le Maroc et l'Europe, T III, op cit, P : 543

تحريم الآتاي)، حيث انتقد اعتكاف الناس على الشاي.¹⁴⁴ وهذا ما نبه إليه أحمد الفاسي في وقت مبكر قائلا: "فإنه عمت به البلوى أو كادت أن تعم بشرب آتاي وهو بأعلى ثمن في الغالب وقد جعل الناس يتكلفونه ولا يخلو مجلس منه ولا إكرام ولا غير ذلك بدونه وفيه من السرف ما يخفى"¹⁴⁵

ب- الأطعمة الاصطناعية، المصبرات الغذائية والحلويات:

نعني بهذه المواد الغذائية كل الأطعمة الكاملة التصنيع من قبيل الشكولاتة، المربي، الكاكاو، البسكويت الزبدة، الأرز، الزيوت القهوة العجائن الغذائية. وكل هذه الأصناف الغذائية مواد جديدة على النمط الاستهلاكي المغربي – فقد كانت موجهة مباشرة إلى الاستهلاك الأوروبي أي إلى الجالية الأوروبية مما سمح للمغاربة التعرف عليها واكتشافها واستهلاكها فيما بعد.

الجدول رقم 6: قيمة المواد الغذائية المستوردة من بلدان أوربا بالفرنك الفرنسي

المواد	1909	1907	1908
المأكولات والمعلبات الغذائية		125.000	655.000
الحلويات والبسكويت	51.300	293.479	470.051

التوابل

اعتاد المغاربة بشكل كبير منذ زمن بعيد على استهلاك التوابل. وهي مواد كانت تستهلك من قبل السكان المحليين والأوروبيين على حد سواء، خاصة القرنفل والكمون. وتجذر الإشارة إلى أن هذه المواد ليست منتوجات أوروبية بل هي مواد ذات أصل

¹⁴⁴العربي المشرفي، نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار مخطوط بالخرزانة العامة، الرباط، رقم ك. 579، ص:

453

¹⁴⁵محمد الأخضر، الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية، الطبعة الأولى، 1977، ص 329

آسيوي، يتم جلبها من المناطق المستعمرة ويتم شحنها إلى لندن ومرسيليا ثم يعاد شحنها لتصدر إلى موانئ المغرب.

الارز والعجائن الغذائية

لم تكن هذه المواد تستهلك من طرف المغاربة إلى غاية النصف الأول من القرن 19. بل كانت مواد غير معروفة من طرف السكان، بحيث لم يعتادوا على تناولها لأنهم كانوا يستهلكون ما يتم تحضيره من عجائن مصنوعة محليا في البيت ولم يبدأ استهلاك هذه المواد إلا مع استقرار الأوروبيين بالمغرب ويعتبر الانجليز والألمان أبرز المصدرين لهذه المواد والتي هي في الأصل منتوجات آسيوية. ومن بين المواد الاخرى التي كان المغرب يستوردها نذكر زيت الزيتون، الفواكه الجافة، والخضر الجافة من الدول الأوروبية: فرنسا، انجلترا وألمانيا. خاصة عندما يكون المحصول الزراعي المحلي ضعيفا.

د- الدقيق والأسمدة

اعتاد السكان المحليون بالمغرب على إنتاج الدقيق والسميد بأنفسهم، وذلك بالطريقة التقليدية. ومع استقرار الأوروبيين، بدأ السكان يستهلكون هاتين المادتين اللتين كانتا تأتيان من مرسيليا داخل أكياس، يصل وزنها الى 100 كلغ. وهنا تجدر الإشارة إلى قلة بل ضعف استهلاك هذه المواد من طرف المغاربة في بداية الأمر، لكن مع مرور الزمن، بدأ المغاربة يعتادون عليها نظراً لسهولة الحصول عليها عن طريق المقاولات ودور الصناعة الأوروبية حتى في السنوات التي تكون فيها المحاصيل جيدة. حيث انتقل رقم المعاملات الخاص بالدقيق والأسمدة من 6.000.000F سنة 1905 إلى 6.605.000F سنة 1906¹⁴⁶.

ت- تأثير المغاربة بالنمط الاستهلاكي الأوروبي:

كان لاستقرار الأجانب بالمغرب دور مهم في خلق علاقات تجارية مع المغاربة. فظهرت إثر ذلك فئات من المغاربة أصبحوا مؤهلين لحمل العادات والتقاليد الأوروبية مثل المحميين والسماصرة والمخلصين وغير ذلك".¹⁴⁷ وقد سمح هذا التقارب التجاري باكتشاف

¹⁴⁶ علال ركوك التدخل الأوربي في نهاية ق 19 وأثاره على نظام الاستهلاك لدى المغاربة مجلة أمل العدد 16، 1999

ص117

¹⁴⁷ نفس المرجع

طبائع الآخر (الأوروبي) بما في ذلك تقاليده وعاداته الغذائية. ومع مرور الوقت وبفعل استيطان العديد من الأوروبيين (أعضاء البعثات، المحميين، التجار...) بأرض المغرب، أصبح المغاربة مؤهلين لتمثل ثقافة وعادات الأوروبيين. فظهرت على إثر ذلك أنماط جديدة من العيش والاستهلاك في المجتمع المغربي.

هكذا بدأ المستهلك المغربي يعتاد وبشكل تصاعدي على المنتجات المستوردة، مما ساهم في خلق أنماط استهلاكية جديدة فبعض المواد مثل العجائن المصنوعة ذات الأصل الآسيوي، لم تكن معروفة لدى المغاربة، إلا أن الأوروبيين استطاعوا ترسيخها كعادات جديدة. وهذا ما يؤكد ذ. أحمد مكاي في مقاله بحيث يقول "جلب الأوروبيون إلى المغرب عددا من البضائع، مهدوا لرواج البعض منها تجاريا بالاعتماد على الهدايا، ثم تمكنوا من تركيز عادات استهلاكية جديدة، وباستثناء حالات محدودة وجزئية، اخترقت السلع الوافدة من أوربا جميع مناطق المغرب وشرائحه، وكان من أبرزها مادتي الشاي والسكر، وقد شكل رواجها واستهلاكها بالمغرب إحدى القضايا التي استأثرت باهتمام النخبة المثقفة خلال القرن التاسع عشر من الوجهتين الشرعية والاقتصادية"¹⁴⁸.

II - موضوع التغذية في النظريات الأنثروبولوجية

تكمن خصوصية الانثروبولوجية الغذائية في كونها تتقاطع فيها البيولوجيا والثقافة. فهي "تهتم بمجموع الأنشطة المرتبطة بتحويل وتوزيع واستهلاك الأطعمة والأشربة فضلاً عن الممارسات والتمثيلات سواء المصاحبة لهذه الأنشطة أو الناتجة عنها".¹⁴⁹ لهذا كان لزاماً التطرق في هذا البحث للنظرية الانثروبولوجية لكيفية تناولها للظاهرة الغذائية. ليس من باب الحشو النظري، ولكن باعتبار الانثروبولوجية الغذائية بمختلف توجهاتها النظرية، قدمت مجموعة من الأعمال البحثية القيمة، سنعرضها في هذا الفصل بالتفصيل.

¹⁴⁸أحمد مكاي، استهلاك الشاي والسكر في المغرب المتعة والضرر، مجلة أمل العدد 16، 1999، ص 119-126.

¹⁴⁹تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي: دراسة أنثروبولوجية نعيمة المدني، دار الأمان الطبعة الأولى 2015 ص 19

ركزت معظم الدراسات الأنثروبولوجية في القرن التاسع عشر التي تناولت مسألة الغذاء بشكل رئيسي على "جوانب الاستهلاك الطقوسية والخارقة للطبيعة"¹⁵⁰، حيث اهتمت بمواضيع التضحية والمحرمات والقرايين التي تغذي الأحياء، الموتى والآلهة. وظلت معظم تلك الأبحاث تدور حول الغذاء في المعتقد الديني وفي هذا الإطار، نجد مثلاً دراسة R.smithe التي تتمحور حول الهبة الغذائية التي تدفن مع الأموات، أو تلك المتعلقة بالأماكن المقدسة¹⁵¹. ويبقى العمل الأكثر شهرة في هذا المضمار، هو عمل جيمس فريزر حول المحرمات والطوطمية¹⁵². وبعد ذلك، في سنة 1930 قام العالم Descamps في كتابه المرجعي¹⁵³ بإدخال مقاربة جديدة من خلال دراسته لتقنيات الحصول على الطعام كالصيد والفلاحة والصيد البحري عند المجتمعات البدائية.

لكن عمله تتمحور حول الغذاء المستعمل في الطقوس الدينية ولم يتحدث إطلاقاً عن كيفية تناول هذا الغذاء والعادات المختلفة الخاصة بمائدة الطعام أو عادات الطبخ عند هذه المجتمعات.

II-1 الأنثروبولوجيا والرؤية الوظيفية للتغذية :

في مطلع القرن العشرين، أصبح الباحثون أكثر اهتماماً بتنوع وتعدد ممارسات تناول الطعام وقواعدها ومعانيها المختلفة. وفي هذا الشأن، يبرز دور تيار الوظيفية. حيث اهتم الوظيفيون بالدور الاجتماعي للغذاء. هكذا انصب تركيز رادكليف براون على "التواصل الاجتماعي للوظيفة الاجتماعية للطعام في إثارة المشاعر التي تساهم في تنشئة الفرد كعضو في مجتمعه"¹⁵⁴. فبالنسبة له، ترتبط القيمة الرمزية للأطعمة بقيمتها الوظيفية أو المضادة للوظيفة في السياق المحلي.

¹⁵⁰ Jack Goody, *Cuisines, cuisine et classes*, Paris, Editions du Centre Pompidou, collection. « Alors », 1984, p :31

¹⁵¹ Ralphe Smith : *The religion of Semites*, Edinbrough, 1889.

¹⁵² James George Frazer, *Le Rameau d'or*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, traduit d'anglais, 1ere édition 1980,

¹⁵³ Paul Descamps, *L'État social des peuples sauvages : chasseurs, pêcheurs, cueilleurs*, 1932

¹⁵⁴ Jack Goody, *Cuisines, cuisine et classes*, Paris, op cit, P :32

وقد كانت لأعمال عالم الاجتماع إميل دوركايم السبق في فرنسا للحديث عن التغذية ووظائفها الاجتماعية. فالقيم الاجتماعية من وجهة نظره محددة لوجود الناس وما بينهم من علاقات اجتماعية، كما أنها مكونة للضمير الجمعي. فالقيم الأخلاقية عند دوركايم تحتل مكانة بارزة من حيث أدوارها ووظائفها في المجتمع، فهي تؤثر في غيرها من القيم الاجتماعية وتوجهها، بما في ذلك قيم الإنتاج والاستهلاك. وقد بين ذلك قائلاً: "تناول الوجبات في جماعة ما أمر يحدث في عدة مجتمعات وهذا ما يخلق نوع من الروابط العائلية الغير رسمية للأفراد الذين يشاركون في هذا الأمر، فهم عادة أناس ينتمون لنفس العرق أو الدم، لكن التغذية هنا تعكس دوماً مكونات هذه الجماعة الأصلية".¹⁵⁵

وفي هذا الصدد، لابد من الإشارة إلى تأثير أعمال دوركايم في نظرية الفعل الاجتماعي ودورها في طرح مجموعة من الإشكاليات المتعلقة بالتغذية لدى العديد من الباحثين. ولعل أولهم الطبيب والأنثروبولوجي الفرنسي Pales الذي قام بإدارة المهمة الأنثروبولوجية لإفريقيا الغربية بين 1945 و 1950. حيث سمحت له هذه المدة بإجراء بحث واسع حول تغذية الشعوب الأفريقية¹⁵⁶، الذي كان يندرج في إطار الأبحاث الموجهة للأبحاث الأنثروبولوجية التي تدارست فعل التغذية. بالإضافة إلى دراسة هالبواكس الذي قام بقراءة دوركايمية يوضح فيها دور الوجبات الغذائية في التنشئة الاجتماعية، ونقل القيم من الآباء إلى الأبناء، حيث أشار إلى أن "المهم في الحياة العائلية هو الوجبة التي تتناول بشكل جماعي مع الزوجة والأولاد. فالعامل يعرف جيداً أن نظام تناول الوجبات، وعادات استهلاك بعض الأغذية والقيمة المعطاة لكل عادة تمثل فعلاً مؤسسة اجتماعية".¹⁵⁷ بينما خلص Maurice Halbwachs أن الوجبات الغذائية مؤسسات تلعب دوراً مهماً في صيرورة التنشئة الاجتماعية وانتقال القيم. أما Marcel Mauss فقد تناول في كتابه الشهير Essai¹⁵⁸ sur le don موضوع تبادل الهبات في المجتمعات البدائية، باعتبارها ظاهرة كلية لها

¹⁵⁵ Emile Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, le système totémique en Australie, PUF, 1968.

¹⁵⁶ Léon Pales et Tassin de Saint Pereuse, L'Alimentation en AOF, Organisme de recherche sur l'alimentation et la nutrition africaines, Dakar, 1954.

¹⁵⁷ Halbwachs Maurice : la classe ouvrière et les niveaux de vie. Thèse de doctorat présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, 1930

¹⁵⁸ Marcel Mauss, Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques, Presses universitaires de France, coll. « Quadrige Grands textes », 2007

مجموعة من المظاهر الدينية، الاقتصادية والتجليات الاجتماعية. غير أن هذا الفعل، وإن كان يعبر في الظاهر عن نوع من النفاق الاجتماعي، فهو في العمق ينم عن نوع من الإكراه يحكمه تعاقد واتفاق مضمّر يرمي إلى تحقيق أهداف اقتصادية.

II-2 التغذية في الأنثروبولوجيا الأميركية

إن التطور الذي حصل في إنجلترا في مجال الأنثروبولوجيا الأميركية والذي يعتمد على تشجيع الدراسات الميدانية، سمح بتناول موضوع التغذية كمولد ومحرك للنشاط الاجتماعي. وتعتبر أودري ريتشارد Audrey Richards -تلميذة مالبينوفسكي- المؤسسة الحقيقية لأنثروبولوجيا التغذية، والتي كتبت في سنة 1932 كتاباً¹⁵⁹ مهما أكدت فيه أن التغذية كعملية بيولوجية أهم من العملية الجنسية. فالإنسان يستطيع أن يعيش دون رغباته الجنسية لكن من دون تغذية فهو سيموت حتماً: فالجوع مؤشر رئيسي ومحدد للعلاقات الإنسانية بدءاً من داخل الأسرة تم المجتمعات الاجتماعية. وتناولت Audrey Richards مسألة الإنتاج، التحضير والاستهلاك الغذائي من خلال تقاطعها مع بنية المجتمع. حيث تعبر العادات الغذائية عن نمط العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع. فالغذاء "يحدد بشكل عام أكثر من أي وظيفة فسيولوجية أخرى، طبيعة المجموعات الاجتماعية والشكل الذي تتخذه أنشطتها"¹⁶⁰. وبالمجمل فقد، دفعت هذه الأعمال إلى تغيير النظرة للتغذية تغييراً كلياً حيث أصبحت تعتبر كنشاط بناء ومنظم للمجتمع.

II-3 التغذية في الأنثروبولوجيا الثقافية :

تعتبر الأنثروبولوجيا الثقافية بشكل عام ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى "بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة"¹⁶¹. ومن بين الظواهر التي انبرت لها الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية نجد الغذاء، باعتباره ملازم للإنسان منذ ظهوره؛ فقبل نشأة المجتمعات وانقسامها لحضارات وثقافات مختلفة، كانت الحاجة للغذاء هي المحرك الأساسي للإنسان.

¹⁵⁹ Richards Audrey. Hunger and work in a savage tribe: a functional study of nutrition among the Southern Bantu. London : Routledge & Kegan Paul. 1932

¹⁶⁰ Claude Fischler, L'omnivore, Paris, Odile Jacob, 1990, P : 16

¹⁶¹ بيلز رالف و هويجرا هاري، مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ص21

وفي هذا الإطار، يمكن فهم ارتباط سلوك الأكل بالإنسان، وبالتالي، كون هذا السلوك أحد أقدم العوامل المحددة لكيوننته. فالأنثروبولوجيا الثقافية إذن، سعت إلى فهم تطور الظاهرة الغذائية باعتبارها ظاهرة ثقافية منذ أن كان الإنسان أقدم وجبة غذائية للإنسان نفسه؛ في حقبة لم يكن للهرم الغذائي وجود فيها بعد. مروراً بظهور الزراعة واكتشاف الإنسان للنار؛ حيث تمكن من الإفلات من سلسلة غذائية أحادية عن طريق تنويع محتويات قائمة طعامه إلى غاية ظهور الصناعات الغذائية في الوقت المعاصر.

وقد خصص Lowie في كتابه Manuel d'Anthropologie Culturelle فصلا كاملا تحت عنوان le feu, la cuisine, et les alimentations للطبخ ومختلف التقنيات الخاصة به. وتعدى ذلك ليتكلم عن الوضعية الغذائية، ومختلف الممارسات المرتبطة بها (étiquettes) وفي هذا الفصل أيضاً يبين Lowie سلامة وطبيعة الوجبات، وأنها تختلف تماماً عند الأمم المتحضرة وبقدر أكثر عند الشعوب البدائية.¹⁶²

كما تعتبر الانثروبولوجية Margaret Mead الأكثر دراسة للعادات الغذائية عندما اشتغل منذ سنة 1942 كأمين عام للخلية الخاصة بالعادات الغذائية لأكاديمية العلوم الأمريكية. وفي أول عمل لهذه اللجنة نشرت M. Mead تعريفا للعادات الغذائية، غلبت عليه الصياغة الثقافية، إذ ذهب إلى "إن الطرق التي يتبعها الأفراد أو الجماعات في الرد على الضغوطات الاجتماعية والثقافية هي الاستهلاك، والتبرع بنوع معين وبكمية معينة من الأغذية المتوفرة والحاضرة".¹⁶³ وقد خلصت Margaret Mead إلى أن الأفراد والجماعات يقومون بتناول الغذاء تلبية لظروف اجتماعية.

ومن جهة أخرى بينت Mead كيف أن السلوكيات الأبوية تصبح أقل إزعاجاً عند توزيع الأغذية على الأطفال الذين يساهمون في بناء ما يسميه Ralphe Linton بالشخصية القاعدية التي تلعب التغذية والعادات الغذائية دوراً مهماً في بنائها.¹⁶⁴

¹⁶² Robert Harry Lowie. Manuel d'anthropologie culturelle, Head E. Metraux, Paris, p : 196.

¹⁶³ Mead Margaret, Manuel for study of food habits, bulletin of national research Council, academy of sciences N°111, 1945.

¹⁶⁴ Mead Margaret, Mœurs et sexualité en Océanie, Paris, Plon, « Terre Humaine » 1963

وقد استمرت هذه النظرة في أوروبا مع العالم Moulin الذي قام برصد مشاكل بناء الفضاء الأوروبي، فحدد الفروق في أساليب التغذية والذوق من أجل فهم مشكلة بناء الشخصيات وتحولاتها فيقول "نحن لا نأكل بأسناننا ولا نهضم بمعدتنا، ولكن نأكل بواسطة أرواحنا ونهضم حسب الضوابط الثقافية المرتبطة بنظام التبادل المماثل، والذي هو فائدة كل حياة اجتماعية، لهذا كل شعب يعرف حقا بعادته وسلوكياته الغذائية مثل ما يعرف بلغته أو معتقداته أو سلوكياته الجنسية"¹⁶⁵. فالثقافة أو النظام الثقافي في نظر Moulin هو الذي يحدد أصل العادات الغذائية.

II-4 المنظور البنيوي للتغذية:

وفقاً لمقاربة مختلفة بشكل جوهري عن الأنثروبولوجيا الثقافية والوظيفية، وضع التيار البنيوي مقاربة أخرى في تعاطيه مع موضوع الغذاء. وقد استمدت البنيوية هذه المقاربة من التوجه اللغوي واللساني للعالمين De Saussure و Jakobson ، بحيث لا تعتمد مرتكزاتها التحليلية على العناصر المنعزلة، ولكن بالأحرى على العلاقات بين العناصر نفسها. وقد قام Claude Lévi

Strauss- باستعمال فعل التغذية كمثال ليبين من خلاله أنه كما يستطيع عالم اللسانيات دراسة المجتمعات معتمدا على اللغة، وعالم الاقتصاد معتمدا على نظام تبادل السلع والخدمات، فعالم الاجتماع بالنسبة للمدرسة البنيوية يستطيع دراسة الفعل الاجتماعي من خلال التحليل البنيوي لفعل التغذية وقد استعمل Lévi Strauss ذلك في محاولة مقارنة الطبخ في التقاليد الفرنسية والانجليزية، فأعطى أهمية كبيرة للطبخ أو تقاليد المطبخ في دراسة المجتمعات حيث يقول : "إن الطبخ في مجتمع هو لغة تترجم من دون شعور بنية هذا المجتمع أو على الأقل ومن دون علم مسبق تكشف عن تناقضاته".¹⁶⁶

لقد وجدت المدرسة البنيوية في موضوع الغذاء مجالا خصبا للبحث. إذ يبدو أن اهتمام هذا الاتجاه الفكري بالتغذية يبدأ من المقال الشهير للعالم C.L.Strauss المعنون « Le triangle culinaire » والمنشور في مجلة *L'Arc* سنة 1965. حيث وضح ليفي

¹⁶⁵ Moulin Léo, *L'Europe à table, Introduction à une psychologie des pratiques alimentaires*, Bruxelles, Elsevier Sèquoia, 1975.

¹⁶⁶ Claude Lévi-Strauss, *L'Origine des manières des tables*, Paris, Plon, 1968.P :31

ستراوس من خلال "المثلث المطبخ"¹⁶⁷ والذي يدل على "المشوي والمبخر والمدخن" وتفيد هذه التقسيمات الغذائية النوعية، أن التعامل مع الطعام لا يكون معزولا عن النسق الثقافي الذي ينتمي إليه "الفاعل الغذائي"، فكل طعام، وكل تدبير ممكن لهذا الطعام، يتأسس على سيرورة ثقافية، تتضمن انتقالات وتفاعلات تنطوي على إشارات تنتمي إلى بنيات عميقة ودالة. فالانتقال من سجل النيئ الى المطبوخ الى المعفن، والتموضع في وضعيات بسيطة، تماما كما هو الامر بالنسبة للمشوي والمسلوق. انهما معا (الانتقال والتموضع) يحيلان على ممارسات ثقافية تختزن من الرموز والطقوس ما يفيد حقا في تأويل الثقافة السائدة وتحديد احتمالات الترتيب والبناء الاجتماعي. ذلك ان الانتقال من النيئ الى المطبوخ هو انتقال ثقافي بالدرجة الاولى وعليه فالطعام المشوي هو الأقرب الى الطبيعية فيما المسلوق بالماء هو المتصل بالثقافة¹⁶⁸

إن أهم ما جاء به Claude.L.Strauss هو أن الذوق يتشكل ثقافيا، لكنه يراقب اجتماعيا. فقد اعتمد Claude.L.Strauss على المقاربة البنيوية حيث اعتبر الأساطير بنية غنية تمتد في المكان و تتحول في الزمان، لذلك فهي مختبر للتحويلات الثقافية في المجتمع. وقد انصب اهتمامه على الدلالات الرمزية في الاسطورة وتجذر الغذاء في البنية الاجتماعية. فسلوك صب مشروب لشخص آخر، يرمز الى نوع من التبادل يساهم في تقوية الروابط الاجتماعية. بالنسبة لستراوس ما يحكم اشتغال التغذية في السجل الاجتماعي ليس الممارسات الغذائية وسيرورتها الوظيفية بل هي البنيات العميقة للمجتمع التي تحكم تغذية الانسان في حد ذاته.

واستكمالا لما اثاره ستراوس من تدليل، سوف تؤكد ماري دوغلاس Mary Douglas بأنه يتوجب اعتبار الممارسات الغذائية كأنماط التواصل، كلغة حبل بدلالات وإشارات، يستوجب تشفيرها من اجل قراءة المجتمع، فالأكل في البدء والختم هو فعل

¹⁶⁷ Claude Lévi-Strauss, Le triangle culinaire, L'ARC, N :26,1965, P : 21

¹⁶⁸ Claude Lévi-Strauss, le cru et le cuit, Editions Plon, Paris, 1964, P : 9

رمزي، وقبل ان يكون عملية وحاجة بيولوجية خالصة، فانه سلوك اجتماعي مفعم بالرمزية و الطقوسية¹⁶⁹.

إن الأذواق بالنسبية لماري دوغلاس، ليست شخصية تماما، وإنما تتأطر وتتبلور بفعل القواعد والمعايير الثقافية والدينية والمحرمات الغذائية (الحلية والحرام مثلا)، ما يجعل من العادات الغذائية ممارسات ثقافية كلية تعكس بنية المجتمع العميقة. توضح ماري دوغلاس أنه في الثقافة الإسرائيلية، ترتبط القداسة بالوحدة والنزاهة والكمال، بحيث "تقتصر الوصفات الغذائية على تطوير الاستعارة في نفس الاتجاه"¹⁷⁰. وهكذا، بالنسبة لماري دوغلاس، بشكل عام "تتجذر المحرمات الغذائية في الترتيب الذي نبني به تجربتنا الشاملة للحياة"¹⁷¹.

III-التغذية من خلال النظريات السوسيولوجية المعاصرة

تتمظهر أبعاد الاستهلاك الغذائي في أغلب حقول علم الاجتماع، علم الاجتماع القروي والحضري، علم الاجتماع التنموية، علم اجتماع العمل، علم اجتماع الصحة. وتبقى التغذية هنا كعنصر تابع للظواهر الاجتماعية أو الإشكاليات عامة مثل الهوية التنموية، الصحة، إلخ. ومن جانب آخر، يسلط علم الاجتماع الضوء على السلوكيات البسيطة التي تشكل حياتنا اليومية في أشكالها الملموسة. وهنا نلتقي بالتغذية والتي تشكل في هذا الاختصاص مجالا لقراءة مختلف الفروق الاجتماعية وأشكال الفعل الاجتماعي. وبالتالي نتحدث عن عدة أعمال في علم الاجتماع قام بها باحثون معاصرون وكانت التغذية تشكل عنصرا هاما في هذه الأعمال.

III-1 الاستهلاك التفاخري

¹⁶⁹ Mary Douglas, De la Souillure. Essai sur les notions de pollution et de tabou, Paris, La découverte, 1981

¹⁷⁰ Mary Douglas, De la Souillure. Essai sur les notions de pollution et de tabou, op cit, P :73

¹⁷¹ Mary Douglas, les structures du culinaire, ISSN 0588-8018, N° 31, 1979 (: La nourriture. Pour une anthropologie bioculturelle de l'alimentation / coordination par Claude Fischler), P 145-170

هو مفهوم صاغه عالم الاجتماع الأمريكي Thorstein Veblen وكشفه لأول مرة في عام 1899 في عمله ¹⁷² La Théorie de la Classe de Loisir . يقصد Veblen بمفهوم الاستهلاك التفاخري هو ذلك الاستهلاك الذي يهدف إما إلى إظهار وضع اجتماعي أو أسلوب حياة أو جعل الآخرين يعتقدون أن المرء لديه هذا الوضع الاجتماعي أو نمط الحياة أو الشخصية. في هذه الدراسة للطبقات العليا والبرجوازية في الولايات المتحدة الأمريكية، لاحظ Veblen أن هذه الفئة تُضيع الوقت والسلع. بحيث عندما تداري أوقات الفراغ في الحياة، فإنها تُضيع الوقت، وعندما تستهلك بتفاخر، فإنها تهدر البضائع ¹⁷³.

وفي هذا الإطار، يصور Veblen التباهي والمضاهاة الاجتماعية هي القوى الدافعة الرئيسية وراء الاستهلاك في المجتمع الأمريكي. ضمن إطار أوسع للتحليل، يمكن استخدام صورة الطبقة الترفيهية التي رسمها فيبيلين بشكل مفيد في المسوحات الاجتماعية للتمييز بين أنواع مختلفة من ممارسات الاستهلاك. ثم يعين التباهي نوع النخبة من أوقات الفراغ، والمنفعة، والترفيه الجماعي للطبقات الوسطى، والاكتفاء الذاتي، الترفيه الشعبي.

لقد مهدت نظرية الطبقة الترفيهية الطريق لعلم اجتماع التسلية في القرن العشرين بطريقتين على الأقل:

أولاً، من خلال وصف نوع من السلوك الترفيهي الذي يُنسب تحديداً إلى النخب، في معارضة الثقافة التقليدية والثقافة الجماهيرية. حيث سمح منهج تحليل السلوك الاستهلاكي عند Veblen من إمكانية تطوير تصنيف للسلوك الترفيهي في المجتمع الصناعي: التباهي والتنافس المالي يتوافق مع النوع الأرستقراطي، واستهلاك الكتلة يتوافق مع النوع البرجوازي، أما التقاليد والقيم ما قبل الحديثة للنوع الشعبي. إن التقسيم الطبقي الذي يظهر فيه هذا التصنيف للسلوك الترفيهي متجذر بشكل واضح في مجال الإنتاج.

¹⁷² Thorstein Veblen, Théorie de la classe de loisir (traduit de l'anglais (1970)), Gallimard, Paris. 1899

¹⁷³ Jean-Marie Lafortune, « Les règles de l'ostentation : L'œuvre-phare de Veblen : source et guide de la sociologie du loisir », *Revue Interventions économiques* [En ligne], mis en ligne le 01 octobre 2007

ثانياً، من خلال النظر في آليات التغيير الاجتماعي والثقافي، والتي تقوم على المحاكاة. فمن وجهة نظر اقتصادية واجتماعية سلوك أفراد الطبقة يتماشى مع سلوك الطبقة فوقها مباشرة.

2- III مفهوم التميز والتراتبية الاستهلاكية

لقد جرى Pierre Bourdieu على منهج فابلان في طرح الاسئلة وعناوين المقارنة الاجتماعية خلال عملية الاستهلاك، كما عرض رؤيته للاستهلاك كوسائل مؤسسية، وأظهر بطريقة مجددة مدى التعبير عن الاختلافات بين المجموعات الاجتماعية.

حظيت ظاهرة الاستهلاك أيضاً باهتمام مفكري علماء الاجتماع المعاصرين، ويُعد أبرزهم Pierre Bourdieu حيث عمل على تحليل الذوق الطعامي، مؤكداً على أن الذوق هو محدد تمييزي بالدرجة الأولى يمكن أن نتعرف من خلاله على الانتماءات التراتبية للأفراد والجماعات¹⁷⁴. كما يعبر بيير بورديو في كتابه المرجعي¹⁷⁵ عن الصراع بين الأفراد داخل بنية المجتمع من أجل الاختلاف والتميز. ويعني هذا لكي يكون الإنسان معروفاً في حقل مجتمعي ما، فلا بد أن يتميز عن الآخرين، إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافياً واقتصادياً ولغوياً ورمزياً واجتماعياً. بمعنى أن هناك ثنائية التوافق والتميز. ومن ثم، فالاهتمام بالموضة مثلاً، بشكل هستيري، دليل على الرغبة في التميز ثقافياً واجتماعياً ورمزياً، ودليل على فريدة الأسلوب الشخصي¹⁷⁶. وقد أثبت بورديو أن "أنماط الحياة وأساليبها تختلف حسب مواقع الناس الاجتماعية. أي أن أذواق الناس تعكس طبيعة وضعيتهم المجتمعية. ومن ثم، فالهابيتوس وسيط بين تلك الممارسات والمواقع المجتمعية"¹⁷⁷.

وللتمثيل، فقد درس بورديو طبيعة التغذية والملابس عند العمال والأغنياء. فالعمال يهتمون بكل ما هو ضروري وأساسي في حياتهم؛ بسبب حاجتهم إلى الرأسمال الاقتصادي.

¹⁷⁴ Pierre Bourdieu, La Distinction : Critique sociale du jugement, Edition Minuit, 1979, P:183

¹⁷⁵ Pierre Bourdieu, La Distinction, op, cit , P : 256

¹⁷⁶ Pierre Bourdieu, La Distinction. Op, cit, P. 670

¹⁷⁷ جميل حمداوي، المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو مقال منشور على الموقع الإلكتروني أنظر رابط الموضوع : <https://www.alukah.net/culture/0/83422/>

وبالتالي، فملابسهم عمالية خشنة، وتغذيتهم ذات طابع مضموني، تنسم بالكم من جهة. وتكون دسمة من جهة أخرى. كما أن ذوقهم الفني والجمالي لا يخرج عن الطابع الواقعي الملتمزم. في حين، يركز الأغنياء على الشكل، ويتأنقون في ملابسهم وتغذيتهم، بالتركيز الواعي على النوع الكيفي، ولا يهتمهم الكم في ذلك. ويهتمون كذلك - فنيا وجماليا- بما هو تجريدي وسيميائي وتخيلي.

وقد أكد بورديو بأن دافعية البشر للتحرك هو في حاجتهم إلى إعادة الانتاج للمجموعات النمطية للأفضلية القائمة على تحديد الصنف. وما فعله Bourdieu بأن وصف "رأس المال الثقافي" الذي هو الشيء الحاسم في هذا المجال بأن الفئات والاصناف المختلفة والمتباينة في تأهيلها التعليمي تنال حظها من الآفاق المختلفة لرأس المال الرمزي ولهذا فإن المجموعات السائدة تستعرض تفوقها من خلال الزيادة في ثقافتها وبالتالي استهلاكها العالي.¹⁷⁸

وقد أشار بورديو إلى مفهوم انتشارية الأذواق التي تتخذ منحى تنازلي من أعلى مستويات التراتب إلى الأسفل في أغلب الأحيان. إن التمايزات الذوقية برأي بيير بورديو تمتد إلى كافة الممارسات الثقافية: الموسيقى اللباس والرياضة والطبخ، مؤكداً بأن الفئات الأقل امتلاكاً للرساميل، تفضل الأكل الكثير وتنتصر للحم ضداً على السمك. فيما أذواق الفئات المحظوظة تتجه إلى الأسماك أكثر "فما تتوفر عليه من حيازات ثقافية ومادية بالأساس، هو ما يبلور وينتج ذوقنا على هذا الشكل أو ذلك، إن أذواقنا في النهاية، هي "بطائق هوية وتعريف" تدل على أصلنا الاجتماعي ورساميلنا المادية والرمزية"¹⁷⁹.

III-3 موضوع التغذية وإعادة قراءة المجتمع

من خلال كل أعمال Jean Pierre Corbeau، تحضر مجموعة من التيمات الرئيسية: التمثلات للحياة اليومية والأوقات الاستثنائية وكذلك الاحتفالية وديناميات التغيير الاجتماعي. لقد سلط الضوء على أهمية تحليل سلوكيات الأكل كفضاء مميز لملاحظة

¹⁷⁸ستيفن ميلز، النزعة الاستهلاكية كأسلوب حياة، سلسلة كراسات وعروض، منشورات المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002، ص 26

¹⁷⁹عبد الرحيم العطري، قرابة الملح: الهندسة الاجتماعية للطعام، مؤلف سابق، ص: 22

التغيير. ويعتبر من بين علماء الاجتماع القلائل الذين درسوا مبادئ الأنثروبولوجيا الاجتماعية من خلال الغذاء.

وقد توصل **J. P. Corbeau** إلى أن الغذاء هو لغة تمكننا من فهم التغيرات في المجتمعات وأنماط العيش وبهذا يكون موضوع التغذية مُحلِّل (Analyseur) وليس موضوعاً في حد ذاته. فموضوع الغذاء يندرج في "سلسلة غذائية" فاعلة ومختلفة وهي جزء من علم اجتماع الجسم والصحة والفن والتنظيم والأسرة والتواصل. وفي هذا الصدد، يصرح **Corbeau** قائلاً: "أعتقد أن الغذاء كموضوع في حد ذاته، كعالم اجتماع، لا يهمني حقاً. ما يهمني هو مؤانسة، ما يدور حول الغذاء، إنه التخيل، وأشكال التواصل، ومنطق بناء الهوية. صحيح أن الوصف الاجتماعي الاقتصادي للممارسات ضروري، ولكن ليس كافٍ لوحده."180

حسب العبارة المتميزة « De la fourche à la fourchette »¹⁸¹ لعالم الاجتماع **Jean Pierre Corbeau**، هناك مجموعة من المراحل يجب تحليلها من أجل استيعاب التغيرات الغذائية، وعليه فالدراسات التي تنتظم في إطار "مسلك الأكل" تتطلب اختبار الخطابات والممارسات المهنية للفاعل الفلاحي الغذائي (مهندس، بيطري، طبيب، مصنع غذائي...) فضلاً عن فاعلين آخرين من قبل الإعلاميين وصناع القرار (سياسيون، اقتصاديون، قانونيون...) فجميعهم، يعملون، بشكل أو بآخر على صياغة وتجديد، أو حتى تحجيم السلوكات الغذائية باعتبارها نتاجاً خالصاً لعملية إنتاج وإعادة إنتاج اجتماعي.

III-4 موضوع التغذية قراءات متعددة

إن مسارات البحث في سوسيولوجيا الاستهلاك الغذائي ستنعطف، بدءاً من تسعينيات القرن الماضي، نحو صيغ وأنماط تخزين الطعام، فليست المقتنيات هي ما تفقد إلى فهم السلوكات الغذائية بل إن التخزين والتدبير الطعامي يؤدي الدور ذاته، وباحتمالات قراءة وتفسير مهمة. لكن قبل هذا الانعطاف نحو قراءة السلوك الغذائي من هذا المدخل، تجب الإشارة إلى أن مجمل التطورات البحثية التي عرفها " العلم الاجتماعي " المهتم بالتغذية

¹⁸⁰ Jean Pierre Corbeau, Raphaëlle Héron., Janin Pierre. Les sens du bien-manger : entretien avec Jean-Pierre Corbeau. Socio-Anthropologie, 39, 145-156. (2019), P :146

¹⁸¹ Jean Pierre Corbeau, Nourrir de plaisir : Régression, transgression, transmission, régulation ? Les cahiers de l'OCHA, n :13, 2008.

والعادات الغذائية، تستند على أقوى الاجتهادات التي حاولت أن تقارب الطعام بمنظور تعددي، لا يقيم حدوداً تعسفية بين الحقول المعرفية بحيث يتم الاشتغال على السلوك الغذائي من داخل التاريخ والسوسيولوجيا والانثروبولوجيا والفلسفة، فضلاً عن علوم وآداب أخرى في نفس الآن. وهو الاتجاه الذي جسده Jean Pierre Poulain¹⁸²، الذي أعطى للبحث في الطعام معنى ومبنى جديداً يقوم على "التناهي والتداخل التخصصي" فمن خلال أعماله المتنوعة¹⁸³. حيث حاول Jean Pierre Poulain أن يفهم الأطعمة والاشربة في المجتمع المعاصر وفق تفكير علائقي يحاول الربط بين الفئات والراهن، مستفيداً من مختلف المعارف التي اشتغلت رأساً أو هامشياً على موضوع الطعام. وهو ما دفع إلى إعادة استعمال مفهوم الفضاء الاجتماعي الغذائي الذي يعتبر فضاء يلتقي فيه العنصر البيولوجي بالعنصر الثقافي وتداخلهما. فهو يعبر عن حرية الفرد المتوقفة على الحتمية البيولوجية، باعتبار الإنسان آكل كل شيء من جهة وعلى القواعد الثقافية التي يجدها الفرد في محيطه المعيشي والتي يلزم باتباعها من جهة أخرى.

لذلك فالطريقة "التي يرى بها الناس تلبية احتياجاتهم الغذائية لا يمكن اختزالها في المنطق النفعي أو التكنولوجي الصارم. للغذاء وظيفة هيكلية في التنظيم الاجتماعي لمجموعة بشرية. سواء تعلق الأمر بالإنتاج أو التوزيع أو التحضير أو الاستهلاك، فهو (الغذاء) عنصر حاسم للمعرفة الاجتماعية والأنثروبولوجية." ¹⁸⁴

ومن بين أحدث الأعمال في سوسيولوجيا التغذية، يتبنى عالم الاجتماع كلود فيشر في كتابه L'Homnivore نهجاً متعدد التخصصات للتعامل مع تطور العادات الغذائية، والذي

¹⁸² Jean Pierre Poulain, Sociologies de l'Alimentation, op cit,

¹⁸³ Sociologie de l'obésité, PUF, 2009. Traduction en portugais, Éditions Sénac, Sao Paulo, 2014.//L'homme le mangeur et l'animal, 2007, Actes du colloque OCHA.//Sociologies de l'alimentation, les mangeurs et l'espace social alimentaire, PUF, (ISBN 2-13-050643-7), 2002., 2e édition 2003 et édition dans la collection Quadrige PUF 2005. //Penser l'alimentation, Entre imaginaire et rationalités, en collaboration avec Jean-Pierre Corbeau, Privat, (ISBN 2-7089-4201-8), première édition 2002, 210 pages, seconde édition 2008.//Manger aujourd'hui, Attitudes, normes et pratiques, Privat, (ISBN 2-70-89-4200-X), première édition 2001, 246 pages, seconde édition 2008.//Histoire de la cuisine et des cuisiniers, Techniques culinaires et manières de table en France, du Moyen Âge à nos jours, en collaboration avec Edmond Neirinck, Paris Lanore, préface de Joël Robuchon, (ISBN 286-268-122-9), 5e édition augmentée, 2004, 196 pages. 1re édition 1988.

¹⁸⁴ Jean Pierre Poulain, Sociologies de l'alimentation, op cit, p 186

يتوافق تمامًا مع الجوانب المتعددة للأكل. وقد حدد عددًا معينًا من المفاهيم والمبادئ بما في ذلك مفهوم "le Paradoxe de l'omnivore" التي تفسر أن الإنسان، بسبب وضعه ككائن يأكل النباتات والحيوان يتموقع بين قطبين " التوتر، والتذبذب [...]، ورهبة جديدة (الحذر، والخوف من المجهول، ومقاومة الابتكار)، ومن جهة أخرى النيوفيلية (الميل إلى الاستكشاف، والحاجة إلى التغيير، والجدة، والتنوع) "185.

III-5 أطروحة الطبخ الفوضوي ونقاشاته

لقد كان لمقال Fischler حول الطبخ الفوضوي-Gastronomie-gastro «anomie» انعكاسًا معتبرا على تطور التغذية كموضوع بحث في علم الاجتماع، وقد حرك ذلك فكرتان أساسيتان هما تشجيع البحث في التغذية عن طريق مقارنة متعددة العلوم ومحاولة تفسير تحولات التغذية المعاصرة، وهذه النقطة الثانية هي محط الاهتمام الآن. لقد لقي طرح Fischler لقضية الطبخ الفوضوي إقبالا واسعا من طرف الوسط العلمي والجمهور الواسع، فكان موضوع نقاش حي في وسط علم الاجتماع. حيث يرى Fischler أن الطبخ الفوضوي هو نتيجة للحدثة الغذائية والتي تتميز في حد ذاتها بظاهرتين متوازيتين: حالة الفيض في الغذاء وتراجع الضوابط الاجتماعية. فماذا يقصد Fischler بنظرية الطبخ الفوضوي؟

إن النمو الاقتصادي للمجتمعات الغربية والتقدم الحاصل في مجال الإنتاج والتخزين ونقل الأغذية، خفف من وزن الضغوط الأيكولوجية التي تتدخل في مدى توفر الأغذية. كما أنه ثبت وبصفة دائمة، حالة من الغزارة في الأغذية. إن حالة الفيض في الغذاء، أحدثت سلسلة من التحولات في العادات الغذائية تجلت في فوضوية الوجبات، وتساعد النقطة أو ما يسمى باللغة الفرنسية (le grignotage) التي صاحبت هذه الحالة، ليتها تراجع في الضغوط الاجتماعية التي تحكم مجال التغذية و كذلك ارتفاع النزعة الفردية، يجعل من هذه الحدثة الغذائية تتكى على نموذج من الفوضى و عدم التنظيم.

ويعتمد Fischler صاحب أطروحة الطبخ الفوضوي، في تحليلاته على أعمال أمريكية حيث كتب " إن الوجبات المركبة والجلوس حول مائدة طعام مع شركاء، عمليا هي

¹⁸⁵ Claude Fischler, L'omnivore, Paris, Odile Jacob, 1990, p63

في طريقها للاختفاء في الولايات الأمريكية وسط العائلات التي تنتمي إلى الطبقات الحضرية والمتوسطة حيث أصبحت تلك العائلات لا تجتمع حول مائدة العشاء العائلي إلا مرتين أو ثلاثة في الأسبوع والوجبة بالكاد تدوم عشرون دقيقة، ومتوسط عدد الاتصال مع الغذاء Food Contact في اليوم يصل إلى عشرين مرة. لهذا فان إيقاع الوجبات الثلاثة اليومية لم يعد إلا أثراً، في حين أن مثل هذه الظواهر بدأت تلاحظ في أوروبا ولو بصفة أقل¹⁸⁶. إن خروج العادات الغذائية عن قواعدها من منظور Fishler أدى إلى فردية القرار الغذائي. حيث أصبح فعل الأكل يمارس بشكل فردي بعد أن كانت الوجبة تؤخذ داخل الجماعة وبقرار منها. إلا أن هذه الوضعية الجديدة للأكل في علاقته بالغذاء، خلقت حالة فريدة أعطت للأكل جزءاً كبيراً من الذاتية والحرية الخارجية عن حدود الضوابط الاجتماعية للغذاء. وهي شكل فوضوي للممارسة الغذائية وانعكاس دقيق للعولمة والحدثة الغذائية. ومن هنا فصاعداً سيكون السؤال الرئيسي ماذا سأختار؟ حيث يقول Fishler "إن الأكل الحديث يجب أن يقوم باختيار. فالتغذية أصبحت موضوعاً لقرارات يومية وهذه القرارات قد سقطت في حيز الفردية¹⁸⁷".

في رد فعل تجاه نظريات الحدثة الغذائية والتي كانت في معظمها تساند أطروحة انحدار الطبقات الاجتماعية أو زوالها بسبب تحول التغذية المعاصرة، لكن بعض علماء الاجتماع أصروا على تبين استمرارية وزن الطبقات الاجتماعية. حيث سعى Herpin لإعادة بناء حقائق مختلفة قادرة على تبين الفوضى و عدم التنظيم في التغذية الحديثة، وكنتيجة للعمل الميداني المنجز في الأوساط العمالية بشمال فرنسا، توصل إلى أن التغذية الحديثة، ربما لا يمكن أن تكون بتلك الأهمية التي تبدو عليها، لكن بالتأكيد ليست هي حقا السبب في انحدار الطبقات الاجتماعية.

ومن جانبه تعرض Grignon وبطريقة جذرية لهذه الأطروحة (الطبخ الفوضوي) والتي اعتبرها حقا غير منطقية حيث كتب أن " الميدان مشغول بنظرية الحدثة الغذائية والتي هي استخدام للحالة الخاصة بالتغذية في سيناريو شامل للتغير الاجتماعي، مشتق من

¹⁸⁶ Claude Fischler, La Nourriture : Pour une anthropologie culturelle de l'alimentation, communication N°31, 1979, P : 52

¹⁸⁷ Claude Fischler, L'omnivore, op. cit, P : 204-205

نظريات النمو التي صاحبت التوسع والسياسات الاقتصادية لسنوات الستينات. فلو ان انتاج الكميات الكبيرة استطاع في القرن 19 السبب في الطبقات الاجتماعية وصراع هذه الطبقات فان استهلاك الكميات الكبيرة يحركها ويجمعها. لقد اعتمدت البراهين التي استعملها Grignon على ثلاث انتقادات.

اولا غياب وسائل الامبريقية أو بالأحرى استعمال معطيات لمقاطعة أمريكية يمثل استغلالها أو اسقاطها على المجتمع الفرنسي مشكلا. وأكثر من ذلك هذه المعطيات مقدمه من طرف مكاتب خاصه بالتسويق والتي لا تنش طريقته المنهجية في جمع معطيات لأسباب غير معروفه او سريه.

ثانيا وهو استغلال فرضيه فوضوية التغذية الحديثة لفائدة الصناعات الغذائية. حيث يرى Grignon في الهجوم على الوجبة الكلاسيكية مؤامرة تقوم بها هذه الصناعات حيث يقول " لو ان الوجبة المنظمة وجدت نفسها موضوعه الواجهة فهي بان واحد مهاجمه من طرف وجهه نظر الحداثة والمحكوم عليها باسم الحرية الفردية ومتنازع عليها باسم تحرير العادات ورفض السلطة فربما السبب في ذلك هو النموذج المستعمل في الوجبات الحالية بفرنسا ولان هذه الوجبة المنظمة تشكل عائقا في وجه الاستهلاك المتسع والتغذية المستمرة التي تحلم بها الصناعات الغذائية او على الاقل بعض فروعها مثل تلك التي تنتج (الحلويات البسكويت الشوكولاته)

اما فيما يخص الانتقاد الاخير والذي يعتبر ذو اساس سوسيولوجي عيب على اطروحة الحداثة الغذائية تضخيمها للتغيرات الاجتماعية مخفية بذلك التناول الاجتماعي لهذه التحولات. لقد انتقد Fishler في نظرتة من حيث انها تميل في جانبها الكبير لعلم النفس. ولقد وضعت الاكل في نفس المستوى مع المميزات الاجتماعية التي يبدو انها في زوال ومن جهة النظر الماكروسوسيولوجية الى الاختيارات والعادات يمكن تضاف دائما الى الطبقات الاجتماعية التابعة لها في الفيض وتعميم المنتجات الغذائية لا يمحي الفوارق يظهر من المهم الحاجة الى تغذية النقاش حول نظرية فوضوية التغذية المعاصرة انطلاقا من معطيات امبريقية مما سيسمح بالحصول معرفه مهمه حول التغذية المعاصرة وأثرها على الطبقات الاجتماعية

الفصل الثالث:

الغذاء بين التعبير الثقافي ودينامية التنظيم الاجتماعي

I - الغذاء وأشكال التعبير الثقافي

إن الثقافة هي مجموعة من المعارف والسلوكات الصريحة والضمنية التي يكتسبها الشخص بوصفه عضواً في مجتمع معين، والتي تدله على كيفية رؤيته للعالم وطريقة تصرفه فيه من حيث علاقته بالناس الآخرين وكذا بالبيئة، وتمده بالأسلوب الذي ينقل به هذه التوجيهات إلى الأجيال الأخرى من خلال استخدام الرموز واللغة والفن والطقوس والشعائر. وفي هذا الصدد، تبرز التغذية كسلوك وتعبير ثقافي، باعتبارها طريقة للحياة تتوارثها

الأجيال عن طريق الأسرة وتشتمل على العديد من السمات الاجتماعية والثقافية والنفسية. فما هي أشكال التعبير الثقافي للغذاء وكيف يمكن للإنسان أن يعبر عن هويته من خلال الغذاء؟

I-1 الغذاء والتعبير الطقوسي

يعتبر البعد الطقوسي أهم مدخل لمقاربة ودراسة الغذاء كظاهرة ثقافية. فبعد أن كان الطقس مرتبطاً بالحقل الديني في الدراسات الأنثروبولوجية، كشفت الدراسات الاثنولوجية المنفتحة عن المجتمعات الحديثة، عن تمظهرات العادات الغذائية كمارسات طقوسية. ومن زاوية أخرى، أماطت العادات الغذائية الغطاء الديني عن الطقس وألبسته مظاهر أكثر دنيوية.

أ - الطقس مقاربات تعريفية

يصعب إعطاء تعريف محدد لمفهوم الطقس، وذلك لتعدد المقاربات السيميائية لهذا المفهوم. بحيث لا يمكن تعريف الطقس إلا داخل سياق ثقافي واجتماعي معين. من هنا يمكن اعتبار الطقس "كسلوك نمطي وجماعي لا يروم تحقيق أهداف عقلانية بقدر ما يعبر عن الروابط الاجتماعية تحكمه غالباً معتقدات فوق طبيعية سحرية أو دينية".¹⁸⁸ لقد تعامل اليونان مع الطقس كشعيرة مرتبطة بمفهوم آخر هو الواجب. هذا الواجب الذي يتمثل في الخدمة العامة التي يقدمها أغنياء المدينة للشعب برمته.

كما أن وصف الطقس كمراسيم احتفالية، سوف يخرج من الحقل الديني إلى الدنيوي. حيث ان تعريف الطقس من طرف مؤرخي الأديان كإطار شكلي خالٍ من المعنى أو شيء مثير للضجر بفعل الروتين الذي تكرسه الحركات النمطية سوف يكرس هذا الانتقال.

وقد تطرق دوركايم إلى الطقس عندما قدمه " كطرق للتصرف لا تظهر إلا داخل الجماعة وتعمل على إثارة حفظ أو خلق بعض الحالات الدينية لهذه الجماعة"¹⁸⁹. وهنا سيبين دوركايم دور الطقس في تقوية الإحساس بالانتماء إلى الجماعة والمعايير الجماعية التي تقي الفرد من الانزلاق إلى اللانظام.

¹⁸⁸ Jacques Gleyse et Muriel Valette, « Rites initiatiques et rituels de passage ou de purification » dans : Corps, Sport et Rites, Numéro 4 | 1999

نعيمة المدني تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي: دراسة أنثروبولوجية، دار الأمان، الطبعة الأولى 2015،

¹⁸⁹ Emile Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, le système totémique en Australie, PUF, 1968, P : 21

من خلال ما سبق يتضح أن الطقس كمفهوم يختزل معاني كثيرة وكمارسة يتميز بالمرونة والتأقلم مع التغيرات الاجتماعية لهذه الأسباب نجد اليوم صعوبة كبيرة في تحديد معنى الطقس. ذلك أن الكثير من السلوكيات التي كانت ترافق الطقس في المجتمعات البدائية منها: الرقص، اللعب، التعبير عن الانفعال التعبيرات الجسدية. أصبحت منفصلة وأزيحت عنها القداسة وفي هذا الإطار دعت الباحثة Segalene Martine إلى توكي الحذر الاستمولوجي في تعريف الطقس من خلال ترشيح مختلف الأفعال الاجتماعية التي تنطوي تحت طائلة الطقس.

ب-العادات الغذائية: من الطقس الديني إلى الطقس الاحتفالي التضامني

إن دخول الطقس إلى المجال الغذائي سيضيف عليه صفة خاصة تتجاوز حدود البعد الاحتفالي إلى الكشف عن الدلالات الاجتماعية والثقافية للتضامن داخل الجماعة. وقد قامت Segalene Martine بإعادة تعريف الطقس على نحو آخر بصيغة تتماشى مع التحولات الاجتماعية والثقافية التي عرفها العصر الحديث. والسمة الأساسية لهذا التقديم الجديد للطقس، يكمن في انفتاحه على مجموعة من الأفعال الاجتماعية ذات البعد الرمزي. والتي تُستعمل كإشارات، وتعتبر شعاراً لجماعة المنتمي إليها، وهذا ما ينطبق فعلياً على العادات الغذائية. وبهذا المعنى تصبح الطقوس مجموعة من التصرفات الفردية أو الجماعية ذات تمظهر جسدي. كما تجد مرجعيتها في القيم المرتبطة باختيارات جماعية تعتبر فعالة ومفيدة بشكل قد لا يكون منطقياً أو ملموساً¹⁹⁰. ومنه يتبين أن للطقس الغذائي بعداً تضامنياً. فهناك العديد من المظاهر التضامنية ذات البعد الاجتماعي والنفسي يكون فيها الغذاء أساس هذا التضامن. كالجنازة مثلاً في السياق المغربي، فهي مناسبة يحضر فيها الطقس الغذائي بشكل قوي إلى جانب الطقس الديني، لما يلعب من دور في تعزيز الروابط الاجتماعية وتجديد التضامن بين المجموعة الواسعة أي الجماعة أو أفراد المجموعة المحدودة الأقارب. وفي مثل هذه المناسبات والتي يشعر خلالها بالضعف، تبرز بعض الطقوس التي تعبر عن تقاسم اللحظات الأليمة. وعلى إثرها، يمكن الإتيان بمواد غذائية إلى دار الجنازة كالخبز والفطائر كما تتطوع عدد من النساء وفتيات الجماعة للطهي والطبخ خلال الأيام الأولى من الوفاة. هو

¹⁹⁰ Segalene Martine, Rites et rituels contemporains, op. cit, P : 13

إذن طقس غذائي ديني ذو بعد رمزي. كما أن بعض الدول الأوروبية تعرف تحريم أكل لحوم الحمراء أثناء الجنازة وهو شكل من أشكال الحداد؛ حداد غذائي يسير بشكل موازٍ على مستوى اللباس والخطاب. وهنا يتبين أن للطقس الغذائي قوته في نسج وتوطيد علاقة الفرد مع الجماعة إذ يحمل الفعل الغذائي بعداً رمزياً يُرسخ العادات الغذائية كوسيلة للتعبير والتواصل.

I-2 التغذية والتعبير عن الهوية

يعتبر الغذاء وسيلة تعبيرية عن هوية مجموعة اجتماعية أو إثنية، كما هو الشأن في مجال اللباس. فاستمرار الفرد في تناول أغذية معينة، يحمل دلالة على هويته. ويكشف المنطقة التي ينتمي إليها أو حتى على دينه. فكل ثقافة محلية تعرف أطباقاً خاصة بها يمكن أن نسميها أطباقاً تقليدية أو شعبية.

وفي هذا الإطار نروم في هذا الفصل تبيان دور التغذية في التعبير عن الهوية، من خلال طرح تساؤلات منسجمة مع موضوع البحث المنصب على تحولات العادات الغذائية. ومن بين الاسئلة التي تطرح نفسها بقوة، نذكر: كيف يعمل الغذاء، كوظيفة للتعبير عن الهوية، على مقاومة التحولات التي تمس العادات الغذائية؟ ثم كيف تكتسب بعض الوصفات الغذائية خاصية التعبير عن الهوية؟

أ- غذاء الهوية

تعتبر الانثروبولوجيا الثقافية العادات الغذائية وسيلة للتبادل والتواصل والتعبير عن الانتماء. بحيث ترتبط هذه العادات بظواهر اجتماعية واحتفالية، يتم فيها التعبير بشكل جزئي أو كلي عن الثقافة التي تنتمي إليها كالوجبات التقليدية المقدمة في الأعراس أو في بعض المناسبات الدينية. بل إن التعصب للعادات الغذائية دفعت الكاتب الفرنسي Jean Anthelme Brillat-Savarin¹⁹¹ لإعادة تعريف هوية الإنسان عندما قال مقولته الشهيرة: قل لي ماذا تأكل أقول لك من أنت. لذلك تمكن السلوكات الغذائية اليومية والمناسباتية من التعرف على طباع المجموعات الاجتماعية وبالتالي الهويات الثقافية.

¹⁹¹ محامي وقاضي فرنسي، له مؤلفات حول الطبخ الفرنسي.

أما Petter Farb فقد وسع دائرة النقاش في هذا الموضوع، مؤكداً أن الأغذية المتناولة تعبر عن الوسط الاجتماعي الديني والإثني. إذ يكفي النظر إلى مطبخ الأسرة لمعرفة أصولها الإثنية. كما أن الطابوهات المتعلقة ببعض الأغذية تدل على الانتماء إلى ديانة معينة (تحريم أكل الخنزير لدى اليهود والمسلمين وتحريم أكل البقر لدى الهندوس)¹⁹². هذا فضلاً عن التماثلات المتباينة للأغذية لدى الشعوب. حيث يتناول الماليزيون مثلاً القهوة والحلوى على أنها وجبة غداء في حين يعتبرها الأوروبيون وجبة إفطار، في حين يتكون الإفطار عند الأمريكي من الحليب والحبوب وفي بعض الأحيان اللحم (نقائض).

تستمد العادات الغذائية كمعبر عن الهوية أهميتها في استهلاك الوجبات الغذائية التي تعبر عن الانتماء. حيث يتشبث المجتمع بها لأطول مدة ممكنة، متحدياً بذلك التغيرات التي يمكن أن تطرأ على مكوناتها أو طرق تحضيرها عندما تتعرض لمحاولة التغيير. ومن ذلك مثلاً وصفة حساء الفول بالنسبة لسكان منطقة جباله والريف، والتي تعبر عن المنطقة بامتياز. علاوة على ذلك، فتعبر العادات الغذائية عن الهوية لا يتم بشكل ميكانيكي مباشر، بل إنه نسق تتداخل فيه ميكانيزمات معقدة تجمع بين ما هو نفسي وشعوري. فتناول أكلة "سوشي" الصينية، لا يعني بالضرورة أننا صينيون، ذلك أن الإحساس بالهوية، يتجلى في ذلك الشعور بالثقة أو بالنفور من تغذية الآخر، باعتبارها دخيلة وغير قابلة للأكل. فكل ثقافة تعبر عن تغذيتها القابلة للاستهلاك في حين أن الآخر لا يمكن تناولها.

كما أن طرق التعامل مع الطعام تساهم في فهم الأشخاص لأنفسهم، وإدراك اختلافاتهم الثقافية في البلد الواحد. في إيطاليا مثلاً، كبلد معروف عالمياً بتقنياته المطبخية وأذواقه، لا يأكلون بنفس الطريقة وليست لديهم نفس الاختيارات الغذائية وهذا ما أشارت إليه كارول كونهان عندما تحدثت عن طبق فلورانس وأهلها بقولها إنهم "يأكلون افطاراً خفيفاً ثم يتناولون في العشاء وجبات كبيرة مكونة من ثلاثة أطباق {...} إلا أنهم يُدركون أن مطبخهم مختلف عن كل المطابخ الإيطالية الأخرى"¹⁹³

إن الاختلاف في التعامل مع الأطعمة والتصورات التي تتشكل لدينا حول تغذيتنا، يجعلنا نُقيم الطرق والاختيارات الغذائية لثقافة الآخر. وهي في نفس الآن، إثبات لتمييزنا عنه

¹⁹² Farb Petter et Armeglos Goerges, Anthropologie des coutumes alimentaires, op cit, P 9-13
¹⁹³ نفس المرجع السابق، ص 14

أي الآخر. وفي هذا الصدد، يقول Leach "يعبر الناس عن تميزهم وتفردهم ويدركونه من خلال وسيط الطعام؛ فالإنجليز يسمون الفرنسيين ضفادع بسبب عادة أكل أرجل الضفادع التي يراها الإنجليز عادة بربرية"¹⁹⁴

ب- الأطباق الوطنية ودورها في التعبير عن الهوية:

تساءلت Annie Hubert عن امكانية وجود طبق وطني يعبر عن هوية الوطن. حيث ترى الباحثة أن الوطن يعبر عن نفسه أحيانا من خلال الأطباق الجهوية والمحلية التي تختلف من منطقة لأخرى. غير أن هناك بعض الأطباق تعبر عن هوية المجتمعات بامتياز دون مجتمعات أخرى. بحيث ترتبط العجائن والبيتزا بإيطاليا، الكسكس بمنطقة شمال إفريقيا، الأرز بالنسبة لآسيا إلى آخره. إلا أن ما يُهدد الأطباق الوطنية المعبرة عن هوية بلد ما أو مجتمع، هو التجارة العالمية التي تسوق المنتجات الغذائية عبر (توضيب وتغليف وتصبير المنتجات) وبالتالي، تقضي على الهوية المحلية من خلال فرض نموذج غذائي كوني، مستفيدة من التكنولوجيا الحديثة. وهناك العديد من المنتجات الغذائية التي عرفت تعديلاً جينياً، وأغذية اصطناعية أفقدت الغداء حمولته الثقافية والقيمية.

ت- العادات الغذائية عند المهاجرين والبحث عن الهوية

يعيش المهاجرون حالة من المقاومة للتغيرات التي تمس عاداتهم الغذائية لوطنهم الأصل. فبعد فقدان لغتهم الأم، تبقى عاداتهم الغذائية وأذواقهم، أهم رابط يجمعهم بوطنهم. وفي هذا الإطار، يمكن اعتبار استمرارهم على نفس عاداتهم الغذائية في بلاد المهجر نوع من الممارسة الثقافية وتعبير عن هويتهم. بحيث ترى في هذا الإطار Annie Hubert أن الإحساس بالهوية، يكون أكثر قوة عند الابتعاد عن الوطن¹⁹⁵. وقد لاحظنا ذلك من خلال التحقق من الإرساليات للأسر الريفية بمدينة الناظور إلى ذويهم وأقاربهم في بلاد المهجر.

¹⁹⁴ Leach Edmund, Anthropological aspects of language animal categories and verbal abuse. In New directions in the study of language edited By E.H Lennenberg cambridge, Mass : MTT press, P : 31

¹⁹⁵ Hubert Annie, « le plat national existe-t- il ? », Revue des Sciences Sociales, N° 27, dossier : Révolution des Cuisines), 2000, P : 8-9

حيث سجلنا تشبث المهاجرين المغاربة من العاملين بالديار الأوروبية، ببعض المأكولات والمنتجات الغذائية المحلية عبر ارسالها إلى بلدان الإقامة على الرغم من توفرها في الأسواق الأوروبية من بلدان الاستقبال كزيت الزيتون مثلاً. وفي هذا الصدد، يرى Emmanuel Calvo بأن التحولات التي تطال العادات الغذائية للمهاجرين تحدث على مجموعة من المستويات وذلك لاختلاف البيئة التي يعيشون فيها عن الوطن الأم:

- شكل التزود بالأغذية.

- طرق تحويل وتحضير وطبخ الاغذية وطريقة التقديم

- إيقاع ومدة الوجبات

- الوصفات الغذائية المحضرة في الأيام العادية والمناسبات المختلفة

ينطلق التفكير في موضوع التغيير الذي يطال العادات الغذائية للمهاجرين من مرجعيات سوسيو-ثقافية كون التغيرات التي تطال العادات والممارسة الغذائية التقليدية، تعيد التفكير في الهوية وتُجبرنا على البحث عن التوازن والتكيف، دون التخلي عن الأغذية المتناولة في البلد الأم باعتبارها دالة على الهوية و "لا شك أن تعبير بعض الوصفات الغذائية عن الانتماء يجعلها تقاوم التحول، كما تشكل عامل ارتباط للمهاجرين مع البلد الأم أو منطقة الانطلاق. من هنا يمكن اعتبار العادات الغذائية من مقومات الهوية بامتياز"¹⁹⁶ وعلى العكس من ذلك فإن تخلي المهاجرين عن عاداتهم الغذائية الأصلية واستبدالها بعادات غذائية جديدة من خلال الإقبال على تناول أطباق بديلة هي آلية اجتماعية تقاس بها درجة اندماج المهاجرين في بلدان الاستقبال وبالتالي فإنها درجة عالية من الاندماج.

I-3 التغذية والقيم الثقافية

أ- الطعام بوصفه رمزا ولغة

تشكل طرق وطهي الطعام وتقديمه نسقاً منظماً في كل ثقافة من الثقافات حيث أن الوجبات ببنياتها ومكوناتها، تعبر عن معاني ورموز مختلفة. وهي بذلك لغة تواصل تُنتج وتُفهم رموزها. وهذا التشابه بين الطعام واللغة ليس اعتباطياً؛ فهما الاثنان يشتركان في خصائص عديدة. وقد عبر Roland Bartes عن هذا الترابط الرمزي بين الطعام واللغة

¹⁹⁶نعيمه المدني، تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي، مرجع سابق، ص62

عندما قال أن الطعام " ليس مجرد مجموعة من المنتجات يمكن استخدامها في الدراسات الإحصائية أو الغذائية، بل هو في نفس الوقت نسق من أنساق التواصل ومجموعة من الصور وبروتوكول يطبق على ما يصح قوله أو فعله وعلى الأحوال والسلوك".¹⁹⁷

إن وظيفة الطعام لا تكمن فقط في إشباع رغبات البطن لتجاوز حالة الجوع، بل تتجلى أيضاً في سياق ثقافي بنسق من أنساق التواصل التي يعبر من خلالها أي شعب عن نفسه. فمن خلال مكونات الطعام وبنياته، تكشف الجماعة عن المعاني التي تحملها عن الطعام. فالطعام إذاً يحتوي معاني وينقلها لأنها جزء من أنساق ثقافية مركبة.

وقد أشار Levy Strauss إلى هذا الارتباط الثقافي بين الطعام والمعنى في عبارة معبرة والتي تقول بأن " الناس يختارون اجناساً معينة من الحيوانات «طواطم» ليس لأنها صالحة للأكل بل لأنها صالحة للتفكير"¹⁹⁸. حيث تتحول أنواع الطعام والعادات المصاحبة لها من جهة والأفكار والعواطف المحيطة بها إلى رسائل مشفرة يتم تفكيكها في إطار ثقافي خاص ومحدد في الزمان والمكان. وفي هذا الصدد، لا يمكن فهم محرمات الطعام مثلاً بمعزل عن النسق الذي يوجد فيه. فالنسق الاجتماعي الثقافي للغذاء فعل وممارسة هو من يحدد الأفكار والمعاني المحيطة به.

لقد ركز البنيويون في أبحاثهم على تقديم الطعام بوصفه منتجاً ثقافياً، حيث يقف الطبخ في علاقة وسطية بين الطعام والثقافة. فالمطبخ إذن هو ذلك الفضاء الثقافي الذي يتكلف بتحويل منتج موجود في الطبيعة إلى شيء صالح للأكل. مع إضفاء طابع ثقافي يتمثل في التحسينات والمواد الأخرى المضافة إليه من جهة وطرق التقديم أو أداب المائدة من جهة أخرى.

ب- الثقافة الغذائية رافد للثقافية

إن سياق تحضير الوجبات وعادات الأكل، هي جزء من النمو الاجتماعي والثقافي للطفل. حيث إن "تنظيم وجبات الطعام المختلفة مرتبط بشكل وثيق بالأمكان التي يتم تناولها سواء في المنزل مع أفراد الأسرة أو في المدرسة مع الزملاء. فالفعل الغذائي يتأثر

¹⁹⁷ Roland Bartes, Toward a psychology of contemporary food consumption, edited by Elborg Foster and Robert Foster, New York, 1975, P : 49-50

¹⁹⁸ Claude Levy Strauss, Totémisme, op cit, 1963, P :89

بالأشخاص الذين نتقاسمه معهم وكذلك بالسياق الذي يستهلكونه فيه "199. فالطفل يتعلم الأكل كما يتعلم الكلام أو الكتابة، وذلك عن طريق الملاحظة والتقليد.

إلا أن هذا التعلم يتبلور بطريقة مختلفة حسب السياق والأماكن التي يتواجد بها الطفل، خصوصاً في فضاء منزلي مع أسرته المقربة. حيث تعد الأسرة هي مصدر الثقافة التي يتلقاها الطفل، لذلك تقوم بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية مما يجعل ثقافة التغذية تورث عن طريق الأسرة للأجيال، فينشأ الطفل حاملاً للكثير من السمات الثقافية للتغذية. لأنه ينمو داخل مجموعة اجتماعية وفي إطار معرفه مبنية بشكل جماعي. وبالتالي فالطفل يتعلم بشكل مبكر كيف يكون نظامه الغذائي وذلك أساساً من خلال التقليد والتدريب. ومن خلال وجبات الطعام، تنتقل مجموعة من القيم والقواعد الى الطفل في سن مبكرة. بحيث يتمكن الطفل من خلال مجموعة من القواعد المعمول بها من طرف الاباء وغيرهم من استيعاب القيم المركزية لثقافة محيطه عند تناول الطعام حول المائدة.

ويشير Pierre Bourdieu إلى أن التمايزات الاجتماعية في التغذية، لازالت متواجدة بقوة، حيث يتبين ان العادات الغذائية، كما هو الشأن لباقي الممارسات الاجتماعية، تشكل علامات للانتماء الاجتماعي والثقافي²⁰⁰. ففي العديد من المجموعات الاجتماعية يتم تميز انتمائهم من خلال عادات الأكل التي يجدون صعوبة كبيرة في التخلص منها. وفي هذا السياق، نجد نماذج من العادات الغذائية في المغرب التي تميزنا عن غيرنا ويمكن لأي شخص عارف بالتقاليد والعادات الغذائية المغربية أن يميز عادات الأكل لدى المغربي عن غيره، ولو كان ذلك في سياق مكاني خارج البلد الأصلي. ويمكن ذكر أمثلة لتلك العادات التي ينفرد بها المغاربة مثل استهلاك الشاي بالنعناع أو الكسكس يوم الجمعة، وتأخير أكل اللحم عن الخضر، إلى غير ذلك من العادات الغذائية المغربية.

وفي هذا الصدد، يمكن القول أن فعل الأكل لا يتعلق بعملية تناول الطعام في إطاره البيولوجي والفزيولوجي المحض، بل هو عملية لنقل القيم والقواعد بشكل محدد اجتماعياً. بالإضافة الى ذلك، فالأكل يحيل على الطريقة التي يتم بها تقديم الوجبات وتناولها ومن ثم،

¹⁹⁹ Annick Faniel, Les habitudes alimentaires et les repas : sources de construction des identités culturelles, Centre d'Expertise Ressources d'Enfances, 2013, P : 3.

²⁰⁰ Pierre Bourdieu : « La Distinction. Critique sociale du jugement », op,cit, P : 672

يكون الأكل مصدر انتقال مجموعة من القيم والقواعد، ويساهم في بناء الهوية الثقافية والاجتماعية.

ت- الطعام والجنس والجسد

تظهر السمات الفارقة على الانتماء إلى طبقة ذات نمط عيش مُعين من خلال قواعد تناول الطعام والقدرة على فرض تلك القواعد على الغير، وهي قواعد يتم التعبير عنها من خلال الرموز التي يرسلها الجسد. فالجسد النحيف في الثقافة الغربية هي قيمة ومطلب اجتماعي كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وتعني النحافة في الاعلانات الاشهارية ووسائل الإعلام من خلال القيم الثقافية الغربية، القدرة على التحكم في النفس والقوة والكفاءة والنجاح. وقد ذهبت كارول كونيهاان إلى الربط بين نحافة النساء وطبقتهن الاجتماعية وانتمائهن العرقي قائلة " لا يدهشنا أن معايير النحافة أكثر صرامة بالنسبة للنساء عن الرجال. بما يعني أن عدداً أكبر من النساء يقع خارج المعايير المفروضة. وأن هؤلاء النساء يشعرون بأنهن أقل قيمة. والأدهى أن السمنة لدى النساء تتباين مباشرة مع المكانة الطبقية والانتماء العرقي: فبياض البشرة والثراء يتناسبان مع النحافة أما النساء الفقيرات اللاتي من أصل بورتوريكي أو السوداوات أو سكان أمريكا الأصليين فيزداد بينهما معدل السمنة وتندنى مكانتهن عن النساء الأمريكيات اللاتي من أصل أوروبي"²⁰¹

إن العلاقة بين الطعام والجنس على المستوى اللغوي تكتسي تداخلاً مجازياً. حيث يُمكن أن يعني الأكل في سياق محدد ثقافياً الجماع. كما يُمكن أن يعني الطعام الطبيعة الجنسية. وقد بين ذلك Thomas Gregor في كتابه حول الحياة الجنسية لسكان الأمازون في علاقتها بالطعام قائلاً "فالتعريف الحرفي لممارسة الجنس لدى هنود المهينباكو هو الأكل حتى التخمة والفكرة الأساسية هي أن الأعضاء الجنسية لأحد الجنسين طعام للجنس الآخر"²⁰². هكذا تربط العديد من الثقافات بين تناول الطعام وممارسة الجنس، إذ تحتوي العديد من المواد الغذائية مهيجات جنسية حسب الثقافات والأفكار السائدة التي تشترك في الدافع الغريزي حيث يوجد ارتباط يستمر مدى الحياة بين اشباع رغبة البطن والجنس²⁰³

²⁰¹كارول كونيهاان انتروبولوجيا الطعام والجسد: النوع والمعنى والقوة. ص23

²⁰² Gregor Thomas, *Anxious pleasures : The sexual lives of an amazonian people*, Chicago ? University of chicao, Press, P :70

²⁰³ Sigmund Freud, *Three contributions of the theory of sex*, New York, Dutton

كما ترتبط الذكورة والأنوثة في جميع الثقافات بأنواع معينة من الطعام حيث يمكن الحديث بشكل اعتباطي عن علاقات بين نوع الشخص (رجل أم امرأة) وبين تصوراتهم واختياراتهم وميولاتهم الغذائية لبعض الأصناف من الطعام دون الأخرى. وهذا ما ذهبت إليه Meigs عندما صنفت أطعمة جماعة "الهوا" التي تعيش في "بابوا" بغينيا الجديدة وقسمتها تقسيماً جنسياً فـ"الصنف الأول يشمل أطعمة باردة ورطبة وطرية وسريعة النمو وترتبط بالإناث بينما يشمل الصنف الثاني أطعمة حارة وجافة وصلبة وعقيمة وبطيئة النمو وترتبط بالذكور"²⁰⁴.

ومن جهة أخرى، تُطبق معايير صارمة في تقييم الجسد وخصوصاً جسد الأنثى في العديد من الثقافات. حيث، يرتبط الجسد الأنثوي في الكثير من الأحيان بالعادات الغذائية والمكانة الاجتماعية. فإذا كانت النحافة لدى النساء الأمريكيات تُشكل هاجساً مرضياً، فإنه على العكس من ذلك في ثقافة أخرى. حيث يُفضل الناس في بعض الثقافات النساء الممتلئات القوام. لأن ذلك رمز الخصوبة ورعاية الآخرين وتحمل الصّعب. وقد أظهرت Becker Anne في بحثها حول مجتمع فيدجي شكل الجسد المُفضل لديهم" إذ يُفضلون الجسد المُمتلئ لأنهم يعرفونه بأنه ناتج عن العناية والكرم والترابط الاجتماعي ورمز لكل ذلك "²⁰⁵

ث- النموذج الغذائي والقيم الثقافية

يتعلق فعل الأكل أيضاً بفعل الرغبة في العيش بطريقة مُمتعة وهنا يُمكن أن تؤدي التغذية دور صناعة المتعة. فاستهلاك طبق غذائي هو في آخر المطاف فعل اجتماعي بموجبه يتم نسج علاقات بين المستهلكين لذلك الطابق. إلا أن كل مجتمع ينفرد في تنظيم طرائق استهلاكه الغذائي بتفكيره في العديد من الأسئلة المؤطرة لفعله الغذائي: من يُمكنه المشاركة في الوجبة؟ كيف يجلس الناس حول المائدة؟ ما الذي يجب أن نأكله أولاً؟ وفي أي ظروف يمكن دعوة الأقارب والأصدقاء والغرباء للأكل؟ كل هذه الأسئلة وأخرى تشكل منظومة قواعد ينتجها النظام الاجتماعي بتصوراته وتمثلاته الاجتماعية للغذاء وهذا ما تطلق عليه سوسيولوجية التغذية النموذج الغذائي.

²⁰⁴ Meigs Anna, Food, sex and pollution : A New Guinean Religion, New Bruns Wick, N.J Rutgers University, Press, 1984

²⁰⁵ Becker Anne, Body self and society : The view from Fiji. Philadelphia University of Pennsylvania, Press, 1995.

يعرف J.P.Poulain بالنموذج الغذائي le modèle alimentaire بكونه "مجموعات سوسيوثقافية ورمزية تربط مجموعات بشرية بمحيطها تحدد هويتهم وتضمن وضع سيرورة التمايز الاجتماعي الداخلي. فهي مجموعة من القواعد والرموز المتراكمة من جيل إلى جيل يسمح بتحديد الموارد في فضاء طبيعي لإعدادهم لمواد غذائية ثم إلى أطباق قابلة للاستهلاك. هو في نفس الآن أنظمة ورموز تبرز قيم مجموعة بشرية تساهم بدورها في بناء الهوية الثقافية" 206

يختلف النموذج الغذائي من فضاء ثقافي لآخر، وهو قابل للتطور مع الزمن داخل نفس المجتمع. هذا التنوع في النماذج الغذائية تتحكم فيه سيرورة التمايز بين الثقافات والتميز داخل نفس المجتمع. وهكذا تساهم هذه النماذج الغذائية في بناء هويات وتشكيل خصوصيات محلية.

إن التأكيد على البعد الاجتماعي للغذاء يسمح بتحديد بعض خصائص النموذج الغذائي الخاص بمجتمع ما. فالناس عند ممارستهم لفعل الغذاء، لا يأكلون مواد غذائية، بل أطعمة أي مواد غذائية مُعدة ومُحضرة للغذاء في أطباق متنوعة: لحم مفروم، سلطة، جزر مبشور، بطاطس مقلية إلى آخره. وهذا ما يتم من خلال الانتقال من حالة غذائية إلى حالة أخرى، أي من المواد والموارد الغذائية الموجودة في الفضاء الطبيعي إلى أطباق غذاء يتم طهيها في المطبخ، الذي يعتبر فضاء تتم فيه مجموعة من العمليات والاستعدادات بواسطة أدوات الطهي والطبخ.

فحتى الطبق البسيط مثل الخبز المبشور يفترض بعض التحضيرات المطبخية (غسل، تقشير، تقطيع...) وكذلك الشأن بالنسبة لتحضير صلصة التي تدخل فيها مجموعة من المواد الطبيعية والمصنعة المختلفة حسب الأذواق. بالإضافة إلى ذلك يتم تحديد فعل الأكل وفق مجموعة من العوامل والسياقات (السكين والشوكة، الأكل باليد مباشرة، حجم وشكل الصحن حسب نوعية الأطباق المقدمة) وبهذا يتبلور الفعل الغذائي حسب الظروف والأعراف التي يفرضها المجتمع، والتي هي بمثابة قوانين وأعراف تتحكم في اختيار المواد الغذائية وكيفية طبخها وطريقة جمع مواد معينة مع مواد أخرى. وما يفرزه ذلك الخلط من

²⁰⁶ Jean-Pierre Poulain : « Manger aujourd'hui. Attitudes, normes et pratiques ». Editions Privat, Paris, 2002.P : 21

أذواق بين تلك المواد المخصصة لإعداد وجبات الطعام فضلاً عن طرق استهلاكه (آداب المائدة) وتحديد مواقيت الأكل وهيئة جسم الأكل.

إن النموذج الغذائي، هو مجموعة من معارف تجمع بين تجارب بشرية متعددة تحققت من خلال المحاولة والخطأ من طرف مجموعة بشرية. وهذا ما يمكن تقديمه بمثابة سلسلة من الممارسات والعادات الغذائية المتداخلة التي تستعمل يومياً من قبل أعضاء المجتمع بدون أن يكون لهم وعي بذلك، أي بطريقة بديهية وضمنية. وينتشر بين هذه الفئات المنطق الغذائي المُوجِد للعديد من القواعد وعلى مستويات مختلفة، ولا يتم إدراك وجود هاته القواعد إلا عندما يتم تجاوزها. إن صفة البديهية التي يمتاز بها النموذج الغذائي هي "العقبة الابستمولوجية الرئيسية في دراسة النماذج الغذائية وهو ما يجعل الأمر صعباً عندما ينتمي الباحث إلى الفضاء الاجتماعي الذي يريد دراسته".²⁰⁷

II المقاربة الاجتماعية للظاهرة الغذائية:

إن اهتمام العلوم الاجتماعية بموضوع التحولات الغذائية كان يتم من خلال التساؤل حول دينامية هذا التحول من قبيل: كيف تحدث التحولات الغذائية؟ ما هي طبيعتها؟ كيف يتم التمييز بين التحولات الظرفية والبنوية؟ وبين التحولات المحلية والكونية؟ وما هي مكامن الثبوت والتحول في الظاهرة الغذائية كباقي الظواهر الاجتماعية؟ إلا أن الجواب عن هذه الأسئلة، رهين بزاوية نظر الباحث وحسب تخصصه المعرفي فإذا كان البحث يتخذ مقاربة نفسية للظاهرة الغذائية، فإن الباحث سينصب بحثه على الجانب السيكلولوجي وتحليل الحالة النفسية في الاختيارات الغذائية الجديدة والنفور من أخرى تقليدية. وكذلك الأمر بالنسبة للباحث الاقتصادي الذي سيركز على تحليل النشاط الاقتصادي وأثره في السوق الاعلامي وإعادة تشكيل المخيال الجمعي في علاقته بالاستهلاك الغذائي. أما البحث السوسيولوجي في دراسة الظاهرة الغذائية، فيهتم بالعلاقات التي تربط العادات الغذائية بمنظومة القيم والبنىات

²⁰⁷ Jean-Pierre Poulain. « Manger aujourd'hui. Attitudes, normes et pratiques ». Editions Privat, Paris, 2002. Page 26

الاجتماعية. ويرجع ذلك إلى أن دراسة التحولات الغذائية يمكن من معرفة منطق وقنوات التحول وطبيعته.

إن تحليل التحولات الغذائية بالنسبة للسوسيولوجي يتجاوز حدود الحدث اليومي البسيط، إلى تمظهر وظائف البنية الاجتماعية. لأن تحول العادات الغذائية هي عبارة عن سيرورة تقارب مجموعة من الظواهر، تربط الماضي بالحاضر، ليست ثابتة وليست منسجمة فالأنماط الغذائية كما يؤكد الباحث Emmanuel Calvo لا تتحول دائما بنفس الطريقة كما هو الحال لأي دينامية اجتماعية لهذا ينطلق السوسيولوجي في دراسته للظاهرة الغذائية كظاهرة كلية *un fait social total* هذه المقاربة تفيد أن تحول أو استمرار بعض الممارسات الغذائية، مرتبطة بتحول أو استمرار الشروط الاجتماعية المنتجة لها والتعديلات التي اضيفت عليها من قبل الفاعلين. كما يرى جاك كودي في ذات الإطار ان هناك بعدا خاصا يميز كل المقاربات الاجتماعية المتناولة لموضوع الغذاء، وهو البعد الزمني والمجالي، الدياكروني والسانكروني، الانثروبولوجي والتاريخي. لهذا تستدعي دراسة تحول العادات الغذائية تدخل عمل المؤرخ²⁰⁸

II-1 التغذية ودينامية العلاقات الاجتماعية

يحتل الطعام مكاناً مركزياً في العلاقات الاجتماعية، حيث تنشأ العديد من الصداقات والعلاقات الاجتماعية حول موائد الطعام. فعندما نقسم الطعام بمختلف ألوانه وأشكاله وفي ظروف زمنية ومكانية متنوعة، تتوسع دائرة علاقاتنا الاجتماعية. حيث أن "تناول الطعام الطيب في حالة الجوع يسبب شعوراً بالابتهاج وبالمثل حين تكون العلاقات الاجتماعية سيئة يمكن ان يكون تناول الوجبات بدون طعم وباعثة على الضيق"²⁰⁹

ويعد فعل الاكل سلوكا اجتماعيا يتأكد داخل الجماعة. فالأكل بشكل منفرد يحمل معنى الوحدة والعزلة وكما لاحظ فرويد "ان تناول الطعام والشراب مع شخص ما يرمز الى جمع شمل المجتمع ويؤكد كذا يرمز الى ما يفترض وجوده من واجبات اجتماعية متبادلة

²⁰⁸ Goody Jack, *Cooking, cuisine and class a study in comparative sociology*, New York Cambridge university, Press 1982, p 33-37

²⁰⁹ كارول كونييهان، أنثروبولوجيا الطعام والجسد: النوع والمعنى والقوة. ترجمه سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة، الطبعة الاولى، 2013، ص 13.

ويؤكددها.²¹⁰ كما تؤكد المشاركة في الطعام، بقاء الجماعة على قيد الحياة وتعتبر الجماعة من خلال الأكل على وجودها واستمرارية علاقات ايجابية بين افرادها. حيث ينتجون علاقات تفاعل وتبادل بينهم تعزز ما يجمعهم. وهذا ما نجده في المعنى الحرفي لكلمة " الرفيق " الذي يفيد ان الرفيق هو الشخص الذي يأكل المرء معه خبزاً²¹¹ فالوجبة تعبر عن الزمن الغذائي الاجتماعي. فهي تتعلق بعملية التغذية كشكل وطقس اجتماعي موجهة للاستهلاك اليومي في أوقات محددة. إن الوجبة هي فعل خاص ومكرس للغذاء والذي يدخل في دائرة الأنشطة اليومية. وغالبا ما ينظر اليها على أنها فعل طبيعي لأنها تلبي الاحتياجات الفيزيولوجية الأساسية. لكن من وجهة نظر السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا لا ينظر الى الوجبة فقط كوسيلة لإشباع النفس ولكن أيضا كطريقة تعبر عن نظام انتاجي وللحفاظ على الرابط الاجتماعي²¹² ويتجلى ذلك في الحمولة الرمزية الاجتماعية الثقافية والدينية التي تحملها المواد الغذائية في التمثلات البشرية²¹³. ولهذا يمكن القول ان تناول الطعام يرمز الى علاقة القرابة والثقة والصداقة بالمقابل رفض المشاركة في الطعام هو علامة على العداوة. ألم يقل مارسيل موس " الرجل لا يأكل مع عدوه"²¹⁴ وهذا ما يعادل في ثقافتنا الشعبية المغربية "نتشاركوا الملح والطعام" ففعل المشاركة يبعث على الثقة في الآخر عبر فعل الأكل.

كما ان عمليات تبادل الطعام هو امر مهم للحفاظ على العلاقات الطيبة بين الافراد ونسج علاقات تضامنية داخل الجماعة حيث وضع مارسيل موس ما للهدية من قوة متغلغلة بل تجعل الافراد في حالة احتضان لبعضهم البعض كما تجعلهم مشغولين باستمرار بتبادل المعاملات الايجابية من خلال الاخذ والعطاء.

II-2 التغذية ودينامية النوع

²¹⁰ Freud Sigmund, Totem and Taboo, New York, Vintage, 1918, P :174.

²¹¹ Farn Petter and George Armelgos, Consuming passions : The Anthropology of eating, New York, Houghton Mifflin, 1980, P :04

²¹² Jean Pierre Corbeau, Jean Pierre Poulain, Penser l'alimentation, Toulouse, Privat, 2002.

²¹³ Claude Fischler, L'Hominivore, Paris, édition le Jacob, 1990.

²¹⁴ Marcel Mauss, Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques, Presses universitaires de France, coll. « Quadrige Grands textes », 2007.

نروم في هذا الفصل الاحاطة بالعلاقة التي تجمع بين المرأة والتغذية والإشكاليات التي تطرحها في سياقه الغربي والمغربي. بحيث تؤثر وضعيه المرأة داخل الاسرة والمجتمع على مجموعة من العادات الغذائية على مستوى استمراريته او زوالها. ويمكن التطرق الى العادات الغذائية من خلال مدخل عمل المرأة.

فإذا كان تحضير الوجبات يدخل ضمن العمل المنزلي، فإن وضعيه المرأة العاملة تغير نسبيا أو كليا من عادات الغذاء لدى تلك الاسرة وذلك بفعل تقسيم عملها داخل وخارج البيت، وما يحمل ذلك من تكلفة زمنية. حيث يضطر أفراد الاسرة الى تغيير انماط عاداتهم الغذائية وملائمتها مع خروج المرأة من المنزل قصد العمل، أو لأي نشاط تمارسه في الفضاء العام يفرضي بأفراد الأسرة الى تناول الطعام خارج المنزل. مما أدى إلى شيوع استعمال الاغذية المعلبة وارتياح المطاعم، وهذا يذكى إعادة بناء علاقات المرأة بالتغذية.

وتظهر أهمية البعد الاسري للتغذية، في الدور الذي تلعبه العادات الغذائية وقت تناول الوجبات في انجاح العلاقة الاسرية، حيث تلعب المهارات المطبخية للمرأة في الرفع من نسبة الرضا عند الزوج او الأب، بل تشكل المعارف وتقنيات الطبخ لدى المرأة نقطة مهمة، ومعايير أساسية لاختيار الزوجة في العديد من تجارب الزواج. ومن جهة أخرى تشكل مائدة الطعام الظرف الزمني الأنسب لمناقشة العديد من المشاكل أو مواضيع أسرية. إن علاقة المرأة بالتغذية تدفعنا للتساؤل عن إمكانية وجود عادات غذائية خاصة بالمرأة، لاسيما المهارات العلاجية. حيث يتم أكل أو شرب مجموعة من المواد كالأعشاب قصد التداوي من مرض وفق معتقدات شعبية. وهي غالباً ما تكون عبارة عن أغذية خاصة بالمرأة الحائض والنفساء.

في ذات السياق يمكن القول ان توقيت تناول الوجبات، يعد نقطة زمنية تجتمع فيها افراد الاسرة. لكن تضبطها المرأة بحيث يقتضي تجمع افراد الاسرة حول مائدة الطعام انتهاء المرأة من عمليات الطبخ. وهذا التجمع الاسري حول المائدة في وقت محدد ليس بالعمل الهين، بل يعد مؤشرا هاما عن مدى التلاحم داخل ذات الاسرة، ناهيك عن التمثلات والتفاعلات التي تنسج حول مائدة الطعام التي تنعكس بالإيجاب على أفراد الاسرة.

ان ارتباط مهمة الطبخ بالمرأة، كرس في بعض المجتمعات التقليدية النظرة الدونية للمرأة. نظرة تستمد مشروعاتها من الهيمنة الذكورية في تقسيم العمل، حيث ترتبط المرأة بالتغذية بشكل طبيعي وبديهي. في ذات الإطار رصد Jaques Goody علاقة المرأة بالتغذية معتبرا اياها تلك العلاقة التي كانت مصدر استعارة بين التغذية والجنس وبين الانتاج وإعادة الانتاج. هذه العلاقة التي لا تظهر فقط على مستوى الانشطة، بل ايضا على مستوى الطابوهات التي تحيط بها والتي تحصر وظيفة المرأة في الجماع والطبخ²¹⁵.

أ- الطعام وعلاقات النوع والسلطة

يعتبر الاستقلال المالي اهم مؤشر للتحكم في موازين القوة داخل الاسرة، الى جانب التحكم في المشتريات من الطعام. ففي الغالب تكون الموازين في صالح الرجل معيل الاسرة. الشيء الذي يسمح له بانتقاد ما يتم طهيه من طرف الزوجة. وهذا ما ذهبت اليه Adams Carol في كتابها الشهير الذي درست فيه علاقة السياسة الجنسية والتغذية حيث قالت انه "يمكن للرجال ان يطلبوا الطعام او يطالبوا بطهي اطباق معينة ويمكن لهم رفض الانفاق عن الطعام او رفض الاكل حتى. وكثيراً ما يبرر الازواج اساءتهم للزوجات بذكر قائمة بالوجبات الفاشلة التي طهونها."²¹⁶ ويمكن للنساء ممارسة سلطتهن على الرجال من خلال التعبير عن رفضهن طهي الطعام او الاكل بمفردهن كنوع من الاحتجاج والغضب على الزوج وقد تصل درجة ممارسة السلطة على الرجل بهدف التحكم فيه وبالتالي اخذ زمام الامور في ما يخص شؤون الاسرة الى درجة القيام بأعمال سحرية من خلال اعداد وجبات تشمل السحر المأكوله وهو ما يسمى في الدارجة العامية المغربية "التوكال" وهي اعمال شائعة في الريف وتسمى "امشوران"، حيث يكون مصدر الاصابة اكل طعام يحتوي على وصفات سحرية²¹⁷

ب- الطعام والجنس والجسد

²¹⁵ Jacques Goody, Cooking, cuisine and class, op, cit P :192-193

²¹⁶ Adams Carol, The Sexual politics of meat : A Feminist vegetarian critical theory, New York, 1990.

²¹⁷ عبد الرحمن الزكريتي، ثقافة المقاومة بالريف مقارنة سوسيوانثروبولوجية للأسرة القروية واستراتيجيات تدبير الحياة اليومية، مرجع سابق، ص 134

توجد في الكثير من الثقافات روابط جمة، تربط بين الأكل والجماع والإنجاب. حيث تشترك هذا الانشطة في خصائص بيولوجية، ثقافية ونفسية. وكل هذه الانشطة ترمز للمرأة. ومرتبطة عموما في جميع أنحاء العالم بكون الشخص الفاعل أنثى. فالطعام والجنس متداخلان على الأقل مجازيا. ففي بعض الثقافات قد " تمثل هدايا الطعام عروضاً لممارسة الجنس وقد يوصف الجنس من خلال صورة تتعلق بالطعام وتناول الناس للطعام تلميح ضمني الى الحميمية وكثيرا ما يشير ضمنيا إلى الحميمية الجنسية"²¹⁸ وتؤكد الباحثة Meigs أن "الأكل والجماع كلاهما يتضمن الحميمية فهما لهذا بالضبط يمكن أن يكونا خطيرين لو مورسا مع الشخص غير المناسب أو تحت شروط غير مناسبة."²¹⁹ ومن ثم يحاط الأكل والجنس بقواعد ومحرمات تنظم استخدامهما وتعزيز المعتقدات الاساسية للنظام الاجتماعي وأبرزها المعتقدات المرتبطة بنوعية الرجال والنساء

II-3 التغذية والطبقات الاجتماعية

أ- التغذية والتمايز الاجتماعي

تسمح التغذية بتمييز الجماعة او الافراد، وتساعد على اثبات هويات خاصة. فمن خلال اصناف التغذية، يمكن التعبير عن المركز او المكانة الاجتماعية كما يمكن تصور الطبقات الاجتماعية الموجودة في مجتمع ما. وهي فوق ذلك، طريقة للتعبير عن القيم والرموز المشتركة، وبالتالي الانتماء الى الثقافة الواحدة. ومن ثم نجمل القول ان الفضاء الاجتماعي الغذائي هو وسيلة لدراسة النموذج الغذائي باعتماد مجموعة من القواعد الاجتماعية والثقافية التي تبنى السلوك الغذائي.

فالأكل ليس غاية بيولوجية في حد ذاته، بل هو ممارسة اجتماعية تسمح بالحفاظ على المكانة الاجتماعية والية لممارسة سلطة اجتماعية. فالتميز في اكل الطعام وطرق الحصول عليه يكشف جزءاً من استراتيجيات الناس للحفاظ على التراتب الهرمي الطبقي. كما ان نوع الطعام الذي يأكله الشخص وكميته، ومع من يأكله، يكشف عن موقع هذا الشخص في النسق

²¹⁸كارول كونيها انثروبولوجيا الطعام والجسد: النوع والمعنى والقوة. ص106

²¹⁹ Meigs Anna, Food, Sex and Pollution New Guinea Religion, op.cit

الاجتماعي وكما يقول Goody أن التراتب الهرمي للمراتب والطبقات يأخذ شكلا مطبخيا"²²⁰

ويبقى السكر من بين المواد الغذائية والأنماط الاستهلاكية التي ميز بها الأغنياء أنفسهم على الفقراء. وبفضله استطاع الأغنياء إعادة انتاج التراتب الهرمي والمحافظة عليه واستمراره. حيث كان السكر طعاما للأغنياء فقط وذلك طيلة القرنين 18 و 19 وبداية القرن 20. إلا ان الحركات الاستعمارية التوسعية للقوى الأوروبية وسعت من استهلاك هذه المادة. إذ بدأت المستعمرات الأوروبية في افريقيا وأمريكا باستهلاكها. وهذا ما أشار اليه Mintz في كتابه حول مكانة السكر في التاريخ الحديث قائلا "مع استعمار مناطق متزايدة من العالم وتزايد استعباد أعداد هائلة من الأفارقة لإنتاج السكر، تمكنت أعداد متزايدة من الفقراء من الأفارقة من تناوله، وقد فعلوا هذا جزئيا لتقليد أغنيائهم. وقد نقل استهلاك السكر الفكرة المعقدة عن أن الشخص ممكن ان يصير مختلفا حين يستهلك على نحو مختلف"²²¹

وبهذا يكون السكر علامة تميز بها الأغنياء على الفقراء طيلة قرنين من الزمن. ومع اتساع دائرة استهلاكه، صاروا يبحثون من جديد عن ايقونة جديدة يعلقون بها اختلافهم وتميزهم. وكما قال المؤرخ ستيفان منيل في خلاصة الدراسة عن التراتبية الاجتماعية في علاقتها بالطعام في فرنسا حيث أكد أن " تفضيل الأطعمة وكراهية غيرها ليس أمرا محايدا اجتماعيا أبدا، لكنه يتشابه دائما مع انتماءات الناس لطبقة معينة وغير ذلك من الجماعات الاجتماعية. لقد استخدمت الدوائر الاجتماعية العليا الطعام مرارا وتكرارا بوصفه وسيلة من الوسائل الكثيرة لتمييز نفسها عن الطبقات الدنيا الصاعدة وقد ظهر هذا في تتابع انماط تعاملهم مع الطعام وتناوله " ²²² بالمقابل فندرة الطعام توضح الفوارق الاجتماعية وتزيد من وطأتها. ففي المجتمعات الطبقيّة تكون وطأة الجوع اشد على الفئات الفقيرة والأكثر هشاشة، خصوصا النساء بسبب تدني قدراتهن اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا في الكثير من بلدان العالم.

²²⁰ Jack Goody, *Cooking, cuisine and class a study in comparative sociology*, New York Cambridge university, Press 1982, P :113.

²²¹ Mintz Sidney, *Sweetness and power : the place of sugar in modern history*, New York Penguin, P :185.

²²² Mennel Stephen, *All manners of food eating in England and France from the middle Age's to the present*, Oxford Back well, P :331 -332

ب- التغذية والانتماء الاجتماعي

تخلق التغذية الجماعية نوعاً من الارتباط والتماسك الاجتماعي، وتسهم في توحيد ثقافة مجتمع معين. فتناول وجبة غذائية جماعية، يعتبر وسيلة تأسيس هوية مشتركة، وإحساساً بالانتماء الثقافي. كما تمثل الوجبات الغذائية طقوساً للاستمرارية ومنها طعام الجناز الذي يؤدي وظيفة إعادة الثقة. إذ أن موت أحد أفراد الأسرة، يضعف من قوة الجماعة ونظامها. ويستلزم تجديد الرباط العائلي وتأكيد وحدته وبالتالي مقاومة كل تفكك أسري. فالوجبة الغذائية المأخوذة جماعة تضمن البقاء الجماعي، وتذكر بالأصول المشتركة التي يجب أن تبقى ثابتة.

إن التغذية جماعة لها دور فعال في توطيد العلاقات الاجتماعية. فالأكل سوية يولد الاتفاق والتفاهم والاتحاد. فالبريطانيون يؤكدون "أن الذين يأكلون العصيدة جماعة هم من نفس العشيرة" ويقر الأتراك أن "فنجان قهوة يعني أربعين عاماً صداقة". إذاً فالاشتراك في الطعام يقوي العلاقات على أسس مقدسة فمن تناولت طعامه "الملح" لا يجوز أن تغدر به

ت- العادات الغذائية والفئات الاجتماعية

إن اختلاف التغذية من طبقة اجتماعية لأخرى، تم حسب اختلاف الشروط الاقتصادية لهذه الفئة أو تلك في الاستهلاك الغذائي المرتبطة به. بل المعطى الاقتصادي هو المحدد الأساسي للاستهلاك الغذائي الخاص بفئة اجتماعية معينة. بحيث أن كثافة استهلاك الغذاء، نوعيته، شكله ومكوناته كلها محدّدات ذات بعد اقتصادي. وفي هذا الإطار أكدت مجموعة من الدراسات كيف يساهم مستوى الدخل للفئات الميسورة في المجتمع، في ارتفاع النفقات الغذائية في المطبخ الذي يعبر عن المكانة الاجتماعية ومن بين الدراسات المهمة التي تعرضت لهذا الارتباط بين التغذية والمحدد الاقتصادي نجد دراسة Lauriaux²²³ Brunaux الذي قدم المائدة كرهان اجتماعي. بحيث تعكس التراتب الاجتماعي على مستوى المائدة. كما يعتبر أن هذه الفئة الميسورة تتميز بثلاثة خصائص في المطبخ الفرنسي خلال العصر الوسيط.

- فيها كمية أكبر من الأطعمة

²²³ Lauriaux Brunaux, Table et hiérarchie sociale la fin du Moyen Age, p 64

- تحتوي على غذاء افضل

- تقدم الاطباق الفاخرة

غير ان هذه القاعدة الرابطة بين نوع وكثافة الاستهلاك الغذائي والمؤشرات الدالة على المستوى الاجتماعي, لا يمكن تطبيقها بشكل مطلق على جميع المجتمعات, حيث ان الاستهلاك الغذائي يبتعد عما هو اقتصادي صرف في العديد من المستويات. ويكفي أن نقول أن هناك مجموعة من المعطيات والمتغيرات التي تتدخل في تمييز تغذية الفقير عن تغذية الغني, في ظل تواجد العديد من المعطيات بل يعمل الاستهلاك الغذائي على محو التمايزات الاجتماعية بين الطبقات والفئات الاجتماعية.

ث- الوظائف الاجتماعية للنماذج الغذائية

لا يمكن اختزال الروابط بين ما هو بيولوجي واجتماعي في علاقة مجاورة بسيطة تسمح برسم حدود معينة بين مساحة هذا وذاك. فالعلاقات بينهما تتميز اساسا بسلسلة من التفاعلات. فنمو طفل في سياق غذائي معين يتخلله ايقاعات غذائية خاصة, يستعمل فيها انواع المنتجات المحددة, وبذلك يتشكل بيولوجيا, ثم يضع ميكانيزمات تقنين ومراقبة عند تناول كل وجبة طعام.

إن الغذاء هو التعلم الاجتماعي الاول للإنسان بل هو اللبنة الاولى للتنشئة الاجتماعية الاولى. حيث يخضع السلوك الغذائي للطفل لمجموعة من القيود الفيزيولوجية, ولمشاعر وردود فعل متباينة. فالطفل مثلاً ينادي امه عند شعوره بالجوع ويمكن ان يعبر عن ذلك بالصراخ والبكاء. ان الشعور بالجوع مثلاً هو بمثابة محرك للتفاعل بين الطفل وأمه. لكن في هذه الحالة لا يخضع التفاعل عند الطفل الى توقيت محدد اجتماعياً. وهو ما تحاول الام فعله عندما تحاول ضبط سلوك الطفل الغذائي وإدماجه في الايقاعات الاجتماعية الغذائية وفق محددات اجتماعية: الليل والنهار, لحظات العمل, أوقات الراحة. هذه الاليات البيولوجية التي يصدرها الطفل تعرف تأثيرات اجتماعية حتى يتعلم الطفل الاكل بشكل عادي ويتشكل لديه الذوق مع تنظيم الجهاز الهضمي وفق ايقاعات المجتمع الذي ولد ونما فيه .

هكذا تمارس إذاً البيولوجيا تأثيراً قوياً على الثقافة, الى درجة أن التغذية تساهم بشكل فعال في عملية بناء الهوية الاجتماعية. وعن طريق الاكل وفق طريقة محددة اجتماعياً, يتعلم

الطفل معنى الذاتي والعمومي اي ما يمكن اظهاره من نمطه الغذائي وما يمكن اخفاؤه. كما يتعلم قواعد التقاسم، الاسبقية والمشاركة التي تعكس التراتبية الاجتماعية فعن طريق الاكل ايضا يستوعب الطفل القيم المركزية للثقافة التي ينتمي إليها، ويتم التعبير عنها من خلال آداب المائدة. وموازة مع ذلك تُشكل الايقاعات الاجتماعية الغذائية جسم الانسان وميكانيزماته البيولوجية.

من هنا إذاً، تتكشف المماثلة بين اللغة والمطبخ الذي عبر عنها كلود ليفي سترافوس، وبرز جدواها العلمي. فعند ممارسة الناس لفعل الكلام، فهم لا يتكلمون نفس اللغة. وهو ما يمكن تطبيقه في حالة ممارسة الانسان لفعل الأكل، فجميع الناس يأكلون مواد غذائية مطبوخة لكنها ليست بالضرورة نفس الطبخ. وفي نفس الإطار، عبر Jean Pierre Poulain عن مماثله الغداء باللغة عندما قارن النماذج الغذائية التي هي مجموعة من الممارسات المطبخية وآداب المائدة المقننة اجتماعيا، باللغة وطرائق هذه الاسرة او تلك في الطبخ، وكذا الاسلوب الخاص بالأفراد في الاكل وتذوق ما هو مغذي وجيد في ثقافة الانتماء بالكلام .

إن النماذج الغذائية إذن تتوافق مع اللغة، والممارسة الغذائية الفردية تساوي الكلام. فطريقة استعمال اللغة، تسمح بالتموقع اجتماعيا، وكذلك الشأن لطرائق تحويل المواد الغذائية إلى الطبخ وتناول الوجبات الغذائية التي تفرز تمايزات اجتماعية داخل ثقافة محددة، وبين ثقافات فيما بينها. فالغذاء حامل لمنظومة تواصلية ثقافية، تسمح لمجموعات بشرية بالتمايز حتى وان كانوا ينتمون الى نفس المجال الثقافي.

القسم الثاني:
البحث الميداني
دراسة التحويلات الغذائية حالة
-مدينة الناظور-

الفصل الأول: الإطار المنهجي

I- المجال الجغرافي للبحث

يقصد بمجال البحث النطاق الذي ستجرى فيه الدراسة الميدانية. ويتعلق الأمر بالمجالات التالية: المجال الجغرافي، الزماني والبشري. وتعتبر "هذه المجالات محط اتفاق معظم المشتغلين والمهتمين في مناهج البحث العلمي"²²⁴. فبالنسبة للمجال الجغرافي يقصد به المجال المكاني أو المنطقة الجغرافية التي سيتم إجراء البحث فيها، وقد يشمل مدينة بأكملها أو قرية أو حي، حسب نوع الدراسة وأهدافها، والإمكانات المادية المتاحة. أما المجال الزمني فيعني به الوقت الذي يستغرقه الباحث في جمع المادة العلمية والمعلومات المرتبطة بالظاهرة المدروسة، من بداية الشروع في دراستها مروراً بالبحث الميداني إلى أن تتم صياغة التقرير الختامي. بينما يقصد بالمجال البشري تحديد مجتمع البحث أي الفئة أو الفئات المستهدفة لإنجاز الدراسة حسب نوع الظاهرة المراد دراستها.

تقع منطقة الريف في شمال المغرب وتتميز بجمالها الوعرة، وقممها الشاهقة وغطائها النباتي الكثيف. وهو موطن جزء هام من الأمازيغ يُسمّون "ريافة" ويتحدثون "تريفيت" (إحدى الفروع الثلاثة للغة الأمازيغية بالمغرب). وتمتد منطقة الريف من مدينة طنجة غرباً إلى حدود الجزائر شرقاً بمحاذاة البحر المتوسط شمالاً. وتتداخل جنوباً مع سهول الغرب ثم سايس، وصولاً إلى مناطق المغرب الشرقي.

وينقسم الريف إلى ثلاثة مناطق: الريف الغربي، ويمتد من طنجة إلى بلدة كتامة. أما الريف الأوسط يمتد من كتامة غرباً إلى وادي كرت شرقاً، وفي أقصى شرق المنطقة، يمتد الريف الشرقي²²⁵ إلى حدود الجزائر.

ويعد من المواقع الجغرافية الإستراتيجية (الخريطة 1) وتقدر مساحته بحوالي 6310 كلم². بينما تبلغ عدد ساكنته 776446 نسمة، يستقر حوالي 44820 منها في الوسط

²²⁴ محمد شفيق، البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية المطبوعة العصرية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1985

²²⁵ يضم الريف الشرقي، عشر قبائل: قبيلة تمسمان، قبيلة ايت اوزين، قبيلة تفارسيت، قبيلة ايت وليشك، قبيلة ايت سعيد، قبيلة مطالسة، قبيلة ايت بويحيي، قبيلة قلعية، قبيلة كبدانة، قبيلة اولاد ستوت. تشكل هاته القبائل، إدارياً، إقليمياً الناظور والدريوش.

الحضري، و327762 نسمة في الوسط القروي حسب الاحصاء العام للسكنى والسكان 2014.

وقد تميزت بلاد الريف، باعتماد، النظام القبلي كبنية اجتماعية وإطار اقتصادي وسياسي واجتماعي طيلة القرن 19 وبداية القرن العشرين. كما أنها كانت (منطقة الريف) تضم مجموعة من العشائر والجماعات والمداشر التي تنتظم داخل مجال قبلي، خاضع لآليات ومؤسسات اجتماعية، اقتصادية وثقافية؛ تتمحور وتتحدد من خلال علاقات الارتباط بالأرض والعائلة. ف"محيط الريفي هي قبيلته، وأكثر من ذلك "الدشار" الذي ينتمي إليه أو جماعته"²²⁶. إذ عمل هذا النظام على تنظيم استغلال المجال من خلال قيام مؤسسات سياسية واجتماعية لضمان التسيير الأمثل لحياة السكان وتنظيم علاقاتهم، وسن الأعراف والقوانين. بالإضافة إلى تحديد الأدوار لتوفير الوحدة والانسجام بين مؤسساته ومختلف الفاعلين الاجتماعيين، كما يشير إلى ذلك العديد من الباحثين أمثال: د. هارث، ميشوبلير، جرمان عياش، رايمون جاموس وآخرون في كتبهم ومؤلفاتهم ذات الصلة.²²⁷

بعد الاستقلال مباشرة انطلق مسلسل بناء مؤسسات الدولة الحديثة بالمغرب؛ حين اعتمدت الدولة على نظام اللامركزية سنة 1959²²⁸ والعديد من الاستراتيجيات والسياسات في مجال التنظيم والتدبير الترابي. وشكلت الاستحقاقات الانتخابية الجماعية بالمغرب انطلاقا

²²⁶ Emilie Blanco, Coronel en El Rif, la biblioteca de Melillia, 1995, P : 111

²²⁷ دافيد مونتكمري هارت، أيت ورياغل، قبيلة من الريف المغربي الترجمة العربية : عبد المجيد عزوزي، حميد الرايس، محمد أونيا، منشورات صوت المغاربة الديمقراطيين بهولندا، 2016

دافيد مونتكمري هارت، القانون العرفي الريفي، ترجمة محمد الوالي من الإسبانية إلى العربية، اصدار المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل التابع للمعهد، 2004.

-Raymond Jamous, Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Revue de l'Occident musulman de la Méditerranée, n°34, 1982.

- Edouard Michaux-Bellaire, Le Rif, conférence faite au cours des Affaires indigènes, Éditeur Hachette BNF, Collection Sciences sociales, 1925.

-Germain Ayache, Les origines de la Guerre du Rif (Paris: Editions de la Sorbonne, and Rabat: SMER, 1981)

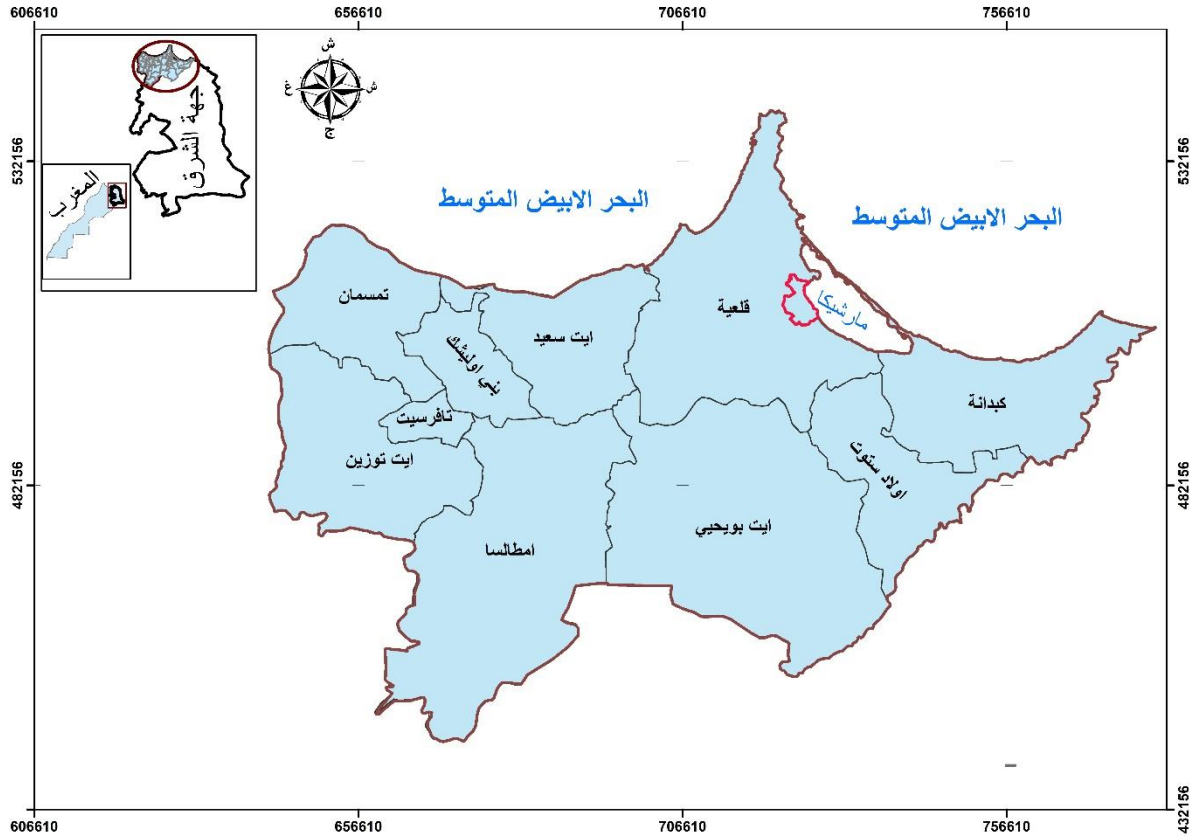
²²⁸تعتبر سنة 1959 سنة مرجعية في تاريخ اللامركزية بالمغرب، حيث عرفت بوضع اللبنة الأولى للتنظيم الجماعي خاصة عن طريق المصادقة على الظهير المؤرخ في 2 دجنبر 1959 بمثابة التقسيم الإداري للمملكة، والذي أسفر لأول مرة عن احداث 108 جماعة حضرية وقروية. إلا أن سنة 1960 عرفت العديد من الإصلاحات وشكلت الانطلاقة الأساسية للامركزية بالمغرب. فبتاريخ 23 يونيو 1960، تم اعتماد أول ميثاق جماعي يعلن عن نظام تمهيدي لنظام اللامركزية، مع اختصاصات محدودة وجهاز تنفيذي مزدوج ووصاية قوية. وقد تزامن هذا المسلسل مع وضع أول دستور للمملكة سنة 1962، الذي كرس وجود الجماعات المحلية وفتح آفاقا جديدة لنظام اللامركزية وذلك بإحداث جماعات محلية جديدة، ويتعلق الأمر بالعمالات والأقاليم.

من انتخابات المجالس البلدية والقروية سنة 1960 خياراً لبناء ديمقراطية تمثيلية وإحدى مقومات الدولة الوطنية.

وعلى صعيد آخر، ساهمت الدساتير المتعاقبة (منذ أول دستور بالمغرب سنة 1962) في توحيد النظام القضائي والتشريعي على المستوى الوطني والقطع تدريجياً مع الأعراف والتقاليد التي كانت تحكم بين الناس في العديد من المناطق المغربية. ونتيجة لكل ذلك، اختفت مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي ارتبطت بالحياة القبلية بالريف. وفي هذا الصدد نذكر مؤسسة "اجماعث" التي شكلت البنية الاجتماعية والنواة الأولى للقبيلة. فالدولة "سعت الى استبدال الأساس العرقي والسلالي بالأساس الترابي والإداري وكانت غاياتها القضاء إدارياً وعاطفياً على الإطار القبلي كنموذج تقليدي للتنظيم الاجتماعي وتعويضه بتنظيم جديد يستجيب لمقتضيات الحداثة"²²⁹. وإذا كان النظام القبلي قد انقرض في الوقت الراهن سياسياً واقتصادياً، وبدرجة أقل اجتماعياً من خلال تدخل الدولة الوطنية التي عززت سيرورة تفكيك نظام القبيلة عن طريق تدخل التقسيم الإداري والترابي للجماعات الترابية، والذي أفضى بدوره إلى إزالة القبيلة مما أدى إلى تراجع الحياة القبلية وتقليصها. فهذا لا يمنعنا من القول أن سكان مدينة الناظور وسكان الريف بشكل عام لا يزالون مرتبطين ارتباطاً وجدانياً وعاطفياً بقبائلهم وأصولهم العرقية. وهذا ما يتأكد من خلال بعض القيم التقليدية المتوارثة والتي تفعل فعلها داخل العائلات الريفية التي تعيش إلى حدٍّ ما تحت ضغط الشرف والسلطة الأبوية والعلاقات القبلية.

²²⁹ بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع: دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1991 ص11.

الخريطة رقم 1:

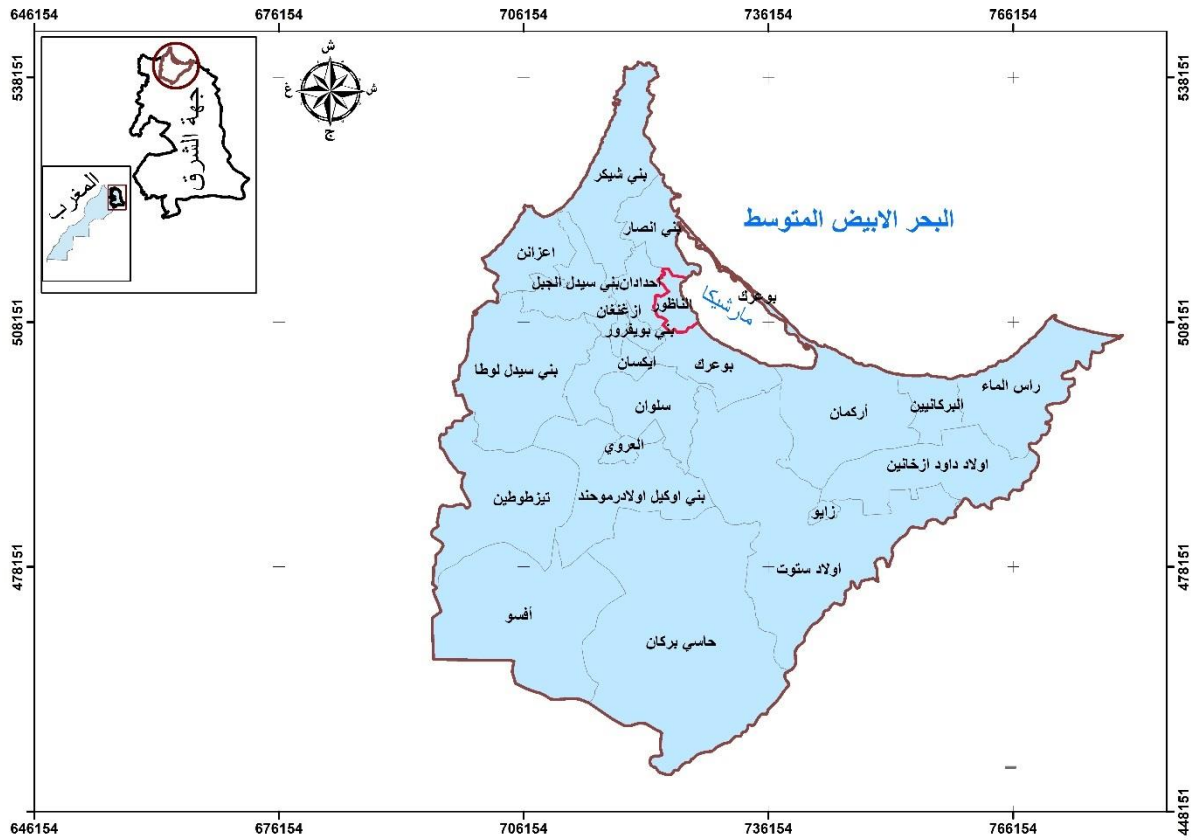


إن المجال الذي نود دراسته، وما نصبو إليه من رصد لمعالم وقنوات التحولات الغذائية، يصطدم بصعوبات متعلقة بأجراً تفاصيل البحث على المستوى الميداني، نظراً للرقعة الجغرافية الشاسعة للريف الشرقي، وكذلك للغلاف الزمني المحدود لإنجاز عمل الأطروحة ثم ضعف الوسائل اللوجستية الكفيلة للقيام بدراسة بحثية شاملة. كل هذه العوامل وأخرى تصعب مهمتنا في البحث. إلا أنها عوامل تحفزنا على بذل المزيد من الجهد لسبر أغوار هذا الموضوع، ودراسة إشكالية الاستهلاك الغذائي والتحولات الغذائية بمدينة الناظور والتي اخترناها مجالا للبحث دون سواها من مدن الريف الشرقي المشار إليها سابقاً وذلك لعدة اعتبارات، أهمها مكانة مدينة الناظور (انظر الخريطة رقم 2):

تعد مدينة الناظور أهم مدن الريف الشرقي وملتقى حضري وإداري لجميع قبائله المذكورة سابقاً. وينتسب جزء مهم من سكان مدينة الناظور في الأصل إلى تلك القبائل. حيث نجد في المدينة "الكبداني" نسبة إلى قبيلة كبدانة و"السيدالي" نسبة إلى قبيلة بني سيدال كما

نجد أيضا "لمطالسي" نسبة إلى قبيلة مطالسة و"التوزاني" نسبة إلى قبيلة آيت توزين إلى غير ذلك من الأصول القبلية. وقد نزح معظم سكان مدينة الناظور من المناطق المجاورة حيث استقروا منذ الأربعينيات من القرن العشرين، خاصة بعد الضائقة الغذائية التي عرفتھا المنطقة ككل، وهو ما يسمى عند عموم الريفيين ب"عام ن جوع" أو "عام البون" والذي يوافق سنة 1945.

الخريطة رقم 2:



ومن جهة أخرى، يتيح مجال البحث (مدينة الناظور) إمكانية القيام بدراسة سوسيولوجية لبعض الظواهر المرتبطة بالسلوكات والممارسات الغذائية داخل مجال حضري. ونتحدث هنا بالأساس عن الممارسات الغذائية في الفضاء العام، وما يرافقها من سلوكيات وأشكال تعبيرية تحمل دلالات قوية. حيث تعرف المدينة ازدياداً مضطرباً للمحلات المقدمة للغذاء وإقبالاً مهماً من لدن ساكنة المدينة، أفراداً وجماعات. وهو مظهر من مظاهر التحولات الغذائية ممارسة وسلوكاً. الشيء الذي لا يمكن ملاحظته ومعاينته في

مناطق أخرى من الريف الشرقي ذات الطابع القروي أو شبه حضري. وهنا لا نجزم أن السلوكات الاستهلاكية والعادات الغذائية في الوسط المدروس -مدينة الناظور- مختلفة بشكل جذري عن تلك المتواجدة في مناطق أخرى من الريف الشرقي، بل لأن كل بنية مجالية مُحددة تفرز أنماطاً سلوكية خاصة بها. ولا شك أن اختيار مدينة الناظور كمجال جغرافي للبحث من الأهمية بمكان، بحيث يتناسب المجال الحضري مع التصور المنهجي للبحث نفسه. وهو دراسة السلوك الاستهلاكي الغذائي وتحولات العادات الغذائية من منظور سوسيولوجي داخل إطار علائقي ومؤسسي خاص، الذي هو المجال الحضري. حيث يختفي البعد القبلي في مقاربة تحولات الظاهرة الغذائية، وتحضر قيم جديدة مرتبطة بشكل عام بظاهرة التحضر التي تعرفها مدينة الناظور.

II- الدراسة الميدانية والتقنيات المنهجية

II-1 أهمية الدراسة الميدانية في البحث السوسيولوجي

هي العملية التي تسمح بالحصول على البيانات من الواقع ودراستها. لهذا، فإن من خاصيات البحث الميداني الأساسية هي أنه يُنجز في المكان الذي تحدث فيه الظاهرة المراد دراستها. حيث يسمح البحث الميداني بتوليد معرفة جديدة انطلاقاً من الواقع من خلال تطبيق مناهج علمية مُعينة، وذلك من خلال البحث عن بيانات أو معطيات في المكان الذي تتطور فيه الظاهرة المدروسة.

إن تبني هذا المنهج التجريبي، وتوظيفه من طرف الباحثين في علم الاجتماع يندرج ضمن الوسائل الكفيلة باختبار الفرضيات، ومعرفة مدى صحتها ومدى تأثير العامل المستقل في تشكيل وتكوين موقف اجتماعي معين أو اتجاه فكري أو سياسي في مرحلة معينة من جهة، أو وصف وتحليل سلوك اجتماعي داخل جماعة معينة ومدى التداخل بين مختلف العوامل المسببة للظاهرة موضوع الدراسة من جهة ثانية. وتأسيساً على ما سبق، فالباحث يحتاج أثناء قيامه بعملية البحث الميداني، إلى مجموعة من المناهج والتقنيات المساعدة في أداء مهمته البحثية. وأمام تنوع المناهج العلمية والتقنيات البحثية يطرح الباحث سؤالاً منهجياً: أي المناهج يختار لبحثه؟

كما هو معروف لدى علماء المنهجية، أن المنهج المتبع في دراسة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، يستمد أساساً من طبيعة الظاهرة المدروسة أو الموضوع المراد دراسته.²³⁰ لكن اختيار المنهج لا يحل مشكلة البحث، بل تبقى أمام الباحث مرحلة أخرى وهي على درجة كبيرة من الأهمية، وهي: أي التقنيات يستعمل لجمع المعلومات من الميدان؟ حيث يجد الباحث نفسه أمام مجموعة كبيرة من التقنيات أو الأدوات، على سبيل المثال: (ملاحظة، استمارة، مقابلة...الخ). ومما لاشك فيه أن قوة هذه الأدوات على معرفة الحقيقة قوة محدودة، لأنها ترتبط بالظاهر فقط، بينما يكتنف مقدرتها على معرفة الباطن عدد كبير من العوائق.²³¹

II-2 الخطة المنهجية للبحث الميداني :

ان مجموع المساعي التي يعتمدها الباحث تكشف بشكل عام عن تصوره للبحث ولمنهجه. ان هذا المنهج لا يتحدد بكيفية غامضة ولكنه يكون قائماً بالأساس على طبيعة الموضوع. وذلك راجع، لاختلاف الظواهر الاجتماعية والثقافية من حيث مضامينها والقوانين والأسباب التي تتحكم فيها ولهذا كان من الواجب وضع طرق وأساليب علمية مختلفة، تتلاءم ونوع الظاهرة التي نود دراستها، فطبيعة الموضوع هي التي تفرض على الباحث المنهج الذي سيتخذه.

من المعروف لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة، أن طبيعة الظاهرة المدروسة، هي التي تتحكم في اختيار منهج الدراسة. ومن ثم تتحكم في اختيار الأداة أو التقنية العلمية أو التوجه نحو استعمال مجموعة من الأدوات لكل وظيفتها في دراسة الظاهرة. فلا يعقل مثلاً استعمال الاستمارة أو الملاحظة أو المقابلة، عندما نكون بصدد دراسة الظاهرة التاريخية. بل نستعمل في هذه الحالة، التحليل الوثائقي أو الحفريات وغيرها من الوسائل. إلا أنه في بعض الأحيان يجد الباحث نفسه مضطراً لاستعمال العديد من المناهج في دراسة ظاهرة واحدة

²³⁰نبيل حميدشة، المقابلة في البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، يونيو 2012، ص:

100

²³¹العساف صالح حمد، المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان -الرياض، 2003، ص 337

وبما أننا في دراستنا هذه نحاول الكشف عن محددات السلوكيات الاستهلاكية الغذائية وتحولات العادات الغذائية فإنه نرى من الضروري الالتجاء إلى المنهجين الكيفي والكمي واستخدام أكثر من تقنية منهجية. إن هذا التوجه المنهجي فرضه هاجس فحص وتدقيق موضوع تحولات العادات الغذائية في أبعاده المتعددة: الاجتماعية، الاقتصادية، المجالية والقيمية.

II-3 المنهج الكيفي

يشكل المنهج الكيفي نسقا يتضمن معطيات كيفية من خلال استعمال المقابلة نصف موجهة من أجل وصف وفهم الظاهرة موضوع الدراسة وعليه سنصب الاهتمام على أقوال التي سيتم جمعها والسلوكيات الغذائية التي سيتم التركيز عليها من طرف المبحوثين والمبحوثات. على مستوى آخر، سيتم استخدام الملاحظة بالمشاركة لدراسة التفاعلات والأعراف والاعتقادات المرتبطة بالغذاء لدى الفاعلين الاجتماعيين داخل السوق الأسبوعي كفضاء اجتماعي غذائي بإقليم الناظور.

أ - المقابلة نصف موجهة ودواعي استخدامها:

ومن بين دواعي استعمال المقابلة في هذا البحث (دراسة السلوك الاستهلاكي الغذائي وتحولات العادات الغذائية بالريف الشرقي)، هي صعوبة الإحاطة بالظاهرة المدروسة بجميع جوانبها عن طريق سؤال مكتوب. فعملية البحث والكشف عن التراث الغذائي بمجال البحث، تستدعي فتح محادثات حولها مع المعنيين بها بشكل مباشر. وقد بين العالم kerlinger هذه الضوابط والاعتبارات بقوله: "عندما يصعب الحصول على المعلومة، بطريقة أخرى غير المقابلة، وعندما تكون هناك حاجة للتعلم في المعلومة تصبح المقابلة أنسب الأدوات، كذلك عندما يكون مجال البحث جديداً، يصبح تطبيق المقابلة أمراً لا بد منه للوصول إلى متغيرات، تخفى على الباحث".²³²

إضافة إلى ما سبق ذكره، وانطلاقاً مما قاله kerlinger فإن توظيف المقابلة في هذا البحث، تمليه طبيعة ونوعية البحث. لقد اخترنا المقابلة لأنها الأداة العلمية الأنسب والأفيد

²³² Fred Kerlinger. Foundations of behavioral research. New York, Holt, ring hart, and Winston, Inc, 1973, p 480

في جمع أكبر عدد من المعلومات والمعطيات حول النظام الغذائي بالريف الشرقي ومكوناته وخصائصه. بالإضافة إلى أن المقابلة، تساعد الباحث بشكل كبير على تحديد معالم الثقافة الغذائية كفعل وممارسة. وكما أشرنا في السابق، عند تطرقنا إلى بناء موضوع البحث أن موضوع العادات الغذائية بالريف الشرقي لم يتم تناوله بشكل كاف من طرف الباحثين وهو ما يشكل فراغاً علمياً في ظل غياب شبه تام للمراجع المصدرية التي عالجت الموضوع.

وفي هذا الصدد نؤكد أن المعلومات المتوفرة المتضمنة في بعض المقالات والمجلات حول موضوع البحث، لا تسعنا في الإجابة على أسئلة جوهرية تبقى عالقة وبدون إجابة حول تحولات العادات الغذائية بالريف الشرقي، من قبيل: ماذا كان يأكل أهل الريف الشرقي؟ ما هي أسس نظامهم الغذائي؟ ماهي الأغذية البديلة في أوقات الشدة؟ كيف كانوا يُدبون الخصائص الغذائي في مواسم الجفاف؟ متى وأين كانوا يأخذون وجباتهم الغذائية؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي أطرمت منهجياً ومعرفياً هذا العمل الميداني. وبالتالي لن نتمكن بدون مقابلة من تحديد العادات الغذائية التي تدخل في خانة الثابت والعادات الغذائية من صميم التحول، أي الظواهر الغذائية التي تغيرت في النمط وتلك التي بقيت صامدة إلى اليوم. الاستهلاك الغذائي بالريف الشرقي. وعطفاً عما سبق، فقد كان لازماً استعمال المقابلة، كأداة لجمع المعطيات والمعلومات عن طريق التواصل مع المبحوثين والمبحوثات من مجتمع البحث من خلال وضعية تواصلية وجهاً لوجه بهدف استنطاق الذاكرة الجماعية حول الثقافة الغذائية بالريف الشرقي.

ب - العينة: حجمها وشروط تحديدها

يلعب حجم العينة دوراً مهماً عند تطبيق المقابلة كأداة في جمع البيانات، فالعدد الكبير يعيق تطبيق المقابلة لما يتطلب من وقت وجهد كبيرين لا يقوى عليهما الباحث، إلا إذا كانت الجهة التي تقوم بالبحث منظمة أو جهة رسمية لها ما يكفي من الوقت والإمكانات لإنجاز عدد كبير من المقابلات. بالمقابل، يبقى العدد القليل من المقابلات، عائق منهجي في حد ذاته كونه لا يفي بغرض الإحاطة بجميع الظواهر المدروسة. لهذا ارتأينا إنجاز عدد مُهم ومقبول من المقابلات حتى نتحقق لدينا درجة الإشباع المعرفي من المعلومات والمعطيات التي تخص التراث الغذائي المراد الحصول عليها. وعطفاً عما سبق،

قمنا بإجراء 40 مقابلة نصف موجهة مع مبحثين ومبحثات يبلغون سن الستين على الأقل. وقد كانت هذه التقنية جد مفيدة، حيث سمحت لنا باستنطاق الذاكرة الغذائية لمجتمع البحث (عينة من سكان مدينة الناظور) مما تكون لدينا كمًا هائلًا من المعلومات تخص الثقافة الغذائية بالريف الشرقي من قبيل خصوصيات ومكونات النظام الغذائي بمجال البحث (مدينة الناظور)، الأطباق التقليدية اليومية والمناسباتية، طرق التخزين والطهي، بالإضافة إلى الأدوات المستعملة في الطبخ ومعطيات مهمة حول الممارسات والعادات الغذائية بالناظور.

ت-نوعية أفراد العينة

ونقصد بنوعية أفراد عينة البحث تلك المعايير التي احتكنا إليها، عند اختيار عينة البحث. حيث تم تحديد عينة البحث من خلال متغيرات أساسية وحاسمة. فمن شروط وثوقية وموضوعية المعلومات المستقاة من المقابلات في هذا البحث، تلك المتعلقة بالمتغيرات، خاصة الانتماء الثقافي والجغرافي لمجال البحث بالإضافة إلى متغيرات السن والنوع. حيث تم إعداد دليل مكون من أربعة محاور رئيسية (انظر دليل المقابلة) يتضمن كل محور مجموعة من الأسئلة. وهي أسئلة مصممة حسب طبيعة الفرضيات التي تطرقنا إليها في بناء موضوع البحث. حيث تم ترجمة فرضيات البحث إلى مجموعة من الأسئلة والمؤشرات التي تم ضمها إلى دليل المقابلة. وهي أسئلة تروم دراسة تحول العادات الغذائية بين الماضي والحاضر.

الانتماء الجغرافي:

يبقى الانتماء الجغرافي والثقافي لمنطقة الريف الشرقي (جماعة الناظور تحديدًا). المدخل الأساسي لإجراء هذه المقابلات. فهي لا تخص مبحثين ومبحثات ينتمون إلى جماعة أخرى غير جماعة الناظور (مجال البحث)، بل مبحثين ومبحثات يعيشون في هذه المدينة ويرتبطون بها بروابط الجغرافيا والثقافة المحلية. فلا يعقل إجراء مقابلات حول العادات الغذائية بالريف الشرقي مع مبحثين ومبحثات من خارج هذه المنطقة.

السن:

إن الهدف الأساسي من إجراء هذه المقابلات هو تحديد معالم النظام الغذائي والعادات الغذائية التي عرف بها الريف الشرقي في زمن حددناه سابقًا خلال مرحلة بناء موضوع

البحث، أي تحديد ووصف العادات والممارسات الغذائية التي تنتمي إلى الماضي وبالتحديد في الريف الشرقي ما بعد الاستقلال إلى غاية اليوم. وفي هذا الصدد فإن متغير السن يطرح نفسه بقوة. حيث يبقى من الشروط الموضوعية للبحث هو إجراء مقابلات مع مبحوثين ومبحوثات عاشوا فترة ما بعد الاستقلال حتى تكون المعلومات ذات مصداقية. ومنه فقد حددنا سن المبحوثين والمبحوثات في فئة عمرية خاصة، أي أنهم يبلغون من العمر أكثر من 60 سنة.

النوع:

تستدعي طبيعة وموضوع البحث (التحولات الغذائية) توظيف مقارنة النوع في البحث الميداني، نظير ما تقدمه من تصور شمولي ومعطيات متكاملة وتقاطعات في الرؤى بين الرجل والمرأة حول نفس الموضوع على مستوى انجاز البحوث الميدانية، خاصة البحوث السوسيولوجية. وعلاقة بموضوع البحث فإن العادات الغذائية كفعل وممارسة تهتم الرجل والمرأة، فكلاهما يساهمان في إعداد وتحضير الغذاء واستهلاكه على حد سواء. مما يعني أن الممارسات الغذائية ليست أدواراً حصرية للمرأة. بل هي ممارسة إنسانية تتجاوز المعطيات الجنسية والتقسيم الجنسي للأدوار الاجتماعية. إن ما يهمننا في هذا البحث من خلال إجراء مقابلات مع رجال ونساء ينتمون إلى مجال البحث هو تقديم تصور كامل حول العادات الغذائية والثقافة الغذائية بالريف الشرقي، من خلال تقديم تصورات مختلفة لمبحوثين ومبحوثات تتقاطع في بعض الممارسات الغذائية وتختلف في أخرى .

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن دراسة التجربة الغذائية الماضية بالريف الشرقي يمر عبر وصف السلوكات والممارسات الغذائية من قبيل: تخزين المواد، رفض بيعها، تفضيل مواد عن أخرى، عدم تناول بعض المواد وتحريم أخرى، الأطباق والأكلات المتداولة، أدوات وطرق الطهي... وفي هذا الصدد يقول عبد الله هرهار: " أنه، لا فهم للسلوك الغذائي المعاصر واختياراته وتقنياته (عرضه واستهلاكه) ما لم نستحضر الذاكرة أو على الأقل إعادة بنائها علمياً على غرار ما تبقى منها، قلت ما تبقى منها لأن هذه الذاكرة تتعرض للموت والتلف كلما فقدنا مسناً أو مسنة"²³³. إن دراسة السلوك الغذائي المعاصر،

²³³ عبد الله هرهار، ذاكرة الطعام في أسس النظام الغذائي وعاداته، الثقافة الشعبية، مجلة فصيحة علمية متخصصة خريف 2010، العدد 11 - ص 114-127.

حتما سيجد بقايا الماضي تطفح على سطح الممارسات الغذائية. لأن الماضي يبقى هنا رقماً أو بعداً مهماً وحاسماً في حياة الجماعة، كما يقول السوسيولوجي الفرنسي جون ديفينيو²³⁴ لا يمكن القفز عليه، أو تجاوزه. إن ما تمكنا من تحصيله هو إنقاذ لما تبقى من الذاكرة الجماعية، التي تختزنها ذاكرة المسنين والمُسنات. إذ بدون هذه الفئة فإن البحث يصبح صعباً أو مستحيلاً لغياب دراسات مونوغرافية حول المنطقة.

كشفت خلاصات ونتائج المقابلات، خاصة محاور تحولات الثقافة الغذائية والذي تناولنا فيه أسباب وعوامل تغيرات المطبخ الريفي، أن أغلبية أجوبة المبحوثين والمبحوثات تؤكد على التغيرات الكبيرة التي مست كل مناحي الحياة بما في ذلك التحولات التي طرأت على معيشتهم اليومي ومنظومة التبادل والمعاملات، بالإضافة الى دخول التقنيات والتكنولوجيا إلى المطبخ الريفي وتحولات المجال والعمران. وقد خلصنا في ضوء النتائج المحصلة، الى ضرورة البحث عن تلك التحولات الكبرى التي عرفها الريف الشرقي وخاصة مدينة الناظور ودورها في تحول العادات الغذائية ونقصد بذلك :

دور الهجرة الدولية والعائدات المالية للمهاجرين المنتمين للمنطقة، التحولات المجالية والعمرانية ودور الدينامية الاقتصادية في بروز قيم استهلاكية جديدة. وهكذا يمكن القول، أن تجربة المقابلات من خلال أجوبة المستقاة كانت حاسمة في تعميق البحث أكثر حول محددات السلوكات الغذائية بمدينة الناظور من خلال تضمين البحث فصل آخر حول: العوامل الماكروسوسيولوجية للتحولات الغذائية بالريف الشرقي، أي البحث عن القنوات الخارجية التي أفضت بشكل غير مباشر إلى كل هذه التحولات الغذائية.

ث- تقنية الملاحظة بالمشاركة

تعتبر تقنية الملاحظة من أهم التقنيات المستعملة في البحوث الميدانية، فهي أداة مهمة أثبتت جدواها في جمع المعطيات في المنهج الكيفي، وكذلك من حيث قدرتها على وصف تفاصيل دقيقة لحياة مجتمع البحث. فالملاحظة هي " مرحلة بينية تقع بعد مرحلة بناء المفاهيم والفرضيات من جهة، وقبل التحقق من المعطيات المستعملة من أجل اختيارها من جهة

²³⁴ Jean Duvignaud, Chebika : Mutations dans un village du Maghreb Broché. Cérès, Tunis, 1994, P : 289

أخرى" ²³⁵ وقد استخدمنا هذه التقنية لاستكشاف بعض الظواهر المتعلقة بالأسواق الأسبوعية. حيث سمحت لنا برصد بعض سلوكيات الباعة والمشتريين وحركيتهم ومشاعرهم. كما أن توظيف هذه التقنية تسمح بأخذ صورة واقعية للسلوكيات الاستهلاكية الغذائية لمجتمع البحث من قبيل كميات المواد الغذائية ونوعيتها ومساومات أثمانه الخضر والفواكه وكذلك رصد بعض السلوكيات وردود الأفعال. الشيء الذي يُمكن من مشاهدة الأفعال والسلوكيات المختلفة وملاحظة التفاعلات والانفعالات والنوايا والمقاصد في وسطها الطبيعي. ومنه يمكن لنا تأكيد ما قاله الباحث عماد عبد الغني في هذا الصدد، حينما أشار إلى معنى ومنافع تقنية الملاحظة قائلاً: "يحتوي معنى الملاحظة إذن على المتابعة الواعية بالسمع والنظر فإذا استمع الباحث بانتباه لحديث المبحوث فإنه يستطيع تتبع أفكاره واستيعاب مقاصده وإذا نظر الباحث بانتباه يستطيع أن يلاحظ سلوكياته من خلال الحركة" ²³⁶ ولذلك فالملاحظة من أكثر الأدوات إثباتاً للحقائق لأنها تفسيرية بطبيعتها. إلى جانب كونها وصفية، مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة لتعميق الرؤية وتشخيص الموضوع المرتبطة به بطريقة علمية.

وقد تحقق فعل الملاحظة وفق خطة واضحة ومبرمجة من خلال تحديد مسبق لدليل الملاحظة، يتضمن موضوع الملاحظة، وأهدافها بشكل واضح والظروف الزمانية والمكانية (انظر دليل الملاحظة). حيث قمنا بإجراء تقنية الملاحظة بالمشاركة في أسواق أسبوعية تنتمي إلى تراب إقليم الناظور وهي كالتوالي: سوق ازغنغان، سوق بني بوغافر، سوق قرية اركمان وسوق بني شيكر. وقد استغرقت كل زيارة مايقارب ثلاث ساعات ونصف أي مايعادل 840 دقيقة في مجموع الملاحظات المسجلة في مجموع الاسواق الاربع

2-2 المنهج الكمي

يعتبر البحث العلمي بصفة عامة والبحث السوسيولوجي بصفة خاصة، مهمة شاقة تحتاج لخطة عمل منهجية ودقيقة. يعتمد خلالها الباحث على العديد من المناهج والتقنيات التي تساعد على الحصول على المعلومات ومعالجتها من أجل بناء معرفة علمية. وفي هذا

²³⁵ Raymond Quivy et Luc Van campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales DUNOD 1998 p :147

²³⁶ عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكالية، التقنيات والمقاربات، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص: 67

الصدد، يُعتبر المنهج الكمي أحد المناهج المستخدمة في تنفيذ الدراسات والأبحاث السوسيولوجية. وذلك راجع للإمكانيات التقنية التي يتيحها لقياس النتائج المحصل عليها من خلال معطيات رقمية.

أ- أهمية تقنية الاستثمار في البحث السوسيولوجي:

بالرجوع إلى أدبيات علم الاجتماع بصفة عامة والمنهجية بصفة خاصة، تعتبر الاستثمار من بين الأدوات التي يلجأ إليها الباحث في علم الاجتماع لإنجاز الدراسات السوسيولوجية. حيث يمكن الحصول عن طريقها على بيانات رقمية لها مدلول. ومن ثم، يجد الباحث نفسه أمام واقع رقمي يعكس جانب أو جوانب من الظاهرة السوسيولوجية المدروسة. ثم يعمل بعد ذلك الباحث في مرحلة لاحقة على تبويب البيانات وفحص النتائج المحصلة وتحليلها وتفسيرها، وذلك من أجل اختبار الفرضيات المعلنة سابقاً.

لقد تم اللجوء للاستثمار نظراً لأهميتها ونجاحتها في دراسة واقع المجتمعات المعاصرة. فهي من أنجع الأدوات لجمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث. حيث سمحت لنا بقياس درجات التحول التي عرفتتها وتعرفها العادات الغذائية بالريف الشرقي. علاوة على اكتشاف بعض الظواهر الغذائية الجديدة التي طفحت على الحياة الاجتماعية من طرف الفاعلين الاجتماعيين، من قبيل ممارسة فعل الأكل في الفضاء العام وما يصاحبه من سلوكات تصوير أطباق الأكل ومشاركة الصور على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي. وفي اعتقادنا، نرى أن ما يميز الاستثمار كذلك، كوسيلة للبحث الميداني، هو كونها قادرة على أن تجمع أصنافاً من المعطيات نفتقدها في غيرها: معطيات عن الأفعال والممارسات، وكذا عن الآراء والمواقف، إضافة إلى التطلعات والانتظارات.

ب- مجتمع البحث والعينة:

إن ما يميز الاستثمار بالأساس كأداة للبحث الميداني هو سعيها إلى التغطية الموسعة لموضوع البحث؛ وعلى هذا الأساس، يتم تصنيفها كإحدى التقنيات الأساسية للدراسات الكمية. ولأن الاستثمار ترتبط بنطاق استقصائي واسع فهي غالباً ما تتطلب إجراءً تقنياً موازياً يتمثل في اللجوء إلى عينة بحث تكون ممثلة للمجتمع الدراسي العام أو الموسع. وبالتالي فإن تصميم العينة، تتطلب من الباحث الانتباه إلى عدة محددات تتعلق بأسس اختيار

ها: وذلك يعني اختيار مجموعة من وحدات البحث من داخل مجتمع البحث؛ حيث ينبغي ان تكون العينة ممثلة للمجتمع في الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والفكرية والثقافية خوصا عند تفاعل المبحوثين/ات مع الأسئلة المفتوحة. ولهذا الغرض، تم تصميم دليل الاستثمار المرفقة كأداة لهذه الدراسة. وقبل استخدامها للبحث الميداني، تم تطبيقها على سبيل التجريب على عينة استطلاعية بلغت ست أسر. وقد كانت مرحلة تجريب الاستثمار مهمة جداً، بحيث سمحت لنا بالتحقق من وضوح المفاهيم بما يحقق المقصود من كل سؤال، بالإضافة إلى مراجعة البعض منها لتفادي الغموض تارة وإضمان انسجام الأسئلة تارة أخرى. فكلما كانت أسئلة الاستثمار واضحة ودقيقة ومنصبة مباشرة على موضوع البحث ولا تثير أي حساسية لدى المبحوث (ة)؛ كلما كانت المعلومات المحصل عليها أكثر أهمية. فدقة المعلومات المحصل عليها، ستساعد الباحث على بناء استدلال منطقي يفسر به جانب من جوانب الظاهرة المدروسة. فقد أجريت الدراسة باستخدام الاستثمار على عينة عشوائية من الأسر القاطنة في جماعة الناظور (مجال البحث) ويبلغ عدد حجم العينة الاجمالي 219 مبحوث ومبحوثة.

ت-بنية الاستثمار ومحاورها:

بُنيت الاستثمار على مجموعة من المحاور الأساسية التي تعكس إشكالية البحث بشتى جوانبها. وتتجزأ هاته المحاور هي الأخرى إلى مجموعة من الأسئلة الموجهة للمبحوثين/ات بغية الحصول على بيانات معينة. وهي عبارة عن وسيلة قائمة بذاتها وتستخدم لجمع بيانات بطريقة سريعة وعن موضوعات محددة ومن مجموعة كبيرة من الافراد. وتعتبر أجوبة المبحوثين والمبحوثات بمثابة حقائق ومعلومات دقيقة، تسمح بالتحقق من فرضيات البحث المعلنة حتى نتمكن في الأخير من تأكيدها أو نفيها.

يتحدد نجاح الاستثمار بمدى توفق الباحث في اختيار الأسئلة المناسبة من حيث معناها وأسلوبها. بحيث، يعتبر السؤال هو أساس أي استثمار. ولذلك، يجب أن تترجم الاستثمار أهداف البحث إلى أسئلة دقيقة وواضحة؛ ثم تقدم الإجابات على هذه الأسئلة كبيانات لازمة لاختبار الفرضيات. لذلك يجب أن يلعب السؤال دوراً في تحفيز المستجيب لتقديم المعلومات التي يسعى الباحث للحصول عليها.

وفيما يلي أهم الجوانب التي استهدفتها استمارة البحث:

المحور الأول: تحديد صفات وخصائص عينة البحث (السن، النوع، السكن والوسط الاجتماعي، المستوى التعليمي، حجم الأسرة، والحالة العائلية...)

المحور الثاني: الأسرة والممارسات الغذائية في الفضاء الخاص: بهدف الكشف على بعض الجوانب من الممارسات الغذائية الميزة لمجتمع البحث

المحور الثالث: النمط الاستهلاكي الغذائي المحلي (جماعة الناظور): بُغية تحديد السلوك والنظام الغذائيين لمجتمع البحث ومعرفة العوامل التي تؤثر في الاتجاهات الاستهلاكية الغذائية للأسرة

المحور الرابع: الممارسات الغذائية في الفضاء العام: وذلك من أجل تحديد أسباب الاستهلاك الغذائي خارج المنزل وما يصاحبه من سلوكات ومواقف.

المحور الخامس: العادات الغذائية والوعي الصحي: وذلك لقياس مدى تأثير التحولات العادات الغذائية على سلامة وصحة لجتمع البحث من خلال إحصائيات رقمية عن الأمراض المتعلقة بالتغذية.

المحور السادس: الأسرة وتدبير ميزانية الاستهلاك الغذائي: بغية بيان أوجه الانفاق الاستهلاكي وتحديد أبوابه والمكانة التي يحتلها الاستهلاك الغذائي.

ث - معطيات وبيانات من مصادر بحثية أخرى:

ولأن دراسة الاستهلاك الغذائي في مجتمع ما ليس بالأمر السهل في البحث السوسيولوجي، فقد اعتمدنا مجموعة من المؤشرات الرقمية التي تعزز نتائج الاستمارة وتقوي نتائج الدالة على توجه سلوك غذائي عام لمجتمع البحث داخل الفضاء الاجتماعي الغذائي. ومن جهة أخرى فهذه البيانات هي مؤشرات رقمية، تسمح بافتحاص فرضيات البحث من قبيل:

-* التقارير والإحصائيات الرسمية : حول تطور عدد المطاعم والمقاهي ومحلات الوجبات السريعة. والتي تحصلنا عليها من خلال تحري ميداني أنجزته بقسم الشؤون المالية بجماعة الناظور معتمداً على السجلات الخاصة بـ « رخص المحلات المقدمة للغذاء وبيع المشروبات، للفترة الممتدة من يناير 1987 إلى غاية نونبر 2018 »

-*. جمع وتحليل الإحصائيات الرسمية للأمراض المتعلقة بالتغذية من خلال معالجة لوائح المرضى المستفيدين/ات من التربية الغذائية بقسم التغذية المتوفرة بالمستشفى الحسني بالناظور. (انظر نموذج لوائح المرضى المستفيدين من التربية الغذائية بالمستشفى الإقليمي بالناظور الملحق4)

-*. جمع البيانات والمعطيات الإحصائية الخاصة بكمية النفايات المنزلية من لدن الشركة المعنية بالأمر (قسم المطرح البلدي) لسنوات 2017/2018/2019

ج- تحليل المعطيات

أما فيما يخص طريقة تحليل معطيات الاستمارة، فسنعتمد على التحليل الوصفي لوصف خصائص عينة البحث والمتغيرات المستقلة ذات الصلة. ثم سنستعين بتقنيات التحليل الإحصائي التي يتيحها برنامج SPSS من أجل عرض نتائج الاستمارة داخل جداول التقاطع مع ربطها بمتغيرات ذات دلالة. وذلك، بهدف تأكيد أو نفي برير فرضيات البحث.

III - تجربة البحث الميداني

لقد كانت تجربة المقابلات مع المبحوثين والمبحوثات في سياق انجاز هذا البحث، مهمة وغنية جدا وذلك على عدة مستويات:

على المستوى المعرفي:

إن توظيف وتحليل معطيات المقابلات المنجزة أنتج لنا غزارة على المستوى المعرفي من خلال الكم الهائل من الأفكار حول الممارسات الغذائية والأطباق الغذائية اليومية والمناسباتية وطرق تحضيرها والأدوات المطبخية المستعملة في تحضيرها وتقديرها بالإضافة إلى مجموعة من الأفكار والمعتقدات والتمثلات والرموز حول الغذاء. إنها مادة معرفية مهمة مستقاة من الواقع من خلال ممارسات غذائية قديمة، وهو ما يمكن اعتباره انها عملية يندرج في جهود تجميع جزء مهم من التراث الغذائي بالريف الشرقي والذي يستحق البحث والتنقيب أكثر حتى نستبطن دلالاته ومعانيه المختلفة، مما سيسمح للأجيال القادمة الاطلاع على هذا الموروث.

على المستوى الشخصي:

انها تجربة حياة لن تنسى، انها سلطة الذاكرة الممزوجة بسحر الموروث. تجربة لم تكن لترى النور إلا من خلال رحلة سفر إلى الماضي الذي لم أعشه، لكن اكتشفته من خلال أعمال بحث الأطروحة. فعند الانتهاء من كل مقابلة، كانت تفتح شهيتنا لاجراء مقابلات أخرى، وكانت تثير فضولنا المعرفي لاكتشاف المزيد عن التقاليد الغذائية. وعند الانتهاء من إنجاز المقابلات، تكونت لدينا ثقافة غذائية تسمح لنا بإعادة قراءة المجمع المدروس: فإذا كان موليرس كشف النقاب عن الريف وفتح عيون الأطماع الاستعمارية لفرنسا من خلال كتابه "اكتشاف الريف"، فيمكن القول أن هذا البحث، من خلال تجربة الميدان أعاد اكتشاف الريف من خلال غذاءه وأطباقه وممارساته الغذائية التي تميز بها منذ عقود من الزمن. فالإضافة البارزة لهذا البحث الميداني، هو تمثله قنطرة عبور من التراث الغذائي الشفهي إلى التراث الغذائي المكتوب في صفحات البحث العلمي.

إنها ثقافة غذائية قديمة لأنها تنتمي إلى الماضي ولم يعد له أثراً إلا في حالات نادرة وفي مناسبات احتفالية، حيث التغني بالماضي بشكل نوستالجي. وهو في نفس الآن، جديد لأنه أصبحت، من خلل تجربة الميدان، أدرك وأفهم العديد من السلوكات الماضوية لمنطقة الريف التي أنتمي إليها منطقة البحث وبمعرفتي الدقيقة لمجتمع البحث اعيش معيشتهم واتكلم لغتهم إلا أنني لا أحمل نفس ذاكرتهم الجماعية. فمن خلال تجربة المقابلات صرت حاملاً لهذه الذاكرة الجماعية وأنتمي لها وهو ما جعلني أشعر أنني مختلفاً ومتميزاً عن الآخر الذي يجهل تفاصيلها.

III - 1 صعوبات البحث

يعتبر موضوع الاستهلاك الغذائي أحد المواضيع المعاصرة في البحث السوسيولوجي على المستوى الوطني. ولعل أهم الصعوبات التي اعترضتنا في بداية بناء موضوع البحث وتأطيره على المستوى النظري، هو قلة المراجع والمصادر التي تناولت موضوع التغذية في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، إن لم نقل انعدامه على مستوى البحوث الجامعية. باستثناء مراجع نادرة في الدراسات التاريخية التي اهتم فيها بعض الباحثين

بموضوع الغذاء والتغذية بشكل عرضي. لقد دفعتنا مشكلة ندرة المراجع المصدريّة إلى البحث عنها في المصادر الأجنبية خاصة الفرنسية والانجليزية. وقد تمكنا من الحصول على مراجع مهمة ساعدتنا في فهم الأسس النظرية والمؤطرة لموضوع البحث. إنها دراسات تنتمي إلى سوسيولوجيا الاستهلاك وسوسيولوجيا التغذية، أنجزت في سياقات ورهانات علمية مختلفة تتعلق بالمشكلات الظاهرة الغذائية التي طرحتها في علاقتها بالصحة العامة والبيئة سواء بأوروبا أو أمريكا.

لقد مكنتنا الامكانيات اللغوية (الإلمام باللغتين الفرنسية والإنجليزية) في قراءة وفهم الدراسات والبحوث والمقالات العلمية للعديد من السوسيولوجيين المهتمين بموضوع الاستهلاك الغذائي. وهو ما شكل زخماً نظرياً مكنا من فهم موضوع ومشكلة البحث بكل جيد واستيعاب أبعاده المختلفة. فهذه المرحلة كانت حاسمة في رسم التصور المبريقي للبحث بدء من جمع المعطيات إلى غاية إنجاز الاستمارة

صعوبات على مستوى جمع المعطيات:

أ- في سياق البحث عن إحصائيات رسمية متعلقة بالأمراض ذات صلة بالتغذية لمجتمع البحث، اتصلنا بإدارة المستشفى الإقليمي الحسني بالناظور وقدمنا طلباً في الموضوع بتاريخ 19 يناير 2021 مرفوقاً بشهادة إدارية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز لتسهيل مهمة البحث لدى مصالح الإدارات العمومية. إلا أنه مع الأسف لم يتم التجاوب بشكل جدي وإيجابي مع الطلب. وبعد انتظار أكثر من ستة أشهر، تم تقديم طلب جديد للحصول على المعلومات والمعطيات الإحصائية للسيد رئيس قطب العلاجات الطبية بالمستشفى الإقليمي الحسني بالناظور وقد تم التجاوب هذه المرة بسرعة والاتصال مع قسم التغذية لأتحصل في الأخير على لوائح مطبوعة للمرضى المستفيدين من برنامج التربية الغذائية تتضمن معلومات: السن، النوع ونوع المرض. وقد اشتغلنا على هذه المعطيات بواسطة برنامج SPSS وتم تحويلها إلى بيانات إحصائية رقمية.

ويمكن إجمالاً تلخيص الصعوبات على هذا المستوى في:

- انعدام خلية التواصل داخل الإدارات العمومية مكلفة بالتواصل مع المرتفقين خاصة الباحثين.

- البيروقراطية تقوض الحق في الحصول على المعلومة المكفول دستوريا.

- سيطرة عقلية الشك من كل ماهو علمي بحثي والتي تعبر عن ذهنية التستر على المعلومة وعدم تقاسمها مخافة شيء مجهول.

- غياب قاعدة معطيات رقمية داخل جل الإدارات العمومية

صعوبات على مستوى إجراء المقابلات

تعتبر تجربة المقابلة نصف موجهة مع المبحوثين والمبحوثات هي التجربة الاصب في سياق القيام باعمال البحث الميداني. فقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات التي أثرت في الزمن المخصص للمقابلات خاصة المقابلات مع النساء.

اولا على مستوى اللغة:

تجذر الإشارة إلى أن جميع المبحوثين والمبحوثات يتحدثون اللغة الامازيغية (الريفية). وهي الأداة التواصلية التي اعتمدتها في التواصل مع عينة البحث وانجاز جميع المقابلات، حتى أضع المبحوث(ة) في وضعية تواصلية مريحة تتيح له التحدث والتعبير بدون مركب نقص ولا عناء. إلا أنه عند تفريغ المقابلات تحتم ترجمتها من الامازيغية (اللغة الأصل) إلى اللغة العربية. وقد تطلب منا هذا الأمر مجهود فكري مضاعف أثناء إعادة كتابة تصريحات وأقوال المبحوثين والمبحوثات.

ثانيا على مستوى تحديد العينة:

لقد قاربنا موضوع البحث على المستوى البحث الميداني في الشق المتعلق بالمقابلات بكثير من الحذر المنهجي، خاصة عند تحديد المبحوثين والمبحوثات. فطبيعة موضوع البحث والهدف الإجرائي وراء المقابلة هو توصيف التراث الغذائي للريف الشرقي في أبعاده المتعددة: المحتوى الغذائي، الأدوات المطبخية القديمة، الممارسات والسلوكات الغذائية القديمة، ثم الأطباق الغذائية اليومية والمناسباتية. وبالتالي، فالمقابلة غير متاحة للجميع، بل فقط للذين يتحقق فيهم شرط الانتماء للنقطة المرجعية في المكان والزمان. أي ينتمون للريف

الشرقي ثم عاشوا فترة طويلة في الريف الشرقي ابتداء من الستينات القرن الماضي. فالجيل الحالي لا يمكنه وصف الممارسات والسلوكات الغذائية الماضية لأنه بكل بساطة لم يكن موجوداً وبالتالي فهو لا ينتمي لهذا الماضي.

وعلى مستوى آخر، فإذا كانت المقابلات مع الرجال اتسمت بالسهولة خاصة عندما تكون إمكانية الإنجاز في الفضاءات العامة متاحة، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للنساء. إن أهم صعوبة منهجية اعترضت إجراء المقابلات نصف موجهة مع عينة البحث تكمن في تحديد عينة البحث نفسها، خاصة المبحوثات من النساء. فالمقابلات كما أسلفنا الذكر ليست متاحة للجميع، بل لعينة محددة وفق شروط دقيقة، تستجيب للمعايير المحدد آنفاً (نساء ينتمين إلى مجال البحث، سنهن يفوق 60 سنة). ولأن فارق السن الكبير بيني وبين العينة المبحوثة المفترضة فلم يكن لي أي نوع من التواصل معها، لهذا فإنه لم يكن سهلاً التوصل إلى تحديد عينة البحث. مما استوجب الالتجاء إلى شبكة العلاقات الاجتماعية، والمهنية وحتى العائلية لإجراء 20 مقابلة.

ت- صعوبات على مستوى إجراء الاستمارة

تم انجاز عملية ملء الاستمارة بشكل فعلي خلال الفترة الزمنية الممتدة منذ نهاية يونيو 2020 إلى غاية نهاية أكتوبر 2020. وهي المدة الزمنية التي وافقت ظروف صحية متعلقة بوباء كورونا COVID 19.

لقد مرت عملية ملء الاستمارة في ظروف صحية واجتماعية قاسية واستثنائية، بسبب وباء كورونا وما خلفه من تداعيات على المستوى الصحي والاجتماعي. وقد كان لهذه الظرفية الصحية العصبية تأثير كبير على صيرورة إنجاز الدراسة الميدانية خاصة خلال عملية ملء الاستمارة. حيث تستدعي هذه العملية التواجد مع طرف آخر مبحوث أو مبحوثة للقيام بها على أحسن وجه. وهو ما صعب من مهمني كباحث، حيث أن استجواب أي مبحوث يعني خرق الإجراءات الاحترازية الموصى بها من طرف السلطات الصحية والسلطات العمومية والتي من أبرزها التباعد الاجتماعي. بالإضافة إلى هاجس الخوف من الإصابة بالعدوى الحاضر بقوة سواء لدى الباحث أو المبحوثين والمبحوثات. وأمام هذه الظروف الصعبة تم اللجوء في بعض الحالات، إلى استخدام وسائل أخرى كالهاتف، الاستمارة

الإلكترونية. ومع اعتماد مؤسسات الدولة ظروف التخفيف من الإجراءات الاحترازية، تمت مباشرة عملية ملء الاستمارة ومقابلة عينة البحث بشكل طبيعي لكن في احترام تام الإجراءات المعتمدة من طرف السلطات الصحية.

أخلاقيات البحث:

يقصد بأخلاقيات البحث تلك القيم والضوابط الأخلاقية التي على الباحث احترامها قبل وأثناء وبعد إجراءه لخطوات البحث الميداني. فالبحث العلمي والوصول إلى نتائج مهمة في عمل الأطروحة لا يجب أن يكون على حساب الآخرين بل بمساعدتهم المقدمة عن طواعية. ونقصد هنا الأشخاص المرتبطين بشكل مباشر أو غير مباشر بإنجاز البحث أو المؤسسات العمومية التي التجأنا إليها للحصول على معلومات ومعطيات تفيدنا في تقدم أعمال البحث. فالوسائل المتبعة والطرق التي ينهجها الباحث يجب أن تراعي نفسية وظروف المبحوثين والمبحوثات ووضعهم في إطار علاقة مبنية على الاحترام والوضوح .

إن هذا الهاجس الأخلاقي كان حاضراً أثناء إنجاز البحث الميداني. فخلال إنجاز الاستمارة والمقابلات فقد أوضحنا للمبحوثين والمبحوثات الهدف من هذه الأدوات المنهجية وسياقها العلمي وأكدنا لهم أن المعلومات المصرح بها لن تستخدم إلا في نطاق بحث الأطروحة وهذا ما تم تدوينه في مقدمة الاستمارة حتى يتمكن المبحوث من الاطلاع عليه بكل حرية وشفافية .

بخصوص الإدارات العمومية التي التجأنا إليها من أجل الحصول على معطيات رسمية: المستشفى الإقليمي الحسني بالناظور، مجموع جماعات الناظور الكبير قسم المطرح البلدي، قسم الشؤون المالية التابع لجماعة الناظور، فقد انتهجنا الخطوات التالية :

-التعريف الشخصي والكشف عن الهوية كطالب باحث

-تقديم طلب الحصول على المعطيات معزز ببطاقة الطالب وشهادة تسهيل المهمة

موقعة من -طرف عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار فاس

-شرح وتوضيح للمسؤول المعني بالأمر موضوع ومشكلة البحث.

الفصل الثاني: التراث الغذائي بمدينة الناظور وصف وتحليل

تقديم

إن الهدف الأساسي في هذا الفصل هو وصف وتجميع التراث الغذائي بمنطقة الريف الشرقي الذي طالته موجة التحولات سواء على المستوى الميكروسوسيولوجي أو الماكروسوسيولوجي. ونقصد بالتراث الغذائي كل ما يرتبط بمحددات الثقافة الغذائية: المضمون الغذائي، طرق الطبخ والتحضير، الممارسات والسلوكيات الغذائية... الشيء الذي سيسمح لنا فيما بعد، إعمال مقارنة بين الممارسات والسلوكيات الغذائية الراهنة والماضية، وذلك بعد جمع وتصنيف وتحليل وتفسير معطيات الاستمارة والنتائج المحصل عليها، حتى نتمكن لاحقاً من التمييز بين السلوكيات الغذائية التي طالتها التحولات والتي بقيت متداولة إلى غاية يومنا هذا.

وبشكلٍ أدق، نسعى في هذا الفصل إلى استنطاق الذاكرة الجماعية، ووصف التجربة الغذائية المحلية لدى مجتمع البحث بمدينة الناظور كحالة دراسية معبرة عن منطقة الريف الشرقي. وهي محاولة تهدف إلى تحليل السلوك والفعل الغذائيين في الماضي، بالإضافة إلى كشف المعنى الذي يعطيه الفاعل الاجتماعي الحامل لهذا السلوك والفعل داخل الجماعة. فالتجربة الغذائية الحالية بالريف الشرقي هي خلاصة لتراكم تجارب غذائية تتدرج في سيرورة تاريخية تستمد عمقها من تفاعل الإنسان مع المجال والتاريخ.

إننا نسعى من خلال تقنية المقابلة، سبر غور العادات الغذائية في حياة المبحوثين، بواسطة استفزاز واستنطاق ذاكرتهم للبوح بمعلومات تغوص بنا في الماضي. وذلك عن طريق طرح أسئلة تمهيدية للأسئلة الرئيسية المتعلقة بشكل مباشر بآراء ومواقف وقيم المبحوث حول الظاهرة المدروسة.

I- مكونات النظام الغذائي بالريف الشرقي: حالة مدينة الناظور

يُعرّف النظام الغذائيّ بأنّه الطعام والشراب الذي يُستهلك من قبل فرد أو جماعة ما. وقد يكون النظام الغذائيّ مكوّن من مجموعة خاصة، أو محدّدة من الطعام، والشراب، لأسباب طبيعية، دينية، ثقافية اقتصادية واجتماعية. كما أن نظام التغذية قد يتحدد كذلك بظروف أخرى كطبيعة المناخ السائد بالمنطقة ونوعية تربتها ومنتجاتها.²³⁷ فهو يستند على مجموعة من الآليات التقنية والاجتماعية المتحكمّة في مراحل تحضير الغذاء وذلك بدأ من جمع المواد الطبيعية وصولاً إلى إعداد طبق غذائي صالح للأكل.

نقصد هنا بالنظام الغذائي الريفي تلك المكونات الغذائية التي اعتاد الريفيون تناولها خلال وجباتهم اليومية، وبعبارة أدق نصبوا في هذا الفصل، إلى تحديد الأطباق الغذائية والمأكولات التراثية التي شكلت مائدة الريفيين لعقود طويلة، بداية من ستينات القرن الماضي. ومن جهة أخرى، سنحاول وصف وتحليل العادات الغذائية لمجتمع البحث في ارتباطه بالبنية الزمنية اليومية، الموسمية والسنوية؛ أي مواعيد أخذ الوجبات ومحدداتها الزمكانية وكذلك تدوير الوجبات حسب الفصول من خلال البنية الزمنية-الفلاحية.

إن العادات الغذائية هي تاريخ المجتمع بامتياز، إنها تختزل في ترتيباتها وقواعدها، وقائع الماضي، وتلاحقات الحاضر والمستقبل. فالعادات الغذائية لأي مجتمع، هي مدخل لقراءة إرثه الحضاري، ليس فقط على مستوى التراث المطبخي، وإنما أيضاً في أوضاعه الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية وكذلك الصحية. فعبر العادات الغذائية، يمارس العبور إلى كثير من الوقائع التي تعمل في النسق وتكتشف الثابت والمتغير في العلاقات والممارسات والأدوار الاجتماعية.²³⁸ وهنا يتضح أن عملية الأكل ليست مرتبطة بتناول طعام وإشباع

²³⁷ محمد استيتو: "الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17 م" مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة_ المغرب، الطبعة الأولى

2004

²³⁸ عبد الرحيم العطري، قرابة الملح، مرجع سابق، ص: 223

البطن فحسب، بل تصاحبه مجموعة من السلوكيات الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى آخر. فلكل مجتمع عاداته في طريقة تناول الطعام، فمنها ما يتعلق بكيفية الجلوس ومنها ما يتعلق بالفئات العمرية والجنسية التي تتناول مع بعضها، ومنها أيضا ما يتعلق بالكلام أثناء تناول الوجبة الغذائية. ومما لا شك فيه، أن هذه العادات لها اعتبارات مختلفة، تتحكم فيها مجموعة من العوامل كالبيئة، المناخ، التاريخ الاجتماعي للمجتمع.

ترى مما كان يتشكل المضمون الغذائي للريفيين، في الأيام العادية، وفي المناسبات الاحتفالية؟ وماهي أدوات وطرق تحضير طعامهم؟ وكيف كانوا يتدبرون أمورهم في أوقات الشدة والأزمات؟

1- الأغذية من أصل نباتي:

إن قائمة مكونات النظام الغذائي الريفي جد محدودة. ويمكن القول إن الإنسان الريفي كان يقتات مما تنبته الأرض. وذلك من خلال عمليات الزراعة، الحرث والحصاد وما تتيحه الأرض من إمكانيات زراعية وكذلك في حدود ما يسمح به الطقس. وإجمالا يمكن حصر لائحة تلك المنتجات الغذائية فيما يلي:

أ- الشعير والقمح ومواد أخرى لصناعة الخبز ومشتقاته:

يتخذ الخبز مكانة مميزة عند مجتمع البحث، حيث يحضر بقوة في كل الأطباق الغذائية. وتعتبر مادة الخبز أهم المكونات الغذائية في النظام الغذائي الريفي، حيث لازم الريفيين في بيوتهم وخارجها لعقود طويلة. لقد دأب الريفيون على صناعة الخبز من الشعير أو القمح حيث يطهى في فرن من الحجارة ومن الطين يسمى محليا "ثافقونت" أو في فرن أكبر يسمى "ثغاغات". وهنا تجدر الإشارة إلى أن الخبز يُعرف محلياً تحت مسميات مختلفة: أغروم، ناشيفت، أنكور...

تاريخياً، يعتبر القمح المادة الأولية الأساسية لصناعة الخبز بالمغرب، إلا أن ندرته في منطقة الريف بسبب شح الأمطار وقلة الأراضي المنبسطة الصالحة للزراعة، أرغم سكان الريف الشرقي إلى استهلاك الشعير. بحيث "لا يقتصر استهلاك خبز الشعير على العامة من

الناس، بل يشمل أحيانا حتى بعض الأعيان كما هو الحال لدى بعضهم في قبيلة تغسة بالريف ويقوم محليون في نفس المنطقة بخلط الدخن مع بذور العنب لاستخراج دقيق يصنع منه خبزا"²³⁹ كما أن للخبز دلالة اجتماعية باعتبار أن الخبز الأبيض المُحضر بواسطة الدقيق الأبيض الخالص الذي يسميه بعض المؤرخين بخبز الدرمل يرتبط بالطبقة المُترفة إلى جانب الخبز الذي يخص عامة الشعب وهو الخبز الأسود المُحضر بواسطة الشعير.

ويعتبر الشعير أهم المواد الغذائية في المنزل الريفي حيث لا يكاد منزل ريفي يخلو منه. وهو مادة غذائية مهمة بل مصدر أساسي للعيش. حيث تقوم الأسر تحضير العديد من الوجبات والمأكولات اعتماداً على الشعير أو القمح. وعلى سبيل المثال صناعة الخبز والذي يُعد مادة أساسية وحاضرة في جميع الوجبات الغذائية، علماً بأن العديد من الوجبات أساسها الشعير مثل: الحساء بالشعير، الكسكس، "المحمصة" (أحرييض بالأمازيغية)، "مكيبيعة" و"سيكوك" بالإضافة إلى بعض الفطائر التي كانت تقدم في بعض المناسبات الاحتفالية. ولأهمية هذه المادة الغذائية دأب الفلاحون في الريف على تخصيص مساحات شاسعة لزراعة القمح والشعير لتوفير هذه المادة بكميات وافرة لسد حاجيتهم الغذائية المتنوعة على طول السنة للإنسان والحيوان. وعند موسم الحصاد، خاصة في المواسم الفلاحية، التي تكون فيها المحاصيل وفيرة، يتم تخزين محصول الشعير والقمح في مطمورات تحت الأرض. فالمطمورة الممتلئة بالشعير كانت ركناً أساسياً في المنزل الريفي القديم. وهي عملية يتم من خلالها تدبير استهلاك المحصول الزراعي على طول السنة. كما تعتبر القطاني والبقوليات، من المواد التي لاغنى عنها في المنزل الريفي القديم. حيث يتم زرع معظمها كالحمص والعدس والفول والجلبان لإعداد "البيصارة" ("ثمراقث" بالأمازيغية). أما الفواكه، فبعضها لم تكن متوفرة بل نادرة جداً بالريف ولا يتم استهلاكها إلا موسمياً أو خلال الأفراح والمسرات، أو حين عودة الأب أو الجد من السوق كالموز والتفاح وبعض الفواكه الاستوائية المستقدمة من مليلية المحتلة والتي كانت تباع في بعض الأسواق.

ب- خضر وفواكه وثمار

²³⁹ مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ذ. الحسين الفقادي، مجلة أمل، العدد 16، ص 36

تُعتبر الزراعة والفلاحة أهم أنشطة الأسر الريفية، رغم الظروف الطبيعية المتعلقة بالمناخ والتربة والتي لا تسعف في توفير محاصيل زراعية وفيرة. كما عرفت الفلاحة بالريف زراعة بعض الخضر لسد حاجياتهم الغذائية. وقد كانت موجهة بشكل أساسي للاستهلاك اليومي: كالطماطم والبصل وخاصة البطاطس التي تحضى باهتمام بالغ من لدن الريفيين من خلال استهلاكها بشكل يومي وبكمية كبيرة. وقد اشتهر المنزل الريفي في السافلة ما يسمى ب: "أحويش" أو "رعاصث" وهو عبارة عن مساحة مزروعة أو بستان تزرع فيه مختلف الأشجار المثمرة، وكانت هذه الأنشطة موجهة أساساً إلى الاستهلاك المعيشي. كما أن مجموعة من الأعمال الفلاحية والزراعية في معظم الأحيان توفر حاجيات الأسر الريفية من مواد غذائية أساسية: من خضر وفواكه ولحوم وألبان... فالريفي كان يزرع ويحصد من أجل أن يأكل ويُشبع حاجياته البيولوجية وعندما تتحقق الوفرة والكثرة والفائض في المحاصيل الزراعية، تتم عملية المقايضة بين السلع في السوق الأسبوعي من خلال تبادل المزروعات المتوفرة بمواد أخرى نادرة وقادمة من مناطق أخرى. فالأرض والعمل اليدوي كانا يوفران تقريباً كل الحاجيات ونادراً ما يتم اللجوء إلى السوق لاقتناء بعض المنتجات.

لقد ساهمت المعطيات الطبيعية والبيئية والجغرافية لمنطقة الريف، في تميز نظامه الغذائي. كان الريفيون يجدون في الأشجار والبساتين المجاورة لقراهم تغذية متنوعة كالكروم، الجوز والبلوط المستنبتة بشكل طبيعي في السهول والوديان، خصوصاً مادتي البلوط الحلو والأرغال اللذين كانا يستعملان في تحضير الخبز. وتعتبر البقول والخضروات من الأطعمة المفضلة في منطقة الريف، بحيث يقبل عليها سكان المنطقة خصوصاً سكان الجبال لمواجهة قساوة البرد. فالناس مثلاً في بعض جبال الريف يتناولون حساء الفول ويعتبرونه أحسن قوت²⁴⁰

2- بنية ومضمون النظام الغذائي بالريف:

إن النظام الغذائي داخل الأسرة الريفية في الماضي، فهو أساس البنية الغذائية اليومية كما ونوعية. حيث تتميز كل وجبة بتوقيتها ومكانها ومكوناتها أيضاً حسب السياق الثقافي

²⁴⁰الحسن محمد الوزان، وصف إفريقيا، مرجع سابق، ص 260.

والاجتماعي الذي تتم فيه. فإذا كان في الريف يتناولون خمس وجبات يومية في الماضي، فهذا الاختيار الغذائي أملت ظروف المعيشة التي كانت تعيشها الأسر الريفية في الماضي، حيث تبدأ الدورة الزمنية اليومية ابتداء من صلاة الفجر، إلى غاية صلاة العشاء فقد كانت تتوطن الوجبات داخل هذه البنية الزمنية على الشكل التالي:

- وجبة الفطور بعد صلاة الفجر

- النشاط الصباحي الأول (رعي، زراعة، حصاد، سقي...)

- وجبة الفطور الثانية

- تتمة النشاط الصباحي

- صلاة الظهر

- وجبة الغذاء

- القيلولة وبعدها النشاط المسائي

- صلاة العصر

- وجبة خفيفة قهوة او شاي او فاكهة موسمية

- تتمة النشاط المسائي

- الرجوع إلى المنزل بعد الغروب

- صلاة المغرب

- تعيلف البهائم

- وجبة العشاء

- صلاة العشاء

- النوم

أ - وجبة الفطور: وجبة مكررة

تشكل وجبة فطور الصباح أهم الوجبات التي اعتادت تناولها أغلب المجتمعات الإنسانية، لكن هذه الوجبة تختلف من مجتمع لآخر، سواء من حيث المواد، المكونات أو الكمية.

وفي مجتمع البحث، يتم تناول هذه الوجبة في الصباح الباكر بعد شروق الشمس مباشرة، حسب ما أخبرنا به أحد المبحوثين (عبد السلام، 72 سنة) " كنا نستيقظ باكراً عند الفجر، نحلب البقر ونحضر القهوة، وفطيرة مصنوعة من القمح ونضع عليها زبدة طرية. في أحيان أخرى نحضر شاي في براد كبير ونأكل الفطيرة باليد بعد أن نسكب عليها شيئاً من زيت الزيتون، كنا أقوىاء ليس مثلكم." فبعد صلاة الفجر لا يصح لأحد أن يبقى نائماً رجالاً ونساء. فكل يوم جديد هو استقبال يوم عمل جديد: فالرجال يذهبون إلى الحقول والبساتين للقيام بأعمال الفلاحة وعلف البهائم، بينما النساء يذهبن لإحضار الماء ويتكفن بباقي الشؤون المنزلية والمطبخية الأخرى. وبما أن يوم عمل هو يوم طويل و شاق خاصة عندما يتم خارج المنزل فقد اعتادت الأسر الريفية على اصطحاب معها شيء من الطعام إلى الحقول البعيدة خاصة أثناء موسم الجني أو الحصاد لسد رمق الجوع. من قبيل الخبز، ماء، طماطم وبصل. وكان الاعتقاد السائد هو أن البصل قادر على مقاومة الجوع لأطول مدة.

لقد كانت معظم الأسر الريفية تتوفر على أبقار وأغنام. وهذا ما كان يعني توفر مواد غذائية أساسية كالحليب، بالإضافة إلى مشتقاته كالزبدة واللبن بكميات وافرة. " في الصباح كنا نشرب الحليب أو شايّاً ساخناً ونأكل عادة زبدة طرية مع وخبز وزيت وزيتون." يقول أحمد، 68 سنة. وكانت مادة الحليب (بالأمازيغية أغّي أشفاي) مكوناً من المكونات الأساسية في المطبخ الريفي بشكل وفير، حيث اعتادت النساء على تحويله إلى مأكولات أخرى كاللبن (بالأمازيغية أغّي أسّام) و "أشير" أو ما يصطلح عليه بالعامية " الرايب " أو تستعمل في صناعة أطباق غذائية: مكبيبة، سكوك بالإضافة إلى "إيوزان"

إلى جانب المواد الحليبية، شكلت مادتا الزيت والزيتون مكونين رئيسيين في مائدة الإفطار الريفية خصوصاً وأن الريفيين كانوا من الفلاحين الذين يفضلون غرس أشجار الزيتون سواء بجوار المنازل أو بالبساتين، القريبة وهو ما كان يوفر مادتي الزيت والزيتون على طول السنة حسب المردودية الفلاحية. حيث يتم تخزين الزيتون بعد تمليحه في أكياس كبيرة، بينما كان يخزن الزيت في أواني فخارية مخصصة لذلك. وقد كانت الأسر تحصل على زيت الزيتون باستعمال الرحى الحجرية وهي تقنية تقليدية تعود لعقود من الزمن. إنها ممارسة غذائية تتجاوز عملية استخراج الزيت إلى طقس يحمل في طياته عناصر من المعتقد والثقافة المحلية.

إن استهلاك مادتي الزيت والزيتون بشكل يومي بالريف، يجد تبريره عند الريفيين كونه يصح بهما البدن ويتقوى. ويُعزز هذا الطرح كون الزيت والزيتون لهما قدسية دينية. فيبرر حسن 69 سنة، استهلاكه لهاتين المادتين بقوله "زيت الزيتون من الضروريات، فهي مذكورة في القرآن".

كما أن الفلاحين والمزارعين الريفيين كانوا يفضلون تربية الدواجن بشتى أنواعها خاصة الدجاج والأرانب والديك الرومي مما كان يوفر البيض طول الوقت. هذا الأخير كان يستهلك في الصباح خلال وجبة الفطور بمسلوق أو مقلي. بالإضافة إلى أشكال من الفطائر المصنوعة من القمح الطري أو الشعير وهنا يمكن ذكر الفطيرة (بالأمازيغية تفضاث) التي كانت تؤكل صباحاً أو عصراً ويوضع فوقها العسل أو الزبدة الطرية.

ب- وجبة الغداء

يتم أخذ هذه الوجبة عادة عند الزوال بعد أداء صلاة الظهر وكانت تتميز هذه الوجبة عند مجتمع البحث بالبساطة وعدم التنوع في الأطباق. بل كان الغداء يقدم في صحن واحد مصنوع من الطين يسمى بالريفية "تازوطة". ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين، اكتشفنا مجموعة من الأطباق الغذائية التي تحضر لهذه الوجبة. إنها وجبة أقل أهمية من الوجبات الأخرى في النظام الغذائي الريفي القديم. حيث حتمت خصوصية المجال القروي والفلاحي أن يتواجد كل أفراد الأسرة د بالحقول من أجل القيام بالأنشطة الفلاحية

بشكل جماعي. باستثناء الأم أو الجدة الموكول لهما تحضير الطعام وتقديمه للبقية عند الرجوع إلى المنزل.

-الكسكس

تاريخياً، يعتبر الكسكس أحد أهم الأطباق الغذائية التي اشتهر بها المغاربة منذ زمن بعيد. فهو غذاء منتشر بكل مناطق البلاد ولا يقتصر على منطقة معينة، بل هو غذاء يعرف عند سكان شمال إفريقيا كالجزار وتونس. وقد أشار المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان André julien إلى أن المزارعين البربر في الشمال الإفريقي "كانوا يأكلون الكسكس منذ العصر القديم".

يرجع ظهور الكسكس حسب النصوص المكتوبة إلى القرن الثالث عشر المريني، إذ أن أول كتاب للطبخ أشار إلى الكسكس هو فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيني، ومنذ ذلك الحين لم يكف الكسكس عن إثارة اهتمام عشاق الطبخ، واكتساح الأذواق، وإغراء الثقافات الأخرى والسفر في الزمن والمكان.²⁴¹ وبالنسبة لطريقة تحضيره، فلا تختلف كثيراً على الوصف الذي قدمه ابن رزين التجيني حيث يقول " يؤخذ سميد فيوضع في معجنة ويرش بماء قد حل فيه قليل من الملح، ويحرك بأطراف الأصابع حتى يلتئم بعضهم ببعض ثم يحك بين الكفين برفق حتى يصير مثل رؤوس النمل".²⁴²

ويعتبر الكسكس الطبق الغذائي الأكثر شعبية بالمغرب بشكل عام وذلك لكثرة استهلاكه حيث كان يقدم في وجبة الغداء والعشاء على حد سواء. وقد دأب سكان الريف المغربي على تناول الكسكس بشكل اعتيادي (لطريقة تحضيره). وعلاقة بمجتمع البحث، يعتبر الكسكس من بين الوجبات التي دأب على تحضيرها، بل يعتبر من الوجبات المفضلة لديهم خاصة يوم الجمعة وبعض المناسبات الدينية والاحتفالية. فوجبة الكسكس إذ تُشكل جزء من ثقافة المجتمع إن لم نقل بأنه أصبح من هويته. وقد عرفت منطقة البحث والريف عامة بتحضير كسكس الشعير، والذي يسمى "أحرحور". وهي وجبة موسمية تقدم مع مرق اللحم

²⁴¹ محمد حبيدة، المغرب النباتي، مرجع سابق، ص 66

²⁴² ابن رزين التجيني، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تقديم وتحقيق محمد ابن شقرون، (صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين)، الرباط، 1981، ص 48

أوالدجاج. كان يحضر باليد من طرف النساء ويضاف له الحمص والفول الطري. وقد اعتادت الأسر الريفية على تحضير وجبة كسكس "أحرهور" في العديد من المناسبات الطقوسية خاصة "أناير" أي رأس السنة الأمازيغية وكذلك عروس المطر "تاسريت ن أونزار".

أَغْنَا / تَاسْرِيثْ أُنُونْزَارْ (عروس المطر)

كانت قبائل الريف قديما وبالأمس القريب تقيم تقليد أَغْنَا (تاسريث أُنُونْزَارْ) وهو من الطقوس الضاربة في القدم في الريف وفي شمال افريقيا ككل، حيث انها شعيرة يراد بها التقرب إلى الله من أجل أن يغيثهم بالمطر.

عندما يشح المطر ويغلب طابع القحط والجفاف المهدد للزرع والماشية بالقبيلة، تقوم نسوة دواوير أو قبائل الريف بكساء أَغْنَا وهي لوحة خشبية تستعمل لوضع وإخراج الخبز من بيت النار في الفرن التقليدي (تَفْقُونْت = تَنُونْزَارْ) بلباس نسائية على شكل عزافة وتسمى تاسريث أُنُونْزَارْ، يقوم الأطفال بحملها وتظهر على شكل عروس وتلتف حولها النساء وينتظمن في شكل موكب ويقومون بالطواف بها في دروب الدواوير مرددين اهازيج وأشعار من قبيل:

أَرَبِّي أَتْرُوا أَسْ وَمَاْ أُنُونْزَارْ

إْمَنْدِي قَيُوزْ عْ إِرَاخْ أَدُودَّارْ

أَرَبِّي سَارَوَاتْ مَلِيخْ

أَغْنَا إِسْمَلِيلِيخْ

أَغْنَا أَنْ رَلَّا تِيْمُوشْ

أَنْزَارْ أَذْثْ ثِرُوشْ

وغيرها....

وبمجرد مرور الموكب بجانب أي منزل من منازل الدوار يتم رشهم بالماء تيمنا بمياه الأمطار قبل ان يمدوهم بالعطايا و الهدايا و هي عبارة عن طحين ، سكر ، زيت ...كما ان موكب "ثاسريث" يقوم بالطواف حول الاضرحة الموجودة و المعروفة بالدوار أو القبيلة و ذلك تيمنا ببركتها ، و عند الانتهاء من الجولان و الطواف بعروس المطر يجتمع الكل بأحد مساجد الدوار و حيث تقوم النسوة بإعداد طبق "أَحْرُحُورْ" و هو عبارة عن كسكس يتم إعداده بطحين الشعير و لحم الدجاج حيث يأكل من الطبق غالبية ساكنة الدوار و في المساء يقومون بمعاودة ترديد أشعار طلب المطر و الطواف حول المسجد ثم ينصرف الكل في جو من البهجة و الطمأنينية مترقبين أن يلبي الله دعاءهم و يسقيهم بأمطار الخير.

أ- القطاني

تعتبر القطاني مواد غذائية مهمة في المائدة الريفية. وهي مواد كانت تحضر بها وجبات غذائية متنوعة خاصة في فصل الشتاء. وهي في الأصل مواد غذائية كانت تستهلكها الأسر الريفية على مدار السنة، حيث يتم تخزينها في أكياس مما كان يشكل قوتاً وزاداً غذائياً للأسر في أوقات الحاجة والضيق خصوصاً في فصل الشتاء، حيث تتقطع المسالك الطرقية المؤدية الى السوق الأسبوعي. وهذا ما أكدته السيدة مغنية 80 سنة، عندما قالت " في وجبة الغداء كنا نعتمد بالأساس على الحبوب والقطاني كالفول، العدس، الحمص وخبز مطهي في الفرن التقليدي المسمى (ثافقونت)".

وفي هذا الصدد، عرفت منطقة الريف الشرقي باستهلاك أكلة "البيصارة" وهي شراب يحضر بالفول أو الجلبان الجاف أو بهما معاً، وكانت تطهى في قدح كبير مصنوع من الطين يسمى باللغة الأمازيغية " أقديح". حيث يتم وضع الفول أو الجلبان في هذا الإناء بالإضافة إلى الماء ويتم طهيه على نار هادئة مع تحريك الكل بملعقة خشبية كبيرة الحجم تسمى "أغنجا". وتؤكل "البيصارة" ساخنة بعد أن يُضاف إليها شيء من زيت الزيتون والفلفل الحار. وفي نفس الإطار، يحكي لنا محمد 75 سنة، منتشياً بلحظات الماضي الجميل متحدّثاً عن عادات الأكل خلال وجبة الغداء " كنا نطهي أكلة (ألحول) على نار من الخشب في إناء كبير من الفخار يسمى بالأمازيغية (ربامث) ونظيف لها بعض الخضر خاصة البطاطس. وكان الطهي يتم في الفرن تقليدي (بالأمازيغية ثافقونت) وعندما تكون جاهزة

نضع الكل في إناء من الفخار (بالأمازيغية ثازودا) ونأكله مع الخبز والبصل النيء. أما في فصل الشتاء كنا نأكل عادة البيصارة (ثماراقت) مع الخبز لقد كانت أيام جميلة حقاً".

وإذا كان حضور الخضر والقطاني بشكل مُلفت في المائدة الريفية، فحضور اللحم كان قليلاً بل مناسباتياً. وقد ارتبط أكل اللحم لدى الأسرة الريفية بيوم انعقاد السوق الأسبوعي. حيث يقوم رب البيت بشراء اللحم من السوق ومن جهة أخرى، ارتبط أكله عند الأسرة الريفية بالمناسبات الاحتفالية حيث يتم ذبح شاة أو بعض رؤوس من الغنم أو ثور حسب امكانيات الأسرة وقيمة المناسبة موضوع الاحتفال.

-الطاجين

يعتبر الطاجين إحدى الأدوات المطبخية الأكثر استعمالاً في المطبخ الريفي، وهو وعاء مقعر مصنوع من الطين، له غطاء يتم استعماله لطهي بعض الأكلات. إلا أن اسم "الطاجين" يحيل في نفس الآن على وجبة غذائية. ومن بين مكونات الطاجين نجد اللحم والخضر خاصة البطاطس التي تحظى بمكانة خاصة عند الريفيين. حيث تحضى بتشريف اجتماعي وإجماع مجتمعي على أنها (أم الخضر) ولعل التعبير الريفي المستعمل في وصف البطاطس " يماس ن احنجان " الذي يعني بالحرف (أم الأبناء) إلا دليلاً واضحاً على قيمة البطاطس وهي مادة غذائية تستهلك على طول السنة. حيث اعتاد الريفيون على أكل الطاجين المُحضر بالبطاطس مع البصل النيء و/أو الفلفل الحار.

تعودت أغلب المجتمعات البشرية على أنظمة غذائية مُعينة، ففي مجتمع البحث كما سبق وأن ذكرنا بأنهم تعودوا على تناول ثلاث وجبات أساسية دائمة، لكن نجد بين هذه الوجبات وجبة ثانوية بعد صلاة العصر. حيث كانت بعض الأسر الريفية خصوصاً الميسورة منها تأكل وجبات خفيفة تسمى "رقهوة أو عشي" وهي إما على شكل لبن بارد أو فاكهة مع الخبز كالصبار أو التين أو على شكل "زميطة" مع شاي.

ت - وجبة العشاء: أساس اليوم الغذائي

تُشكل وجبة العشاء آخر الوجبات اليومية عند مجتمع البحث، حيث تعتبر في المجتمع الريفي وجبة أساسية لا غنى عنها. وتحفظ بخصوصياتها ومميزاتها التي تميزها عن باقي الوجبات، سواء من حيث طريقة التحضير أو من حيث المكونات وفي بعض الأحيان يتم

استهلاك ما تبقى من الغداء أو إعداد وجبات خفيفة حسب الفصول. وإذا كان الكسكس مادة أساسية في الغداء فإنه يحتفظ بهذه القيمة في العشاء لكن بطريقة تحضير مختلفة حيث يتم استهلاك الكسكس المصنوع من الشعير بعد إضافة الحليب الساخن أو اللبن البارد حسب الفصول ودرجة الحرارة أو من خلال تناول ما يسمى "بركوكش" بالعامية، "أحريض" بالريفية وهو نوع آخر من الكسكس ذات الحب الغليظ. والتي يتم إعدادها من طرف النساء بالأيادي وتُقدم في قصعة مصنوعة من الفخار يسمى "امسخر" أو (أخديم). أما في فصل الصيف فيتم استهلاك أكلة باردة تسمى بالأمازيغية (مكيبة)، وهي حساء شعير أو دشيشة (ايوزان) يضاف لها لبن بارد. أما في فصل الشتاء، فقد كانت الأسر تشرب حساء ساخناً أو ما يسمى محلياً (تحات ن يوزان). بينما في فصل الربيع فوجبة "ثريبا" هي الأكثر استهلاكاً وهي أكلة مصنوعة بالفول الطازج

ث - جرد أهم الأطباق التراثية بالريف الشرقي:

بعد التعرف على بعض مكونات وبنية النظام الغذائي بالريف الشرقي، نتوقف الآن عند أهم الأطباق التي كانت تزين موائد الأسر الريفية، وقد كان بعضها عنواناً للاحتفالات، والبعض الآخر تعبيراً عن الغني والرفاهية، وبعضها الآخر مستعملاً لسد حاجات الجسم الضرورية من خلال طرق وأساليب لتنويع أطباقه، باستعماله نفس المادة الغذائية المتاحة. وفيما يلي جرد لبعض هذه الأطباق، وبيان كيفية إعدادها، وكذا المناسبات التي كانت تقدم فيها: ومنها أطباق تعتمد على الحبوب (القمح والشعير) ومن أهمها ما يأتي:

-أغروم:

هو الخبز المخمر المصنوع من دقيق القمح أو الشعير، تضاف إليه الخميرة "ثامتونت" والملح، ويعجن جيداً ويترك ليختمر ثم يقسم إلى كويرات تبسط قليلاً باليد، ويترك ليختمر للمرة الثانية ثم يطهى، وله تسميات متعددة تبعاً لطريقة طهوه: "أغروم"، هو الخبز المطهو على الأعواد الخشبية في ماعون طيني يسمى بالريفية "إمسخر"، أما "أغروم ن تفقونت" فهو الخبر الذي يتم طهوه في الفرن التقليدي وهو من الأطباق اليومية بالمنطقة.

تتنوع الأغذية اليومية بالريف الشرقي حسب المستوى الاجتماعي للأسرة، ويظل الخبز " أغروم" الطعام الحاضر والأساسي دائما في المائدة ويتنوع هو الآخر حسب طريقة إعداده وطهيته، ومن أصنافه:

-**ثاشنيقت:** وهي الأكثر استعمالا في الثقافة الغذائية بالريف الشرقي، وتصنع من دقيق الشعير غالبا عبر خلطه بالماء والملح في ثبقات وإضافة "انتون"، ثم يترك العجين للتخمير بعد تسويته بشكل دائري (تسمى ثيشنفين) على "ثقاراست"، ويحمل في ثذاراحت أو "رمذاح" إلى "ثاققونت" أو يطهى على "إمسخا".

-**أنكور:** يختلف عن ثاشنيقت في كونه طويل ومستطيل الشكل.

-**أغروم واحموم:** يُصنع بشعير قديم يكون مُخزناً في المطمورة لحولين أو أكثر.

- **ثخبازت:** يتميز بصغر حجم هذا الصنف من الخبز، وشكله الدائري

- **المكيبية:**

وهي دشيثة " ايمامز" يصب عليها ماء ساخن وتترك مدة زمنية إلى أن تصبح رطبة،

ثم يصب عليها لبن وتقدم باردة للاستهلاك في أيام الصيف الحارة

- **ألبول:**

وهو كسكس أو دشيثة الشعير، يتم الحصول عليه من طريق جرش حبوب الشعير

لتصبح متوسطة أو كبيرة نسبيا حسب الرغبة.

- **زمبو :**

وهي أكلة تصنع خلال أيام الصيف الحارة (الصمائم)، وأساسها حبوب الشعير

المطبوخة مع القطاني، كالقول والعدس والحمص، تطبخ وتوضع معها توابل، ولحم أو قديد،

وأعشاب منسمة مثل: الريحان "فليو" أو الزعتر"، وتقدم في قصعة كبيرة. ومن المعتقدات

الشعبية التي كانت ترافق تناول هذا الطبق، عدم أخذ قيلولة بعد تناوله، حتى لا يقضوا عامهم

في خمول وكسل أما طريقة تحضير القمح المذكور، فهي كالتالي: يتم وضع حبوب القمح في

ماء ليلة كاملة إلى أن تصبح منتفخة ورطبة، ثم توضع في كسكاس لتتضج على البخار، ثم

تذري في طبق أو نحوه للتخلص من قشرتها وبعد ذلك تدق في مهراس وبذلك تصبح جاهزة

للاستعمال.

- إشاشمن:

أكلة تراثية ريفية تهيأ بالقمح الطازج الأخضر. بعد أن يحصد القمح، يتم تعريضه فوق النار لحرق شعيرات السنابل الخضراء وهذه العملية تسمى (أزراف). وبعدها تحك بعد ان تنزع قشورها ومخلفاتها بطهي الحب في الماء المغلي، ويضاف إليها الحليب. وكانت تؤكل بواسطة غرس الأصابع بالعسل وتلتصق حبات القمح المعروف (إزرفان استامنت)؛ وحكت لنا إحدى المبحوثات السيدة مليكة 71 سنة، الحكاية المعروفة في الأوساط الريفية حول طريقة تناول أكلة "زمبو"، وتقول الحكاية: " أن غريباً لا يعرف كيفية أكل هذا الطبق فحار من أين سيبدأ، هل بالعسل أم بالقمح المعروف (إزرفان) وبعد هنيهة لاحت له فكرة؛ إذ قام الغريب باستدعاء طفل من أهل المنزل ودعاه للأكل، فبدأ الطفل بغرس أصابعه في العسل وغرسها بطابق القمح المطهي وقام بلعقها؛ فتعرف الضيف على كيفية أكل الطبق وأمر الصبي بالانصراف".

كما تعتبر بعض الأطعمة الأخرى إلى جانب الخبز شبه دائمة الحضور ومنها:

العسل؛ الزبدة (ادهن نتروسي)؛ الحليب (أغي أشفاي)؛ اللبن (أغي اسمام)؛ السفنج (خاصة خلال وجبة الفطور)؛ زيت الزيتون؛ الزيتون؛ السمك (خاصة السردين)؛ التين؛ البيض.

أما خلال فترات الجفاف والجوع. فقد كانت الأسر الريفية تحضر أكلات لسد جوعها وهي أكلات غير مكلفة، حيث يتم إعادة تركيبها مما تبقى من مواد غذائية، ونذكر

- بارغدوج: خبز جاف مع الزيت أو الشحم والماء، يتم تقطيعه إلى قطع صغيرة. وكان يتناوله الفقراء خلال فترات السغب.

- ماقحزينة: أصل الكلمة هي "المرق الحزين"، وتتكون الوجبة من الماء والزيت والتوابل إضافة إلى الشحم والبيض إن توفرا.

ج- الأشربة:

عرفت المناطق الريفية قائمة محدودة جداً من المشروبات حيث لم تتعدى أربعة أصناف: الماء، الحليب ثم الشاي والقهوة. وذلك راجع للعديد من العوامل التاريخية والثقافية والاقتصادية، تتلخص جميعها في خصائص الحياة القروية التي طبعت المجتمع الريفي وبُعدها عن كل أشكال التطور والتحضر لعقود من الزمن. وإذا كان توفير الماء والحليب راجع للمصادر الذاتية التي كانت تتوفر عليها الأسرة الريفية من آبار وعيون ومواشي، فإن ظهور الشاي والقهوة على المائدة الريفية ارتبط بشكل أساسي بدخول المستعمر إلى أرض الريف. حيث تعتبران من المشروبات التي أدخلها الريفيون في عاداتهم الغذائية بعد هذا التاريخ. (انظر الفصل الثاني، المبحث الرابع، القرن 19 وبدايات التحول الغذائي بالمغرب، ص: 79)

مياه العيون والآبار:

لقد شكل الماء مادة حيوية في جميع مناحي الحياة اليومية في المجتمع الريفي، سواء للإنسان أو الدواب. وفي غياب شبكات الماء الصالح للشرب، دأبت الأسرة الريفية على تخزين الماء نظراً لبعده المسافة التي تفصل المنزل بالعيون والآبار لجلب الماء الصالح للشرب. وكانت تخزنه في إناء كبير من الفخار يسمى "أقبوش". كما عمدت الأسر الريفية إلى بناء صهاريج بالإسمنت المسلح تحت الأرض لجمع وتخزين مياه الأمطار، قصد استعمالها خلال فترات الندرة تسمى محلياً "اجوب". كما التجأت الأسر الريفية كذلك إلى بناء سدود تلية صغيرة قرب المنازل قصد استغلالها في سقي البهائم والأشجار.

الحليب واللبن

شكلت تربية المواشي أهم الأنشطة الفلاحية التي ميزت الحياة الاجتماعية بالريف منذ عقود من الزمن. حيث مارست جل الأسر الريفية إن لم نقل كلها تربية الماشية، بغض النظر

عن موقعها في السلم الاجتماعي. وتميزت هذه الأنشطة بضعف المردود وقلة الإنتاج، على الرغم من ارتفاع عدد المواشي بسبب توجيهها للاستهلاك اليومي أو لسد حاجة من الحاجات الضرورية بعد عمليات التبادل (المقايضة أو البيع والشراء في السوق الأسبوعي)

فالحليب كان متوفراً بشكل يومي للأسرة التي كانت مهتمة بتربية الأبقار والماعز والأغنام وحتى الأسر المعوزة كانت تأخذ نصيبها من الحليب في إطار التضامن والتكافل الذي كان يحكم القبيلة. وقد شكل الحليب مادة أساسية لتحضير أشربة وأطعمة أخرى حسب فصول السنة: الحليب الطري لتحضير القهوة، اللبن (أغي أسمام)، الرايب (أشير)...

ح- اللحم والحضور الاحتفالي:

ان استهلاك اللحم لم يكن سوى بشكل مناسباتي. أو بشكل أدق، ارتبط حضور اللحم في المنظومة الغذائية الريفية بالوجبات الاحتفالية، أو لممارسة طقوس عقائدية. وهذا ما ذكره موليراس من قبل عندما وصف طقوس ذبح الأضاحي خلال مناسبات احتفالية في قبيلة بني سدرات "حيث يقوم أتباع الولي محمد دجيون حفلة إحسانية كل خميس قرب ضريحه. حيث يحج العديد من الزائرين حاملين معهم أضحياتهم وتكون هذه الأخيرة مناسبة لاستهلاك فطيع للكسكس واللحم والحلويات". وفي هذا الصدد يمكن القول، بالرغم من كون حضور اللحم بشكل رمزي وبعد احتفالي فإن استهلاكه كان بشكل مفرط. ولعل ما ذكره موليراس بخصوص قبلية بني سدرات ينطبق كذلك على قبيلة متيوة حيث وصف موليراس كيف كانت تحضر وليمة حفل الزفاف قائلاً: "يقوم العريس بذبح مابين بقرتين إلى ثلاث بقرات وإثر ذلك تطبخ جبال من الكسكس وتملاً جرات عن آخرها بالحليب وتهبئ أخوات وخالات وأم العريس أكواماً من" المسمن "من الفطائر الغارقة في بحر من العسل "

أما السمك فهو يحتل مكانة مهمة في النظام الغذائي الريفي وذلك راجع بالأساس للموقع الجغرافي للمنطقة المطلة على البحر الأبيض المتوسط. حيث أقبل الريفيون على استهلاك الأسماك كغذاء منذ زمن بعيد، كما تدل على ذلك إفادات الحسن الوزان صاحب "وصف إفريقيا" عندما أكد أن "نشاط بعض سكان الريف على الساحل المتوسطي قائم على صيد الأسماك وتمليحها ثم حملها مسافة تناهز 120 ميلاً بعيداً على البحر من أجل بيعها لسكان

الجبـال . وقد عُرفت جبال الريف بأسواق يباع بها السمك المملح. وهذا ما أكده محمد الناصري بقوله إن الريف انفراد دون غيره من مناطق المغرب بعادة استهلاك السمك في البوادي بـجبالها وبسائطها وببيعه في أسواقه". وإذا كانت طريقة طهي السمك تتم من خلال تمليحه على الأقل الى غاية نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين فان ظهور مادة الزيت ووصولها الى المغرب سيغير من طريقة أكل السمك من المملح إلى المقلي.

3- الفعل الغذائي والمحددات الزمكانية

أ- فضاءات الأكل

حظي فضاء الأكل داخل الهندسة المورفولوجية للمنزل الريفي القديم بأهمية بالغة. ذلك أن عملية الأكل في مكان محدد داخل هذا الفضاء (المنزل الريفي) من الأمور المفكر فيها من طرف الأسرة الريفية. وهو ما يمكن اعتباره نقطة التقاء لأفراد الأسرة عند كل وجبة. ففعل الأكل هو فعل جماعي، لا يأخذ معناه الحقيقي إلا داخل الجماعة. لهذا، فمسألة تخصيص مكان للأكل يترجم أهمية هذا الفعل في الحياة اليومية والاجتماعية للأسرة الريفية، لاسيما وأن الأسرة الريفية كما هو الحال في نظام العشيرة هي أسرة ممتدة. وبالتالي كان لزماً التفكير في مكان يتسع لأفراد الأسرة كاملة.

وقد ارتبط تحديد مكان الأكل بمحددات عديدة أهمها: ظروف ممارسة فعل الأكل نفسها، سواء كفعل يومي واعتيادي، أو الأكل في الوجبات المناسباتية الاحتفالية. ومن جهة أخرى، تدخلت الفصول والمعطيات المناخية في تحديد مكان الأكل. فعادة كانت الأسرة الريفية تأخذ وجباتها في مكان يسمى "اسقيف" وهو مكان مهياً للطبخ والأكل في نفس الوقت (موقعه) أما في فصل الصيف، فكان تناول الوجبات يختلف من فضاء منغلق إلى فضاء مفتوح، حيث تؤخذ الوجبات في فناء المنزل الريفي بالأمازيغية "رمراح" وهو مكان فسيح ومهوى، خاصة أثناء وجبتي الفطور والغداء تحت ظل شجرة العنب أو الكرم. وخلال المناسبات العائلية، تتم الاستضافة في غرفة توجد عند مدخل المنزل تسمى بالأمازيغية "أروى" أو "أخام ن بارا" وهي غرفة بعيدة نسبياً عن المطبخ وفناء المنزل حتى تحجب عن الضيوف رؤية حريم المنزل.

وفي هذا الإطار، تجذر الإشارة إلى أنه، لا يمكن تناول وجبة من الوجبات قرب المطبخ لأن مجتمع الدراسة يعتبر المطبخ فضاء مخصصاً للنساء فقط حسب عاداتهم الاجتماعية. فالأكل وما يتعلق به يعتبر من الأمور التي يجب ألا تدخل في دائرة تفكير ونقاش المجتمع الذكوري، لأن تحضير الطعام عندهم هو دور من الأدوار النسائية حصرياً.

طريقه الجلوس:

كان تناول الوجبة يتم على موائد مستوية على الأرض، ذات شكل دائري تلاءم عدد أفراد الجماعة. فضلاً على احترام مختلف العادات الاجتماعية والطقوس المتعارف عليها؛ والتي تتدخل في طريقة الجلوس لتناول الوجبة الغذائية التي تتحكم فيها العديد من المتغيرات منها الدين، الثقافة، العلاقات الاجتماعية بين الجنسين وكذلك التراتبية الاجتماعية. فلا يصح الاختلاط بين الجنسين خلال حضور ضيوف ما، أو غرباء عن أهل الأسرة. وغير مقبول أن يتم الشروع في الأكل قبل حضور الأباء.

ب- توقيت الوجبات

إن الإنسان الريفي القديم كانت تحكمه مواقيت ومواعيد غذائية لا تحتكم إلى عقارب الساعة. فغياب التكنولوجيا في الحياة القروية الريفية، دفعت الريفي الى ضبط مواعيد عمله، نومه، أكله وشربه، بمحددات أخرى تتحدد بدوران الفصول الأربعة، والدورة الفلاحية، وبداية طلوع الشمس وغروبها. علاوة على ذلك، ارتبطت الحياة اليومية لمجتمع البحث بمعالم زمنية دينية تتحدد بمواقيت الأذان للصلاة؛ فأذان الفجر هي بداية اليوم وصلاة العشاء هي نهايته. وداخل هذه البنية الزمنية المحددة بالأذان للصلاة بين الفجر والعشاء تتوطن الوجبات الغذائية.

تؤخذ وجبة الفطور بعد صلاة الفجر مباشرة، فهي بمثابة إعلان عن بداية اليوم قبل الذهاب الى الحقول والرعي. أما أذان صلاة الظهر فيشير إلى وقت الرجوع إلى المنزل لأخذ وجبة الغذاء أو إيصالها للحقول عند الفلاحين، عندما تستغرق الأشغال الفلاحية يوماً كاملاً خصوصاً في مواسم الحصاد أو الحرث. وعند أذان صلاة المغرب يتم الرجوع إلى المنزل

وبالتالي نهاية عمل اليوم. وقبل الخلود للراحة يتم علف البهائم تليه وجبة العشاء التي تسمى بالريفية "أمنسي" بعد صلاة العشاء.

إن ما يمكن استخلاصه من خلال ما سبق، هو أن الفعل الغذائي كان يتم بعد الواجب الديني المتمثل في أداء فريضة الصلاة. حيث يتم أخذ الوجبات الغذائية بعد تأدية الصلوات الخمس. ولعل هذا الترتيب بين الغذائي والتعبدى من خلال تقديم الواجب الديني على الدنيوي فيه احترام وتقديس للفعل الديني لدى الريفي.

- ت الوجبات الموسمية: لكل فصل غذاءه

عادة، يحتفظ كل فصل أو موسم فلاحي بوجباته الخاصة. حيث تحكمت العديد من العوامل الطبيعية في ظهور عادات غذائية بعينها، بالمقابل تختفي عادات أخرى. ومن بين العوامل التي أفرزت الخصوصية الغذائية لكل فصل نذكر: الخصوصية المناخية، الدورة الزراعية، وكذلك المنتج الفلاحي لكل فصل وهي كلها عوامل تساهم في تحديد الأطباق وطبيعة الوجبات الغذائية. إذ يتميز كل فصل بمجموعة من المأكولات الموسمية إلى درجة أنه عندما يحل فصل من الفصول يتبادر الى الذهن وبشكل تلقائي، الوجبة أو المنتج الغذائي الذي يتم تناوله خلال تلك الفترة.

- فصل الربيع:

دأبت الأسر الريفية على استهلاك البقوليات والخضر الربيعية كالفول والجلبان بشكل واضح، وكانت تحضر في هذا الفصل وجبة "ثريبا" المستحضرة من الفول الطازج. وفي هذا الإطار، كانت تستهلك مجموعة من البقوليات وهي عبارة عن نباتات وأعشاب تنمو عند كل فصل الربيع حيث يتم قطفها من طرف النساء أو الرجال لتحضير "البقولة" أو ما يسمى بالريفية "ثيبي". حيث تغسل وتقطع ثم توضع في وعاء كبير الحجم يسمى "ربامث"، مع إضافة ماء وتطهى على نار هادئة. ومن النباتات الشهيرة في الريف يمكن ذكر "نغديوث" "ثاغا" "ثيزينث" "ثابيتست". وهي كلها نباتات مكونة لأكلة البقولة، التي تسمى بالريفية "ثيبي" وإلى جانب هذه الأكلة كانت هناك أكالات أخرى مصنوعة من نبتة أخرى وهو "

البارغوش" الذي كان يستحضر بنفس طريقة البقولة، إلا أنهما يختلفان في طريقة الطهي حيث يتم إضافة البيض لهذا الأخير علاوة على اختلاف مذاق كل نوع على حدة.

- فصل الصيف:

كان فصل الصيف فرصة لأكل بعض الفواكه الصيفية التي عرف بها الريف، والتي تستهلك عادة مع الخبز سواء بعد وجبة الفطور أو بعد صلاة العصر. فأشجار التين المتنوعة والوفيرة، سمحت للأسر الريفية بتوفير احتياجات مهمة من هذه الفاكهة إلى غاية فصل الشتاء بعد أن يتم تجفيفها وتخزينها. أما التين الشوكي المتواجد بكثرة في المناطق الريفية، فقد شكل مادة غذائية أساسية للريفيين طيلة فصل الصيف. علاوة على فاكهة الخروب التي كان يجلبها الفلاحون من الحقول.

بعد موسم الحصاد والدرس، تنبيري نساء الريف، لصناعة مجموعة من المأكولات والتي يكون أساسها الشعير والقمح. وهي مأكولات باردة تُحضّر لها النساء لمواجهة حر الصيف بعد أن يضاف لها حليب البقر أو الماعز ونُخّص بالذكر: مكبيبة، سيكوك، زمبو، ايمامز، تازميث... والتي كانت تُقدم في أواني فخارية: "ثبقشت" أو "تازوظا"... مما كان يُشكل أطباقاً غذائية موسمية، تُكسر بها الأسرة النمط الغذائي اليومي.

- فصل الشتاء:

حتمت قساوة البرد في جبال الريف على الأسر التزود ببعض المنتجات الغذائية التي ترفع من درجة حرارة الجسم من خلال استهلاك وجبات ساخنة. ومن بين الأكلات التي كانت تستهلك بكثرة نجد "حريرة" الشعير وحساء/الدشيشة مع التين المجفف أو البصارة أو ما يسمى بالريفية "لمارقت" المستحضرة من الفول اليابس والجلبان مع زيت الزيتون والخبز والبصل النيء والفلفل الحار والثوم. وهي كلها مواد غذائية ترفع من درجة حرارة

الجسم وتقاوم نزلات البرد. بالإضافة إلى أنواع أخرى من القطاني كالعدس والحمص و"الدشيشة".

إن الملاحظ بعد المقارنة بين مأكولات فصل الصيف والشتاء هو أن جل المأكولات الصيفية تحضر بسرعة على العكس من مأكولات الشتاء التي تطهى لمدة أطول. وبسبب قساوة المناخ بالمنطقة التي كانت تعرف تساقطات مطرية وثلجية كثيفة. كان الناس يلجؤون الى تقنيات متنوعة للحفاظ على استمرارية صلاحية الغذاء، حيث تكون مكسوة بالثلوج في فصل الشتاء فإن الأهالي يدخرون المؤونة عند نهاية فصل الربيع وفي الصيف. وتبدأ الأمطار في الهطول عند نهاية الخريف مما يجعل المسالك غير مستعملة.

II العادات الغذائية في المناسبات الدنيوية و الدينية :

لكل مجتمع بشري مجموعة من المناسبات والأفراح يتعود فيها على مجموعة من الممارسات والعادات المختلفة، منها ما يتعلق بالدين السائد في ثقافة ذلك المجتمع. ومنها ما يتعلق بالمناسبات الاحتفالية. ونقصد بها الأطباق والولائم الغذائية التي كان الريفيون يقدمونها خلال المناسبات العائلية كالأفراح والأعراس أو خلال الأعياد الدينية عيد الفطر وعيد الاضحى. وقد كانت هذه المناسبات الدينية والدنيوية مناسبات غذائية بامتياز، حيث يتحول الغذاء من وظيفته البيولوجية المتمثلة في تحقيق الإشباع الى دعامة ثقافية حاملة لأحاسيس ومشاعر كالحزن والفرح.

1- العادات الغذائية في المناسبات الدنيوية

أ -العرس: الغذاء الاحتفالي

لا يخلو أي عرس من الوليمة، وهي مجموعة الأطعمة التي تُقدم للضيوف، من أكل أو شرب أو حلويات مُعدة ومُحضرة مُسبقاً. وذلك بهدف الترحيب بهم والاحتفال معهم. وهنا، يؤدي الغذاء وظيفة أخرى، تتجاوز المعطيات البيولوجية، ترتبط بالثقافي والطقوسي. فالغذاء في هذه المناسبة يختلف عن "الغذاء اليومي" ليس فقط من حيث الاطباق ومكوناتها، بل كذلك من خلال المشاعر والأحاسيس التي يحملها ويعبر عنها، لهذا يمكن تسميته ب"الغذاء

الاحتفالي". وفي هذا الصدد، أفادنا أحد المبحوثين، ببعض الطقوس المصاحبة لتنظيم عرس ريفي. حيث صرّح الحاج حميد، ذو 72 سنة قائلاً "في عهدنا عندما كانت تحل مناسبة فرح، كنا نقدم للضيوف العسل والزبدة ثم صحن كبير (تازوظا) من الحمص واللحم وبعض الخضر كالجزر والفاصوليا ثم من بعد ذلك نقدم لهم وجبة الكسكس والحليب والقرع الأحمر وفي الأخير الشاي والبول السوداني". ويحيل تصريح المبحوث على الوليمة التي كانت تقدم للضيوف خلال حفل الزفاف، حيث يتم تحضير طنجرة كبيرة من الحمص واللحم مع بعض الخضر كاللفت والجزر. وبالنسبة لاختيار الحُمص كأساس الوليمة الغذائية فهو ليس اختياراً اعتباطياً. فإذا استحضرنّا العدد الكبير للضيوف الحاضرين من جهة وقلة الموارد من جهة أخرى، فإن الحمص يمكن أن يفي بالغرض خاصة وأنه متوفر بكثرة في المنطقة، ويتم زراعته في الحقول وتخزينه. وحتى في حالة شراؤه فإنه لن يكلف الشيء الكثير. وهذا يدل على أن الأسر الريفية داخل مجتمع البحث، كانت تعتمد على المزروعات والمدخرات من المنتجات الغذائية في الاحتفال بأعراسها. أما حضور اللحم في الوليمة فهو تعبير عن الاحتفالية ولو بكمية قليلة حسب امكانيات الأسرة. فبعد الطبق الرئيسي، يتم تقديم طبق الكسكس والحليب ويقدم هذا الطبق التراثي ساخناً ويوضع فوقه اليقطين الأحمر وفي الأخير يتم تقديم الشاي والبول السوداني للحضور بهدف التسلية وتجاذب أطراف الحديث.

فخلال عقد القران أو الخطوبة كان أهل العروس يقدمون طبقاً من العسل الحر وزبدة لأهل العريس. وهو تعبير عن حفاوة الاستقبال من خلال تقديم أغلى ما تملك العائلة. وإذا كان العسل يحيل على الحلاوة فإنها إشارة رمزية على تمني وترجي غير معلن لأن تكون الأيام بين العائلتين وخاصة الزوجين يسودها الود وحلاوة العيش.

ومن بين التقاليد الغذائية خلال حفل الزفاف في الريف الشرقي أيضاً وخاصة الناظور (مجال البحث) أنه عندما تذهب العروس لمنزل زوجها، فإن أول من يلتقي بها قبيل دخولها المنزل، هي أم العريس، حيث تضع أصبعها في إناء صغير من العسل وتقدمه للعروسة وهي إشارة رمزية لحلاوة العيش داخل المنزل الذي ستعيش فيه.

ب - وليمة العقيقة: غذاء وظيفي

من جهة أخرى، تعتبر العقيقة من المناسبات الاحتفالية بامتياز. حيث يمتزج فيها طقس الاحتفال بالغداء بشكل لافت سواء للطفل المولود الجديد أو للأم النفساء التي يقدم لها أطباق غذائية خاصة: "ارفيس"، "زمبو"، "احابيض" وهي مأكولات تقدم ساخنة وتحتوي على العديد من المواد "المُسَخنة". "الرفيسة" مثلاً، وهي أكلة تعدّ من رقائق العجين بطريقة خاصة، ويطبخ لأجلها الدجاج، يضاف إليه الفول والعدس والحلبة والثوم وهي مواد تساعد الأم على استرجاع عافيتها بسرعة. وفي هذا الصدد، تُحضر أكلة خاصة بالأم النفساء تسمى "الثريد"، وتمنح طاقة وقوة للأم حديثة الولادة، ويدعى إليها الأهل والجيران رسمياً في اليوم الثالث للولادة. وعندما يجتمع الأهل والجيران في بيت النفساء للمباركة وأكل "الرفيسة" يبدأ طقس نسائي جميل يتخلله رقص وأغاني. ومن جهة أخرى، تحرص الأمهات والعَمَّات على تزويد الأم النفساء والمولود بمشروبات ساخنة كـ "حبّ الرشاد" مع الحليب و"اللوزة" للمولود. كما يطهى للأم الدجاج بأعشاب تحتسي مرقه الساخن.

أمّا اليوم السابع أو "إيسم" بالريفية، هو اليوم الفعلي لعقيقة المولود، إذ يشترط شراء "ذبيحة" حيّة تذبح بنية العقيقة، يذبحها الموهوب له أو يُوكّل من ينوب عنه في ذبحها، في الغالب يكون لجد. وتكون العقيقة كبشاً أو أكثر بحسب القدرة المالية لأهل المولود. ويدعى الرجال بالأساس إلى "وليمة" اليوم السابع، وإن كانت تدعى النساء أيضاً. ويرتبط اليوم السابع بإقرار تسمية المولود، تذبح ذبيحة العقيقة بالاسم المتوصل إليه وتطلق لأجله التكبيرات ودعوات المباركة والزغاريد.

ومن بين الأحكام العرفية الخاصة بتنظيم هذه المناسبات، نجد أن الاختلاط بين الجنسين يدخل في خانة المحرم اجتماعياً. فحضور النساء لهذه المناسبات خاصة الاحتفالية منها، مشروط بعدم الاختلاط مع الجنس الآخر بالإضافة إلى أن تقديم وليمة الأعراس للرجال أولاً أي أن الأسبقية في الأكل تعطى للرجال ثم النساء من بعدهم. ويمكن تفسير هذه التراتبية الجنسية الغذائية من خلال ما يلي:

أولاً: إن هذه القوانين التفضيلية في تقديم الغذاء أولاً للرجل ثم المرأة من بعده، يعكس القوانين الاجتماعية داخل المجتمع الريفي. الرجل أعلى شأن من المرأة وبالتالي لا يحق إطعام النساء قبل الرجال، وإلا سيتم الإخلال بالنظام الاجتماعي العام.

ثانياً: إن إطعام الرجال أولاً من أجل الانصراف يهدف إلى ترك الفضاء الخاص (البيت) حصرياً للنساء. فغياب أو تغييب الرجال فيه إعلان لحرية المرأة وحركيتها داخل الفضاء الخاص. لأن حضوره إلى جانب المرأة داخل الفضاء الخاص هو تكبيل لحريتها.

ت - الوفاة: جِداد غذائي

تعتبر مناسبة الوفاة مناسبة حزن ومأتم داخل المنزل بل داخل العشيرة ككل. فالتقاليد تفرض ألا ينشغل أهل الميت بتحضير الوليمة أو ما يسمى محلياً باللغة الريفية " ارقافير" فالأهل والجيران هم من كانوا يقومون بطهي الأكل في منزل الميت ومن بين الوجبات المقدمة للعزاء الكسكس والحليب مع اليقطين الأحمر وغياب اللحم. إن هذه المكونات البسيطة تحمل تعبيراً رمزياً عن حالة الحزن التي تغمر الجميع؛ فهو جِداد غذائي يخلو من الأغذية الاحتفالية كتعبير عن تضامن وتقاسم مشاعر الحزن والألم

2 العادات الغذائية في المناسبات الدينية

يحتل الطعام كطقس ديني مكانة متميزة في المعاني الاجرائية للشعائر الدينية، ويُحيل على مجموعة من الطقوس المؤسّسة للفعل الديني. فأغلب المجتمعات الدينية المحافظة، تسعى إلى تفعيل الممارسة الطقوسية على نطاق ذهني واسع، ليضمن لها خاصية استمرارية المعتقد. ويؤدي الطعام وظيفة تفعيل الممارسة الجماعية لتلك الطقوس. حيث يتم من خلاله إعادة البناء الاجتماعي للمؤسسات عبر السياق الديني، الذي يُعد واحداً من أهم مرتكزات الواقع الاجتماعي، بوصفه نسقاً حافظاً للتواصل على مستوى الممارسة والفعل.

يدين مجتمع الدراسة بالدين الإسلامي ويمارس عباداته المختلفة. ومن بينها الأعياد التي أقرها هذا الدين وتتمثل في عيدين أساسيين عيد الفطر وعيد الأضحى. وتحضى المناسبات الدينية (عيد الأضحى وعيد الفطر بالإضافة إلى الاحتفال بذكرى المولد النبوي). في المجتمع الريفي باهتمام خاص لدى الأسر الريفية، إذ تمارس خلالهما طقوس احتفالية خاصة. أمّا الغذاء فيشغل حيزاً مهماً داخل هذه الطقوس؛ وبالنظر لخصوصيات هذه المناسبات فإن الأطباق الغذائية المقدمة تختلف بشكل كلي عن أطباق الأيام العادية.

أ - عيد الفطر:

بالنسبة لعيد الفطر فحسب المبحوثين، فهو مناسبة لصلة الرحم والتسامح بين الأهل والجيران ودعوة بعضهم البعض لتناول الغداء، إذ تهيئ له أطباق خاصة نذكر منها:

طبق الكسكس واليقطين الأحمر ويسكب عليه الحليب الساخن. وتعتبر هذه الوجبة التقليدية وجبة خاصة بعيد الفطر في الريف الشرقي. فأول ما يقدم من الأكل هو الكسكس والحليب الساخن مع اليقطين الأحمر وذلك فور الانتهاء من صلاة العيد والرجوع إلى المنزل. وهي عادة غذائية تراثية قديمة لازالت تحتفظ براهنتيها الى حدود اليوم.

ب - عيد الأضحى:

يعتبر عيد الأضحى من المناسبات الدينية التي يجتمع فيها بين ما هو ديني عقائدي وبين بما هو تقليدي طقوسي، خصوصاً وأن هذه المناسبة ترتبط بذبح الخروف امتثالاً لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الغداء يحتل فيها مكانة مهمة وبشكل طقوسي ملفت للنظر. وقد دأبت الأسرة الريفية على ذبح خروف أو كبش (أضحية) مباشرة بعد العودة من صلاة العيد بتعاون بين رجال ونساء الأسرة. وبعد الانتهاء من عملية الذبح والسلخ، يتم شواء الكبدة وأكله مع الشاي والخبز وهو ما يمكن اعتباره وجبة افطار. ومباشرة بعد ذلك، تشرع النساء في إعداد وجبة الغداء وذلك من خلال إعداد أحشاء الأضحية (الدوارة) بالريفية "تكريشت" وتحويلها إلى وجبة طعام. أما وجبة العشاء فعادة ما يتم تناول رأس الخروف المفور.

في هذا السياق، نشير إلى أن استقبال العيد يكون حسب استطاعة كل أسرة؛ فهناك من كان يكتفي بذبح دجاجة أو أرنب لإعداد طاجين بالخضر خصوصاً في فترات الشدة والحاجة. أما الأسر الميسورة فتقوم بذبح خروف أو ماعز احتفالاً بهذه المناسبة، خصوصاً إذا كانت الأسرة ممتدة. وقد تلجأ بعض الأسر في القبائل الريفية التابعة للريف الشرقي للقيام بعملية "لوزيعة" وهو ما يعني شراء عجل بشكل تشاركي أو على أفراد، ويتكلف كبير القبيلة "امغار" بالشراء، بينما تتم عملية الذبح والسلخ في المسجد أو المصلى، بتعاون بين

أفراد القبيلة، كما يتم تقسيم الذبيحة إلى أكوام صغيرة تسمى محليا "ركاعث" أي مقدار كيلو غرام إلى ثلاث كيلو غرامات من اللحم حسب عدد الأسر المكونة للقبيلة أو الفخذة. وهي عادة غذائية قديمة تترجم رمزية الاحتفال الجماعي في مناسبة دينية كهذه، حيث يستوي فيها الفقير مع الغني في تناول أكل اللحم وبالتالي اقتسام الاحتفال الجماعي للعشيرة.

ت -الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

احتفلوا بالعديد من المناسبات الدينية انسجاما وارتباطهم الوثيق بالمعتقدات الروحية القديمة للشعب الامازيغي. حيث دأبت الأسر الريفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بتخليده من خلال مظاهر وتقاليد ترسخت في التراث الغذائي وذلك عبر تحضير أكالات وأطباق خاصة. حيث كانت تقوم الام أو الجدة باعداد وتحضير طبق "ايوزان" او "الدشيشية" كما يصطلح عليه في بعض مناطق المغرب الكبير التي تشتهر به منطقة البحث. وتحضر هذه الوجبة إما بالحليب أو يتم تحضير "ايوزان" بطريقة تقليدية بالمنزل من خلال طحن الشعير في رحي حجرية للحصول على سميد هذا الاخير. الذي تهيأ به هذه الأكلة والتي تقدم كفطور الصباح للأسرة كما يقدم طبق اخر لاطفال الجيران وأهل المدشر الذي يأكلونه بشكل جماعي في الساحة الخارجية للمنزل.

في المساء يتم ذبح ديك المسمى بالريفية " يازييض امسرم" ليأتي بعدها دور النسوة لاعداد وجبة الكسكس بهذا الديك الذي عادة ما تحضر فيه المناسبات الدينية وتأكل بشكل جماعي بين الأهل والجيران. بعد غروب الشمس تجتمع النساء وخاصة الكيبرات منهن في السن او ما يطلق عليهن بالقبيل "ثيفقيرين" ومعهن باقي نساء الجيران والاقارب في فناء المنزل "ازقاق" (إذا حل هذا العيد في فصل الصيف وفي غرفة دافئة من غرف المنزل إذا كان الجو باردا) تتقدمهن امرأة ذات صوت شجي ومعرفة بأمور الدين الاسلامي فيرددن أذكارا في مدح الرسول (ص).

III ادخار الغذاء : تثمين الوفرة وتدبير الندرة

يحفظ التاريخ الاجتماعي لسكان الريف إلى حدود اليوم، الكثير من الأحداث التاريخية المرتبطة بالأزمات، خصوصاً تلك المتعلقة بالأزمات الغذائية. بل مازالت ذاكرة المسنين

تستعمل هذه الأحداث كوسيلة للتأريخ. ومن بين تلك الأزمات، تلك التي اصطلح عليها الريفيون "عام ن الجوع" أو "عام ن البون".

إن موجات الجفاف التي كانت تضرب الريف، أفرزت سلوكات جماعية كتدابير احتياطية لتلافي الآثار الوخيمة للجفاف. إن الحاجة إلى تخزين المواد الغذائية، تعود إلى عدم حضورها الدائم؛ أي أنها تحضر في فصل وتغيب في آخر. ومع تعاقب سنوات الجفاف تقل المؤونة، وتتزايد الحاجة إليها. لهذه الأسباب وغيرها، دفع الإنسان الريفي إلى البحث عن طرق لإطالة أمد صلاحية حياة ما يكتسبه من الأرض من زرع وثمار، مما توفره له الطبيعة من بقوليات ونحوها. فطور خبراته في التعامل مع هذه الظروف، والاستفادة من كل ما يحيط به. فقد أشار عبد الرحمن الزكريتي في أطروحته "ثقافة المقاومة بالريف" إلى أن كلمة الاحتكار كان يعني بها ابن خلدون الادخار. أي تخزين مواد غذائية أو غيرها قصد استعمالها في وقت الحاجة إليها من قبل المدخر وعائلته. ويوضح قائلاً إن "أسلوب الادخار تحول عبر التاريخ لسلوك معتاد وتقليدي راسخ في حياة القرويين والمزارعين الريفيين. هذا السلوك الذي يعكس دوافع الحيطة لديهم تجاه المستقبل المجهول لأن المحاصيل المخزنة تصبح ضماناً لدفع المخصصة عن سكان المنزل"²⁴³

1 -المطبخ الفضاء والمحتوى :

يُشكل المطبخ المكان المُخصص لإعداد الطعام وطهيهِ، ويتميز المطبخ الريفي بالبساطة وعدم التعقيد. كما أن الأدوات المستعملة داخله، تعبر عن مستوى الصناعة اليدوية المحلية التي تجمع بين الجوانب النفعية والجوانب الجمالية. فهذه الأدوات واللوازم تلبي حاجة الإنسان وتفي بدواع مشاغله اليومية. والملاحظ أن للمجتمع العديد من الأدوات المطبخية، من حيث التنوع في الأحجام والوظائف.

ونقصد بالأدوات المطبخية، جميع الأدوات والأواني التي كانت تستعمل في عمليتي تحضير وطهي الوجبات والأكلات داخل المطبخ الريفي. وهي أدوات بسيطة مصنوعة يدوياً من طرف حرفي يطلق عليه اسم "اقدار" "إقدارن" بصيغة الجمع وهي حرفة تعنى بصناعة أواني الفخار. وقد دفعت الحاجة إلى تحضير وطهي الغذاء، إلى التفكير في إيجاد أدوات

²⁴³ عبد الرحمن الزكريتي، ثقافة المقاومة بالريف مقارنة مرجع سابق ص 76

وأواني تسهل العمليات المطبخية المتنوعة لتحضير وصناعة وتقديم الأغذية. حيث كانت معظم هذه الأواني تصنع من الطين: "الطنجرة"، "الطجين"، "تازودا"، "أغراف"، "ثبقشت"، "مجر"، "أقديح"، "تيدواث"، "ثسيسوث ن تراخت"، "امسخر"، "أخديم"... بالإضافة إلى بعض الأدوات المطبخية المصنوعة من مواد أخرى ونذكر منها: ثجونت (مصنوعة من جلد الماعز أو الغنم) أندو من الحلفاء (الدوم)، وبعض الأواني الخشبية "أغنجا"، تغنجات...

إذ كان يتواجد في كل مدشر رجل أو امرأة تختص في صناعة الأواني الفخارية، أو يتم شراؤها من الأسواق الأسبوعية حيث كان "إقدارن" يعرضون سلعهم يوم السوق الأسبوعي وهي فرصة للأسرة الريفية لاقتناء حاجتها من الأواني الفخارية المستعملة كأدوات الطبخ.

2- أدوات ومواعين تحضير الاطعمة.

إن الأعمال المرتبطة بإعداد وحفظ بعض المواد الغذائية؛ كالحبوب والقطاني والزيتون، تعتبر عند مجتمع البحث مهام نسوية. حيث تتم معالجة هذه المواد بطرق مختلفة حسب طبيعة المادة المُدخِرة.. وتستدعي هذه العمليات استعمال مجموعة من الأدوات الخاصة.

الجدول رقم 9: قائمة الأدوات المطبخية ووظائفها بالريف الشرقي

الأدوات والمواعين	أدوارها
تاسيات: الرحي	آلة طحن تقليدية يدوية مصنوعة من الحجر مكونة من قطعتين حجريتين. القطعة العلوية على شكل قالي والقطعة السفلى هي قاعدة مسطحة عريضة نسبياً. فالأولى يخترقها تجويف عمودي يتم فيه رمي الحبوب، حفنة حفنة، ولها تجويف آخر توضع في جانبها عصي مساعدة على إدارتها يدوياً فوق الحجر السفلي المسطح، فيستحق

الحبوب شيئا فشيئا.	
مخض الحليب لاستخراج مشتقاته كاللبن والزبدة.	تاخريت: وعاء جلدي مصنوع من جلد الماعز. ويطلق عليه " ثايداث " إذا كان مصنوعا من الطين.
القطع والتقشير	ارموس: السكين تاخدماشت: سكين كبير الحجم.
تقطيع اللحم وتقديده	الشاقور:
المزج والخلط والتذوق	"تاغنجاجت": الملعقة أو المغرفة الصغيرة، وتصنع من الخشب الصلب. "أغنجا" الملعقة الكبيرة. عمود يتم اختياره من شجر الزيتون الذي لا يلد، المسمى محلياً " الزبوج"، له مواصفات دقيقة: حيث يجب أن يكون متوسط الطول، ينتهي بثلاثة أغصان صغيرة مختلفة الاتجاهات.
دق الأطعمة وهرسها وسحقها	"اربواقي": ويطلق عليه أيضا إبيدي ارمهراز، المهراس، أوالمهراز، وهو الهاون وكان يصنع في البداية من الخشب والصلب أما الآن فمن النحاس.
ملحوظة: يعتبر " اربواقي " من مخلفات الاستعمار، وقد سُمي بهذا الاسم نسبة للقنابل التي كان يطلقها المستعمر الإسباني على المنطقة فيتم اتخاذها وسيلة لتهشيم الحبوب	
يوضع عليه الصحن الساخن.	"ثندوث": صحن صغير مصنوع من الحلفاء

"أندو": صحن كبير مصنوع من الحلفاء.	يوضع عليه الخبز بعد إخراجهِ من الفرن مباشرة.
"ثبقشت": القصعة، وهي إناء من الطين أو الخزف واسع من جهة القعر.	يصنع فيها العجين بخلط الدقيق مع الماء والملح.
ثقراصت: لوحة من الخشب	تمديد العجين وتقليبه، وحمله إلى الفرن.
ثنجاث: جدع شجرة	يقطع عليه اللحم.

أدوات ومواعين الطبخ

الأدوات والمواعين	أدوارها
امسखा: صحن طيني كبير.	تحميص الحبوب والدقيق وإعداد الفطائر.
إمران: الأثافي أو "الكانون"، يتكون من ثلاثة أحجار أو أكثر لتحمل "القدر أقديم" أو "امسغار".	مستوقد لطهي الطعام.
"ثافقونت": فرن مبني من الطين يكون دائريا ومقبيا به فتحتين (على شكل نصف دائرة)؛	طهي الخبز

واحدة لإدخال الحطب وأخرى.....	
"ارجمما": المجر، وهو مستوقد مصنوع من الطين يمكن تغيير مكانه.	الطهي، وغالبا ما يستعمل للشواء.
"الطنجا": الطنجرة، تصنع من الفخار وكان يطلق عليها الطجين	الطهي بكميات كبيرة خاصة في الأعياد والمناسبات.
"اسكسوث": الكسكاس، وهي انية مثقوبة	تحضير الكسكس "سكسو" أو "سيسو" والطهي بالبخار.
اربامث: انية كبيرة وعميقة تصنع من الفخار أو النحاس.	طبخ الطعام
ارماقرا: المقلاة، تصنع من الحديد.	قلي الاغذية في الزيت
"أباراذ": إبريق.	إعداد الشاي.
"ثغلاشت": إبريق القهوة.	إعداد القهوة (البن).
"أمقراج": إبريق كبير.	تسخين الماء لتحضير الشاي.

أدوات ومواعين الطبخ والتقديم.

أدوات التقديم	أدوارها
ثازوذا: صحن من الفخار على شكل مستطيل متوسط الحجم ومقعر.	تقديم الطعام

الطبك: وعاء عريض مسطح ومفتوح، يصنع من الدوم.	تقديم الفاكهة الجافة أو الخبز للضيوف.
ربامث: آنية كبيرة من الفخار أو الفولاذ.	يحملها شخصان أو أكثر إلى المسجد صبيحة عيد الأضحى ويكون بها الكسكس واللحم
الطجين: آنية فخارية مغطاة	يطبخ ويقدم فيها الطعام
أغاراف: إناء كبير أو متوسط الحجم.	الشرب
ثاغرافت: إناء صغير	الشرب.
اركيسان: الكؤوس	شرب الشاي أو القهوة.
اطبسي: صحن، ويطلق عليه طبسي نتراخت (الطين)، و "ن ريديع"	تقديم الطعام.
أفنجار: مشربة أو جبانية، وهي آنية فخارية أو من البديع.	شرب الحريرة

الجدول رقم 10: قائمة لبعض أنواع الأطعمة المخزنة

الأطعمة المخزنة	طرق التخزين
الحبوب	ثاسرافت.
الزيتون	ثخانشت
الزيت	أقذيح
التين المجفف	سدجت: السلة.
السمن	أقذيح
العسل	أقذيح
الماء	أقبوش
القديد	يوضع اللحم على خيط ليحفظ تحت أشعة الشمس، بعد ذلك يضاف إليه الملح والأعشاب والتوابل، ثم يخزن في جرة فخارية تسمى: "ثقذريحت" وتغطي بثوب.
الشحم: "الدونت".	يتم تمليحها، ثم تجفف بواسطة أشعة الشمس. وبعد إذابتها فوق النار، تخزن في جرة فخارية تسمى "ثاقذريحت".
الزبيب.	عبر تجفيف العنب وتخزينه في "السدجت".
الزبدة: "الدهن"	أقذيح.

3-التقنيات المطبخية لتخزين الطعام :

إن الحديث عن طرق تخزين الطعام التقليدية يجرنا بالضرورة إلى البحث في علاقة الإنسان بالمتغيرات الطبيعية، لأنها هي العامل المتحكم في نوعية هذه العلاقة. فتوالي سنوات الجفاف يدفع الإنسان إلى البحث عن وسائل لضمان ديمومة الغذاء الذي يُعتبر المحرك الأساسي للإنسان، والضامن لاستمرار وجوده. كما أن الطبيعة تتحكم في نوعية غذاء الفرد، مما يُحتم عليه التوجه نحو طعام بعينه دون غيره. وفي هذا الصدد، يرى عبد الرحيم العطري أنه، عند محاولة فهم السلوك الغذائي بالمغرب، نلاحظ أنه يستند إلى دورة زمنية طبيعية مرتبطة بتعاقب الفصول، ودورة فلاحية متصلة بالندرة أو الوفرة²⁴⁴. وفي هذا الإطار، فالإنسان الريفي لا يشذ عن هذه القاعدة. فقد عرف المجتمع الريفي العديد من تقنيات ومهارات تخزين المواد الغذائية، استعداداً لحالات الطوارئ وفترات ندرة الغذاء، بسبب المحاصيل الزراعية الضعيفة أو لترشيد المحصول الزراعي وتدبير استهلاكه بشكل معقلن على مدار السنة. وسنحاول، من خلال هذا الفصل، التطرق إلى الوسائل المعتمدة في تدبير وتخزين الطعام، نعرض البعض منها على الشكل التالي:

أ- تقديد اللحم:

وهي تقنية مطبخية يتم من خلالها تخزين اللحم والشحم. فاللحم كان يُقدد للحفاظ عليه مدة طويلة، أما الشحم فكان يوضع في جرات من الطين ويستهلك بعد تذويبه. إنها عملية مطبخية لصناعة القديد. وهو عبارة عن لحم متبل ومجفف تحت أشعة الشمس. وقد دأبت الأسر الريفية على تحضيره في مناسبة عيد الأضحى. حيث يكون اللحم متوفراً بكثرة. وبالمقابل كان غياب وسائل تجميد وتبريد اللحم سبباً في اللجوء لعمليات تقديده لأنها الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ باللحم لمدة طويلة واستعماله في أطباق متنوعة: الكسكس، والطاجين، والقطاني

²⁴⁴عبد الرحيم العطري، قرابة الملح: الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 2016 ص 122.

طريقة التحضير:

يقطع اللحم إلى قطع متوسطة توضع في وعاء كبير، يخلط بالثوم وبعض الثوابل الملونة مع القزبر والملح. ويرقد الخليط لمدة يومين إلى ثلاثة أيام ثم تعرض أشربة اللحم لأشعة الشمس حتى تجف ثم يحفظ "القديد" في كيس من الثوب بعيداً عن الرطوبة.

ب- تجفيف الخضر والفواكه:

من بين التقنيات المطبخية التي كانت تُوظف من أجل إعادة استهلاك بعض المواد الغذائية. فتقنية تجفيف الطعام خاصة الخضر والفواكه تعتبر وسيلة مهمة لحفظ الأغذية لمدة طويلة، وقد اعتادت الأسر الريفية على تجفيف بعض الفواكه والخضر كالتين والعنب. وتعتمد هذه التقنية على عملية إزالة معظم المحتوى المائي في الفاكهة بشكل طبيعي بتجفيفها تحت أشعة الشمس. وتتمثل خطوات تجفيف التين مثلاً فيما يأتي:

حيث كان يُمرغ في التين الدقيق، ثم يُوضع في الشمس إلى أن يجف تماماً، مع تغطيته بأوراق شجرة الضرو لأن رائحته القوية تبعد عنه الحشرات، وتطرد الديدان عنه إن وجدت وتمنع تكونها. ومن خلال المقابلات التي أجريناها، هناك أسر لجأت إلى تعريضه للبخار في كسكاس على قدر به ماء وأوراق الضرو، كل ذلك لضمان طول مدة صلاحيته للاستهلاك، ثم تخزن أو تُعلق في خرقة منزوعة من حلفاء أو صوف.

ومن الأطعمة التي تجف أيضاً، الجبن المسمى بالريفية: "أذخس"، حيث كانت النسوة يعمدن إلى غلي الحليب (المستخرج خلال أول عملية حلب بعد وضع البقرة مولودها) إلى أن تنفصل كتل الحليب عن الماء، ثم يقمن بتصفيته في شاش مع تركه يستقطر من الماء. فيؤكل إما طرياً، أو طهيه في إناء طيني مع البيض وإما مُجففاً، لأن ما يتبقى منه يوضع في طبق من حلفاء ويُعرض لأشعة الشمس ليُجف جيداً، ثم تجمع هذه القطع في ثوب نظيف لتستعمل في المعجنات المطهوه بالمرق، كالكسكس.

ت- التمليح:

هي إحدى طرق حفظ الأغذية. تعتمد هذه الطريقة على إضافة كمية مهمة من ملح الطعام إلى المادة الغذائية المراد حفظها، حيث يعمل الملح المضاف على تجفيف السوائل داخل الأنسجة، مما يمنع نمو الميكروبات. فالملح قادر على الحفاظ على معظم المواد الغذائية لأشهر وحتى لسنوات. إذ استخدمت هذه التقنية في منطقة الريف الشرقي للحفاظ على اللحوم وكذلك استعملت للحفاظ على الزيتون في أواني فخارية.

وكمثال على ذلك، حفظ الزيتون عن طريق تمليحه لإخراج طعمه المر. وتتم هذه العملية عن طريق غسل الزيتون الأسود الناضج، وتصفيته، ثم رشه بكمية كبيرة من ملح البحر، ويترك ليستقطر في كيس مع وضع شيء ثقيل فوقه، وتقليبه من حين لآخر إلى أن يصبح جاهزاً للأكل، ويمكن الاحتفاظ به لأكثر من سنة بهذه الطريقة.

كما يحتفظ بالزبدة عن طريق تحويلها إلى "سمن" (دهن إبحرن)، حيث يتم الحصول عليه عن طريق غسل الزبدة بماء يذاب فيه الملح، ودلكها مرات عدة لإخراج بقايا اللبن منها، ثم تؤخذ من هذا الماء وتعبأ في قِلل طينية "ثيقبوشين" ثم تترك لأسابيع في حرارة الجو إلى أن تكتسب طعمها المعروف ويُمكن الحفاظ عليها بهذه الطريقة سنوات عدة.

ث- التخليل:

وذلك عن طريق استعمال الخل أو الليمون لحفظ بعض المواد، كالزيتون المخلل. فبعد دقّه بحجر لتشطيره وإحداث شقوق به، يوضع في قلال بها ماء، ويغير ماؤه كل ثلاثة أيام أو أسبوعياً أو شهرياً، حسب الحاجة إليه، إلى أن يزول طعمه المر، ثم يوضع معه ليمون وملح، ويصبح بذلك جاهزاً للاستهلاك. وللحفاظ عليه مدة طويلة جداً، يترك في مائه دون تغييره إلى حين الحاجة إليه.

1- الطرق الأخرى لتخزين الطعام

واستعداداً لمواجهة طوارئ محتملة في المستقبل وترقياً لسنوات الجفاف والأزمة. عمد الإنسان إلى تخزين هذه المواد في مطامير حتى لا يلحقها التلف أو تتعرض للسرقة. خصوصاً الحبوب، منها الشعير وبعض المواد الدهنية كالزيت والسمن. ولا زالت هذه العادة

في بيوت المغاربة الذين يحرصون على توفير وادخار زيت الزيتون والسمن والعسل طيلة السنة للتغذية أو استعمالها كدواء لعلاج الأمراض أو تقدم للضيوف. وبهذا، نخلص إلى أن النظام الغذائي لم يعرف استقراراً ولم يكن مبنياً على أي مرتكز قار بل كانت تتحكم فيه ظروف الطبيعة والمناخ.

أ - التخزين في "ثسرافت" (مطمورة الحبوب):

لجأت الأسر إلى اعتماد تقنيات تخزين الحبوب. حيث عمدت الأسر الريفية إلى تخزين جميع المحاصيل الزراعية التي كانت تحصل في فترات الرخاء: كالشعير والقمح والحبوب والقطاني بعد تجفيفها تحت أشعة الشمس في مطمورات تحت أرضية تسمى محليا "ثاسرافت" وهي عبارة عن مدخرات يتم اللجوء إليها عند وقت الحاجة والشدة. وهي حفرة كبيرة وواسعة تتخذ شكل مستطيل أو مستديرة بأعماق مختلفة، يبلغ عمقها حوالي أربعة أمتار، وتصل مدة التخزين بالمطمورة إلى ثلاث سنوات أو أكثر.

ب - الحفظ في مخازن خاصة:

كما هو الحال بالنسبة للبصل والثوم، اللذان يحفظان بعيداً عن الضوء والرطوبة معلقين في سقف بيت المؤونة. ويمكن الاحتفاظ بهما مدة طويلة بتلك الطريقة. وفي هذا المخزن الذي يسمى بالريفية "أروا" يخزن أيضاً الفول والحمص وغيرها من القطاني في قراب من جلد الماعز، أو في جرار كما هو الشأن بالنسبة لزيت الزيتون، فبعد عصر حبات الزيتون في المعصرة أو رفسها بالأقدام، توضع في جرار كبيرة، وتحفظ بعيداً عن الضوء، ولا يؤخذ منها إلا بقدر الحاجة.

ت- التخزين باستعمال الأدوات المطبخية:

ومن بين طرق التخزين التقليدية المستعملة داخل المطبخ الريفي نجد الأدوات المطبخية في حد ذاتها والتي كانت مصنوعة لهذا الغرض بالذات. فالعديد من الأواني الفخارية التي كانت تؤدي وظيفة الحفاظ على الأطعمة والأشربة (انظر الجدول).

الجدول رقم 11: أدوات وطرق التخزين الأطعمة

الأدوات والطرق	أدوارها
أقبوش: إناء من الفخار	تخزين الماء.
أقذيح: إناء من الفخار، واسع من جهة الفم. وتسمى تقذيجت إذا كانت صغيرة الحجم.	تخزين السمن والعسل والزيت والشحم.
ثاسرافت: المظمورة. من أكثر طرق التخزين إستعمالا، وهي حفرة محاطة بتربة صلصالية لمنع تسرب الماء، ولها شكل أسطواني، تتكون جدرانها الداخلية من الحجارة والصلصال الممزوج بالتبن، تترك مفتوحة صيفا للتهوية ويتم حرق أعشاب يابسة أحيانا كعملية تعقيم وطرده للحشرات والجذران. وخلال عملية التخزين يتم وضع التبن أو نباتات يابسة بين الجدار الداخلي والحبوب المخزنة.	تخزين الحبوب لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات.
تسدجث: السلة.	تخزين الثوم والتين الجاف
ثاقبوشت: جرة فخارية.	الزيتون
ثخانشت: كيس كبير مصنوع من ألياف الكتان.	تخزين الزيتون/ علف البهائم

ومن خلال ما سبق، نخلص إلى أن التجارب الغذائية العديدة والمتنوعة التي عاشها الإنسان الريفي على مر العصور في مجالته وبيئته، مرّ بظروف طبيعية قاسية من مجاعات - أوبئة - جفاف وقحط - قلة الموارد بسبب الحروب، مكنته من مجارة إيقاع الطبيعة بين فترات الفقر والجفاف من جهة وفترات الوفرة والرخاء من جهة أخرى. إن كل هذه التجارب المتراكمة أكسبت الإنسان صفة الحيطة والحذر وجعلته يطور استراتيجيات تفاعلية مع فترات الجفاف والقحط عبر تخزين المواد الغذائية في المطامير - الزيت والعسل في القلل - بالإضافة إلى تقديد اللحم للحفاظ على البقاء وتجنب الموت.

4- الأغذية البديلة في أوقات الشدة:

تعتبر منطقة الريف من المناطق المغربية التي كانت تتعرض لتهديد حقيقي بسبب نفاذ المواد الغذائية، وذلك منذ العصر الوسيط. وكان سكان وأهالي المنطقة مُعرضون أكثر من غيرهم لمخاطر المجاعة بسبب عوامل طبيعية ناتجة عن ظروف مناخية صعبة، كالحقحط جراء انحباس الأمطار لسنوات متتالية، أو بسبب أزمات سياسية وعسكرية أدت في غالب الأحيان إلى نقص حاد في الغذاء أو انعدامه بالمرة. وقد عرفت هذه الفترة انعداماً شبه كلي للمواد الغذائية إذ أصبحت حياة الأهالي مُهددة بسبب الجوع مما دفعهم إلى البحث عن بدائل غذائية للبقاء على قيد الحياة. وهنا نتساءل كيف كانت هذه الأسر تدبر ذلك الخصائص في مجال المواد الضرورية التي تقف عليها استمرارية حياتهم؟ وما هي استراتيجيات مقاومة ومواجهة الجوع؟

إن أهم الكوارث التي هددت كيان الأسرة الريفية، تلك المتعلقة بالجفاف والمجاعات. حيث أدت ندرة التساقطات المطرية وعدم انتظاميتها، إلى توالي مواسم فلاحية جافة وبالتالي إلى مجاعات. وهذا ما كان يعني " تهديداً مباشراً للضرورات الحيوية بالنسبة للمجتمع القروي وهو ما كان يتسبب تاريخياً في تدمير البيئة الخضراء من جهة ويهيج نزاعات بين الناس محلياً نتيجة الفشل في تدبير الندرة الغذائية من جهة أخرى".²⁴⁵ فإذا كان سكان

²⁴⁵عبد الرحمن الزكريتي، ثقافة المقاومة بالريف مقارنة: سوسيو-انثربولوجية للأسرة القروية واستراتيجيات تدبير الحياة اليومية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، سلسلة دراسات وأبحاث، عدد 52، 2016 ص 70

البوادي الريفية عامة، يعتمدون في معيشتهم اليومي على المحاصيل الزراعية بشكل أساسي فإن الجفاف كان يؤثر على أساس عيشتهم المادي واستقرارهم. لهذا أجبرت الكوارث الطبيعية التي كانت تحل في أرض الريف بين الفينة والأخرى الأسر إلى هجرة مناطقهم بشكل جماعي وهذا ما نستشفه من قول الباديسي في مؤلفه عن صلحاء الريف " كانت مجاعة شديدة في بلادنا، وكان بعض الناس يسلمون أنفسهم للنصارى ليشبعوا عندهم الطعام فأنت سلورة إلى ساحلنا فطلع فيها بعض جيراننا"²⁴⁶. وقد شهدت منطقة الريف حركة نزوح جماعي في اتجاه منطقة جباله أو نحو وسط المغرب خوفاً مكناس وفاس، هروباً من المجاعة وبحثاً عن القوت..

إن الهجرة لم تكن الملاذ الوحيد لسكان الريف عند كل قحط ومجاعة، بل إن تواتر هذه الكوارث دفعت الأسر الريفية إلى تطوير استراتيجيات احترازية لمواجهة المخاطر المهددة لوجودها، خصوصاً تلك المتعلقة بالتخزين والادخار، تحسباً لأي تهديد مستقبلي محتمل، وكذلك استعمال أطعمة بديلة. ليصبح بالتالي توفير تلك الحاجيات الغذائية طيلة السنة أمراً ملحاً. إلا أنه " بالرغم من اختلاف نوعية التغذية لدى المغاربة حسب المناطق ومستواهم الاجتماعي، فقد كانوا في الظروف العادية يعملون على ضمان توازنهم الغذائي بالإعتماد على ما توفر لديهم من أغذية وذلك بغض النظر عما تحتويه من "سعة حرارية" غير أنه بحلول المجاعة يختل ذلك التوازن، وتصبح الحاجة ماسة إلى التكيف معها بالجوء إلى مصادر أخرى من التغذية"²⁴⁷

وفي هذا الصدد، يقول البيولوجيون أن الطعام هو كل مادة غير سامة قادرة على تلبية الحاجيات الغذائية للجسم، وهي الحاجة للمادة والطاقة. إلا أنه في وقت المجاعة، يطفو هذا المبدأ على السطح ويصير وظيفياً حيث يُغير الناس سلوكهم، ويخرجون عما اعتادوا عليه من أكل ذي طبيعة شهية أو رمزية.²⁴⁸ ففي فترات انعدام الأكل، كان الناس يلجؤون إلى

²⁴⁶الباديسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنتزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 ص 2

²⁴⁷ محمد الأمين البزار: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18-19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة 1992

²⁴⁸ محمد حبيدة، المغرب النبائي، مرجع سابق، ص: 88

أطعمة بديلة لسد رمق الجوع وتكونت هذه الأطعمة من جذور النباتات، "يرني"²⁴⁹ الذي تختلف طرق تحضيره وطهيته من جماعة لأخرى.²⁵⁰ فحسب بعض المبحوثين فإن الناس كانوا يأكلون بكثرة نبتة سامة وهي موجودة بكثرة في المناطق الريفية تسمى "ايرني". حيث كانوا يجلبونه من تلك المناطق ويقومون بتبييسه بعرضه للشمس، وبعد ذلك يقومون بطحنه حتى يصبح دقيقاً ثم يصنعون منه خبزاً.

إذ أصبحت تلك البدائل الغذائية أساس المعيش لدى الأسر الريفية حيث التجأت إلى بعض الأعشاب والنباتات (الارني، رقانش وبنعمان) لسد رمق الجوع، بعد أن يتم عجنها، تصنع بها ما يشبه الخبز ثم تطهى في إناء كبير وتؤكل.

5- المحرمات الغذائية للمجتمع بين الثقافة والدين

لمجتمع البحث طرائق خاصة في تحديد الأطعمة دون أخرى وطبخها وأكلها، حيث صارت لهم مجموعة من الطقوس والعادات الغذائية منها ما هو مرتبط بالمحرمات الغذائية التي نهى الدين الإسلامي عن تناولها، مثل: أكل لحم الخنزير أو الميتة وما أهل لغير الله. بالإضافة إلى ذلك، نجد أيضاً بعض المحرمات الغذائية التي لا ترتبط بالدين وإنما تدخل في إطار الممنوع ثقافياً واجتماعياً. استناداً لبعض المفاهيم والمعتقدات الموروثة والمسلم بها عن طريق وسائل غيبية والتي لا تحتل المحاجة المنطقية. إن محرمات الطعام لا يمكن فهمها بمعزل عن النسق الذي توجد فيه. فلابد من وضعها في مركز العلامات التي من نفس مستواها، والتي تكون معها نسقاً²⁵¹

في هذا السياق لابد من الإشارة إلى انتشار شرب الخمر والنيبيذ في شمال المغرب بشكل كبير رغم فتاوى الفقهاء في هذا الإطار. وقد اشتهر اليهود بتحضير خمر "ماحيا" المصنوعة من التين والتمر أو العنب. حيث أشار الحسن الوزان أنه في مدينة باديس

²⁴⁹ الارني نبات أخضر له جذور شبيهة بجذور الطماطم تحتوي على مادة لزجة كان يتم تحميصها في الفرن حتى تصبح جافة ويتم طحنها ليصنع منها الخبز وهي مادة لم تكن لذيدة بل سامة حيث أودت بحياة الشيوخ والأطفال خاصة الذين لا يعرفون طريقة تحضيرها يموتون بعد أكلها.

²⁵⁰ مجمل عن الطعام والشراب في القبائل المغربية نموذج قبيلة السراغنة ذ. الحسن شوقي، مجلة أمل، الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة العدد: 16 / 1999، ص 101-106.

²⁵¹ كارل م. كونيهان، انثروبولوجيا الطعام والجسد، مرجع سابق، ص: 40

(الحسيمة) زقاقاً مشهوراً يقطنه اليهود، وتباع فيه الخمر التي يعتبرها السكان شراباً في غاية الروعة"²⁵². أما في جبل بني مسكادة وبني بوسيف وهي مناطق وجبال أخرى باردة فكانت تستهلك الخمر فيها بكميات كبيرة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن قساوة الظروف المناخية لم تكن لوحدها العامل المفسر لانتشار ظاهرة شرب الخمر أو النبيذ في جبال الريف منذ العصر الوسيط، حيث أكد الراهب الاسباني مارمول كربخال أن تناول الخمر بنوع من الإفراط "كان في الغالب لأجل العريضة والفجور"²⁵³

عرفت منطقة البحث مجموعة من الأغذية المحرمة اجتماعياً. فقد سن المجتمع الريفي مجموعة من الأعراف الخاصة بالمأكول وغير المأكول في علاقته بمعتقدات غبية. وقد حدثتنا الحاجة مامة، 83 سنة عن البعض منها قائلة: "لم يكن مسموحاً الخلط بين الحليب مع السمك، خاصة السردين. وذلك لأن هذا الخط قد يسبب بعض الأمراض مثل البرص. وكذلك الشأن للعدس مع البيض، الذي يمكن أن يسبب بعض الأمراض الجلدية". فحسب المعتقدات السائدة وخلال أيام العيد الأضحى، فقد كان يمنع تناول ما تنتجه الأرض، وخاصة "ايوزان" نوع من الكسكس. وفي نفس الإطار، لا يجب الذبح يوم عاشوراء ويمنع فيها أكل بيض الدجاجة التي تفرخ لأنها تعتبر نذر شؤم. وإذا تناولت أسرة ما الحاضنة لبيضها سيموت أحد أفراد العائلة. أمّا الجزر، فكان من العيب تناوله بل هو مادة تخصص كلاً للماشية. علاوة على ذلك، كان يحرم لعق الملح أو السكر للعنة قد تصيب صاحبها. ولا تُقطف فواكه أو خضر أصحاب الزوايا الشرفاء.

²⁵² انظر كتاب: Vivian et Nina Moryoussef, La Cuisine Juive Marocaine, Paris, 1983, p: 168

²⁵³ مارمول كربخال، افريقيا، الرباط، 1988، ج الثالث، ص: 178

خلاصة

عرفت الأسر الريفية في الماضي، بنظام اقتصادي تميز بالكفاف وترشيد الاستهلاك والانفاق من المواد المخزنة. وذلك راجع للندرة في المحاصيل الزراعية وقلة الأمطار، مما كان يسبب أزمة غذائية. وقد سلكت الأسر الريفية استراتيجية معقنة لتدبير استهلاك مخزون الغداء، تبعاً لنظام اليوم والأسبوع والفصل والسنة. فعند إطلاعنا على فمن خلال إجرائنا للمقابلات مع المبحوثين والمبחות، تأكدنا أن الحياة البدوية سابقاً، كانت تعتمد على الشعير كمادة غذائية رئيسية بالنسبة للقرويين وبهائمهم. وكذلك على الفول والجلبان الأخضر أيام الربيع، وفاكهة الصبار والطماطم في الصيف والعدس والبيصار في فترات البرد، والسّمك يوم السوق الأسبوعي. أما اللحم فكان حضوره الوزن يسجل فقط في المناسبات الاحتفالية، في حين كانت الحقول والبساتين المجاورة للمنازل تزودهم بالفواكه والثمار.

لقد شكلت مادة الخبز المصنوع من الشعير والقمح، المادة الأساسية في أغلب الوجبات الغذائية بالنسبة للأوساط الريفية. وكان يحضى بقيمة اعتبارية ثقافياً وصلت إلى حد التقديس. فكان من العيب أن يرمى في أماكن غير مُحترمة. بل كان الاعتقاد السائد، هو أن الله سيعاقب بـ"قطع النعمة" على أي منزل لا يتم فيه احترام الخبز؛ كما أن استهلاك الخبز لا يكون إلاً وفق الحاجة و"يعتبر عيباً أن يقوم شخص بتقطيع ما لا يستطيع تناوله من الخبز وتصل درجة احترام الخبز إلى اعتبار وضع الخبزة على ظهرها يجعلها شكواها لله. أما إن كان الخبز متوفراً بكثرة، فيُشمس ويُدخر أو يُستعمل في تهيئة وجبات غذائية محلية أو كعلف للدواجن والمواشي بعد ترطيبه بالماء. ولهذا كان من النادر جداً، وجود قطعة خبز واحدة ضمن النفائات المنزلية للأسر المستقرة بالمناطق القروية.

إن البحث في ذاكرة الريف ومجاليه، يكشف، أن هذا الإنسان خبر ظروفًا متباينة، تحكمه الوفرة أحياناً والندرة بل الفقر والمجاعة أحياناً أخرى. تدفعنا هذه الملاحظة إلى

الإقرار، بأن التجربة الغذائية هذه، ستعكس ثقافة الندرة وهي ثقافة تؤطر السلوك الإنساني وفعله في التاريخ والزمان، فأمام ندرة المواد وقلتها، اضطر الإنسان الريفي إلى التكيف مع وضعه، مبدعاً أشكالاً تخرجه من ورطته ويصنع من "الالشيء" أشياء، فالإبداع حاضر، بل لا يكاد يحضر إلا مع الأزمة وفيها.

الفصل الثالث:

التحولات الماكرووسوسولوجية وتجديد النمط الاستهلاكي الغذائي بالناظور

تقديم

تستدعي مسألة فهم التحولات الغذائية التي يعرفها الريف الشرقي عامة ومدينة الناطور خاصة، تحديد القنوات الأساسية المفترزة لهذه التحولات وذلك من خلال تفسير بنية التحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفت المنطقة في إطار السوسيو مجالي والبنية الاقتصادية ومرتكزاتها الأساسية. ونعني بذلك، دراسة التحولات الغذائية بالريف الشرقي من المنظور الماكروسوسيولوجي ثم الميكروسوسيولوجي، حتى نتمكن من الكشف عن القوانين العامة التي تحكم في مسار التطور الاجتماعي بالريف الشرقي وبالتالي في تطور السلوكات والممارسات الغذائية بالمنطقة.

وعلاقة بما سبق، فإن الدراسات «الماكروسوسيولوجيا» والدراسات «الميكروسوسيولوجيا» ترتبط ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً؛ بحيث أن دراسة المجتمع بشكل كلي. أي من منظور ماكروسويولوجي تحيل عالم الاجتماع دائماً وباستمرار نحو الوقائع الميكروسوسيولوجية التي يتألف منها. بل حتى عملية تفسير بعض الظواهر الاجتماعية الدقيقة، تحتاج إلى استحضار المداخل الاجتماعية الكبرى، التي ساهمت في إفرازها. إن هذه العلاقة الجدلية بين وحدات الملاحظة الأكثر دقة، وبين المجموعات الاجتماعية الكبرى، في نظرنا، هو المسلك الطبيعي والضروري لأي قراءة تفسيرية علمية لظاهرة التحولات الغذائية. ومن هنا يمكن القول أن الفرضيات الشمولية المتعلقة بموضوع

البحث كالهجرة الدولية وعائذاتها المالية، والتحويلات المجالية والعمرانية، وكذلك بروز نمط إنتاجي رأسمالي، هي محددات أساسية لا يمكن تجاوزها لأنها تتيح إمكانية تفسير الجوانب الميكروسوسولوجية في موضوع دراستنا.

ولفهم أكثر هذه التحويلات الماكروسوسولوجية التي عرفها الريف الشرقي منذ الستينات من القرن الماضي، ننطلق من فكرة أساسية، مفادها أن التغيرات الشمولية التي حدثت بالمنطقة، اقترنت بالأساس، بتغلغل المستعمر إبان المنتصف الأول من القرن 20 ودخول الرأسمالية كنمط إنتاج بديل للنمط الذي كان سائدا، المبني على الاكتفاف والتكافل بين أعضاء العشيرة الواحدة. ونتج عن هذا العامل سلسلة من التحويلات الأخرى المرتبطة به على عدة مستويات: اقتصادية، اجتماعية ومجالية انطلاقا من ستينات القرن الماضي التي أفضت بدورها الى تحولات على مستوى البنيات الاجتماعية والذهنية والقيمية، من قبيل تحول وتجديد في نمط العيش والاستهلاك الغذائي. فما هي العوامل والميكانيزمات الداخلية والخارجية التي تحكم في التحويلات السوسيو مجالية والاقتصادية والقيمية؟ وكيف أثرت هذه التحويلات في الممارسات والسلوكات الاستهلاكية الغذائية بالريف الشرقي عامة والناظور خاصة؟

I- الهجرة الدولية بالريف الشرقي.

مع بداية سنوات الستينات من القرن الماضي، بدأت منطقة الريف الشرقي بالانفتاح بشكل تدريجي على محيطها الوطني والدولي. حيث عرفت هذه الفترة اندماج المنطقة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بعد فترة طويلة من العزلة والانكماش، بفعل انفتاحها على العالم الخارجي الوطني والدولي وتساعد الحركة الهجروية الداخلية والدولية. وتسجل هذه الفترة في نفس الوقت بداية نهاية بنية اقتصادية اجتماعية ومجالية أخرى ارتبطت بالتواجد الكولونيالي.

1- الهجرة نحو الجزائر منذ نهاية القرن 19

أ- الهجرة شرقا أو هجرة البحث عن الغذاء

تعتبر منطقة الريف الشرقي إحدى المناطق القديمة لانطلاق حركة هجرية مهمة، سواء في اتجاه الداخل أو الخارج. وتعود الحركة الهجرية من الريف نحو الغرب الجزائري إلى بداية الأربعينيات من القرن 19؛ وهو تاريخ وصول الأفواج الأولى إليه من الريف. واستمر تدفق الهجرات إلى الجزائر بعد ذلك بأعداد كبيرة. وقد مست هذه الظاهرة كل قبائل الريف فقد " بلغ عدد المهاجرين من الريف الشرقي حسب الإحصاء الرسمي الإسباني حوالي 164 ألف مهاجراً موسمياً"²⁵⁴. وتعد قبيلة قلعية من القبائل الريفية الأولى التي هاجر سكانا نحو الجزائر، وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن 19 وذلك بحكم قرب مليلية من وهران بهدف الإستغلال عند المعمرين الفرنسيين في المجال الفلاحي.

عرفت هذه التيارات الهجرية أسباباً متنوعة حسب الفترة الزمنية. حيث ارتبطت بشكل عام بالتحويلات السياسية الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي شهدتها المنطقة منذ القرن 19. ويفسر الباحث محمد أونيا المهتم بتاريخ المنطقة أسباب الحركة الهجرية التي تميزت بها المنطقة بعوامل عدة كالثقل الديموغرافي الذي ميز هذه المنطقة، منذ زمن بعيد وما صاحبه من انتشار الأوبئة والمجاعات وقلة الموارد الاقتصادية، إضافة إلى القلاقل التي شهدتها خلال النصف الثاني من القرن 19 وأوائل القرن 20²⁵⁵. لكنها تتلخص في عامل أساسي هو الهروب من شبح الجوع، بحثاً عن الغذاء.

ارتبطت الهجرة من الريف نحو الجزائر بأسباب وعوامل طبيعية واقتصادية. فبسبب محدودية الإمكانيات الطبيعية والاقتصادية عاشت منطقة الريف ظروفاً اقتصادية صعبة. بحيث لم تستطع مجارة ومسايرة النمو الديمغرافي السريع، وأصبحت غير قادرة على ضمان العيش لهذه الساكنة، كما أن آثار القحوط والمجاعات ونذرة الموارد الكافية للعيش، دفع بأهل المنطقة للبحث عن منافذ أخرى أكثر استقراراً لتحسين ظروف عيشهم، كما يشير إلى ذلك الباحث بلكندوز الذي أكد أن "الهجرة نحو الجزائر يعني توفير مدخول للعديد من الأسر وهذا ما يشكل صمام أمان ناجع بالمناطق المضطربة"²⁵⁶. فخلال بداية القرن 19،

²⁵⁴ J.B, Vilar, Nos origines de la immigration laboral maroqui en Argelia, in Actes du 3ème Congrès de l'histoire et de la civilisation, publication universitaire, Tome 2, 1983, P : 317.

²⁵⁵ محمد أونيا، المجتمع الريفي قبل المقاومة (1897/1921)، مجلة أمل، عدد 8، السنة الثالثة، 1996.

²⁵⁶ Abdelkrim Belguendouz, L'émigration des travailleurs marocains, l'encyclopédie du Maroc, Fascicule géographie Humaine, 1978, P : 37

عرفت المنطقة حركة هجروية قوية نحو الجزائر وذلك بسبب الظروف الطبيعية الصعبة، التي كانت تعيشها المنطقة الناجمة بالأساس عن ندرة المحاصيل الزراعية والتي أدت إلى أزمة 1878 و 1882.

وقد أشار في هذا الصدد René ségonza في نهاية القرن 19 على " أنه بمنطقة رأس ورك التابعة لقبائل بني شيكر إحدى قبائل قلعية التي زارها، حيث أنه خلال ست سنوات انحبس المطر مما أدى إلى هجرة أفواج من المزارعين إلى الجزائر تجنباً للمجاعة"²⁵⁷. ومن هنا يتضح أن سبب هجرة الريفيين إلى الجزائر راجع بالأساس إلى النقص الحاد في الغذاء بسبب الظروف الطبيعية والمناخية. حيث " قذفت الأزمات الغذائية التي عرفها الريف بين 1878 و 1882 بحوالي 640 ألف مهاجر من المغرب نحو الجزائر"²⁵⁸. فعدد المهاجرين كان يرتفع وينخفض حسب حالة المحاصيل الزراعية، المرتبطة بالظروف المناخية السائدة بالمنطقة.

ب- من العمل الفلاحي إلى العمل المأجور :

أدت الهجرة الموسمية في اتجاه الغرب الجزائري وفي اتجاه بعض المناطق الداخلية المغربية إلى تحولات عميقة على عدة مستويات اجتماعية واقتصادية وقيمة. حيث تضافرت منذ بداية القرن 20 عوامل نمط الانتاج الرأسمالي من خلال العمل بالجزائر ومليلية. مما أدى إلى نشوء طبقة عاملة لجأت إلى العمل المأجور وسيتحول بذلك الريفي من فلاح وخدام الأرض إلى عامل لدى المعمرين الفرنسيين بالجزائر ولدى الإسبان في ميدان الأشغال العمومية، خاصة في قطاع المناجم. وهكذا يمكن تفسير النمط الإنتاجي من خلال تقويض البنى الاقتصادية القائمة على المقايضة والتبادل السلعي. إذ " أن المغاربة الذين كانوا في البداية لا يشترون إلا المنتوجات ذات الضرورة القصوى أحدثوا حاجيات جديدة بفضل المال الذي استفدوه من خلال إقامتهم بالجزائر فلقد رؤوا قدرتهم الشرائية تتصاعد".

²⁵⁸ محمد أمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و 19 منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 18 ص 291

إن أبرز تحول حدث في هذه الفترة المهمة في مناطق الريف هو إدخال النقد في الاقتصاد والتعامل التجاري الذي كان مبنياً على التبادل. فقد كانت منطقة وهران محج العديد من الاسر الريفية منذ بداية القرن 20 خصوصاً بعد فترات الجفاف والقحط الذي كان يضرب منطقة الريف. إذ اضطرت للهجرة الى الجارة الشرقية الجزائر الواقعة تحت الادارة الاستعمارية الفرنسية. وقد أشار موليراس إلى أن منطقة وهران استقبلت "أكثر من 20 ألف يأتون من أجل العمل لدى المعمرين الفرنسيين بحثاً عن النقود النادرة في الريف. فالريفي يأتي عندنا فقط لكي يربح خلال شهرين ما يكفيه للعيش في رخاء على مدار السنة دون أن يشتغل"

لقد أفضت التجربة الهجروية بالجزائر إلى تحول قيمي لدى سكان الريف. حيث أصبحوا أكثر تقبلاً لفكرة العمل عند الغير بمقابل مادي وتخووا شيء فشيء عن العمل الزراعي المبني على التضامن. وهو ما سيتم تعزيزه من خلال التجربة الهجروية بأوروبا.

2- الهجرة في اتجاه الدول الأوروبية : من الأرض إلى النقد

بدأت الهجرة من الريف الشرقي، كما بينّا فيما سبق، منذ زمن بعيد. إلا أن الحركات الهجروية اشتدت فعلياً الى أوروبا منذ ستينيات القرن الماضي، بعد توقف الهجرة نحو الجزائر. لقد عرفت منطقة الريف منذ منتصف القرن 20 حركية هجروية قوية في اتجاه الدول الأوروبية، حيث ساهم تسهيل الإجراءات الجمركية والحدودية والحاجة المتزايدة لليد العاملة في أوروبا في الرفع من نسبة المهاجرين المغاربة خاصة المنحدرين من مناطق الناظور-الدريوش-الحسيمة. وهذا ما أقرّ به الخبير في ميدان الهجرة ذ. بالكندوز قائلاً: "ابتداء من الستينيات من القرن الماضي تزايدت تأثيرات الهجرة المغربية نحو أوروبا الغربية بشكل سريع وأخذت طابعا مؤسساتيا"²⁵⁹. وقد أصبحت منطقة الريف في هذه الفترة أي (الستينيات) من أهم المناطق الهجروية على الصعيد الوطني، حيث "وصل عدد المهاجرين من منطقة الريف سنة 1966 إلى أكثر من 26 ألف مهاجر، وفي نهاية سنة 1970

²⁵⁹Abdelkrim Belguendouz, l'Emigration des travailleurs marocains, in Grande Encyclopédie du Maroc, Rabat, 1998, P 37-64

وبداية 1971 قدرت السلطات المحلية عدد المهاجرين من إقليم الناظور بحوالي 32 ألف مهاجر ينتمي معظمهم إلى العالم القروي".²⁶⁰

وعلى الصعيد الوطني، صُنّف إقليم الناظور في المرتبة الأولى "من حيث عدد المهاجرين بنسبة 26 مهاجراً لكل 1000 نسمة. إذ كانت " الهجرة خلال هذه المرحلة من الستينات وبداية السبعينات فردية، تقتصر فقط على الذكور الذين يتراوح سنهم ما بين 20 و45 سنة. وحسب نتائج إحصاء 1970 وإذا ما اخذنا الفئة العمرية من 15 الى 49 سنة فإن كل شخص على 3 كان يمارس مهنة في أوروبا²⁶¹. فما هي المكانة التي يحتلها إقليم الناظور كقطب هجروي على الصعيد الوطني ضمن حجم التحويلات المالية للمهاجرين المغاربة؟ وما هي انعكاسات هذه التحويلات المالية على القدرة الشرائية للأسر بالناظور؟ وهل أحدث التدفق المالي نحو مدينة الناظور تحولاً في العادات الغذائية بالنسبة للأسر؟

أ-التأثيرات الاقتصادية للهجرة

أصبحت الهجرة منذ عقود محركاً أساسياً للعجلة الاقتصادية بالريف الشرقي و خلقت بذلك حركية اجتماعية مُلفتة للنظر. إذ أن عائدات الهجرة من العملة الصعبة تجاوزت في غالب الأحيان مداخيل قطاعات إنتاجية أساسية في الاقتصاد الوطني. ولهذا ساهمت الهجرة في التحولات العامة التي عرفتھا المنطقة منذ سنوات الستينات من القرن الماضي، حيث تمثل عائدات الهجرة الدولية المصدر المالي الأساسي بالنسبة للأسر، سواء في المجال القروي أو الحضري بالريف الشرقي وهكذا ارتبطت الحياة العامة لعدة عائلات وبشكل مباشر بعائدات الهجرة الدولية عوض الإمكانات الاقتصادية المحلية. وقد أثر هذا الارتباط بالخارج وعائداته المالية على عملية الانتاج بشكل عام حيث تحول المجتمع الريفي من مجتمع يعتمد على الانتاج من خلال استغلال الأرض إلى مجتمع يعتمد على الاستهلاك.

كما ساهمت الهجرة الدولية ومن خلال العائدات المالية المهمة التي تضخ في جيوب الأسر أو من خلال استثمارات داخل المنطقة في تسريع عمليات التحول على عدة مستويات

²⁶⁰ مجلة اسيناك، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، عدد مزدوج 2010، 5/4. بوظيلب الحسين ، الهجرة الدولية بالريف الشرقي وانعكاساتها ، 63-78 ، ص 65

²⁶¹ Bonnet et J Al, Aspect géographique de l'émigration marocaine vers l'Europe, numéro 1, RGM , P :45

وميادين: اجتماعيا، اقتصاديا، مجاليا وقيميا. وفي هذا السياق، نجد أن الهجرة خلقت دينامية نشيطة في قطاع التجارة والخدمات وخاصة تلك الموجهة للاستهلاك، ونخص بالذكر الاستثمارات في مجال العقار وإعادة تهيئته بالشكل الذي يسمح بخلق مشاريع تجارية مرتبطة بالغذاء كمحور للبيع والشراء. وهنا الحديث عن المحلات التجارية المقدمة للغذاء من قبيل: المقاهي، المطاعم، المحلات وبيع المواد الغذائية.

لقد أحدثت الملكية الخاصة التي حلت محل الملكية الجماعية تغيرات عديدة على بنية المجتمع حيث عمقت الفوارق بين من يملك ومن لا يملك وقد أبانت الملكية الخاصة أنها متغير مهم في التمييز بين الطبقات الاجتماعية. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة في هذا الإطار هو كيف يمكن تفسير إرساء دعائم الملكية الخاصة في اقتصاد هش يعتمد أساسا على القطاع غير المهيكل؟

يمكن القول أن دائرة رؤوس الأموال، تنحصر بالإضافة لكبار التجار في فئة عريضة من المهاجرين المنتمين إلى منطقة الريف الشرقي عامة والناظور خاصة حيث تعد هذه الفئة المصدر الأساسي لتوفير العملة الأجنبية مما تساهم بشكل كبير في إنعاش الاقتصاد الوطني من خلال التحويلات المالية المهمة التي يقوم بها المهاجرون لاستثمارها أو ادخارها في أرض الوطن. ومنه، فإن عائدات الهجرة الدولية تلعب دورين أساسيين: يتمثل الأول في حل معضلة التشغيل والثاني في تحويل وتركيز رؤوس أموال ضخمة بالمنطقة. وبذلك ستصبح الهجرة إحدى الأعمدة الأساسية للنشاط الاقتصادي للناظور (عدد المهاجرين المغاربة المنتمين إلى مدينة الناظور...؟)

وإذا كان الهدف الأساسي من الهجرة هو تحقيق أهداف مادية من خلال جمع أكبر قدر من المال قصد استثماره في البلد الأصلي، فإن هذا الهدف يبقى في غالب الأحيان سجيناً لمفاهيم تقليدية، تقتصر على بناء المساكن وشراء الأراضي دون التفكير في القيام باستثمارات إنتاجية ومقاولات كبرى. ويبقى مجال التجارة في المجال الغذائي: مقاهي ومطاعم ومحلات بيع المواد الغذائية بالإضافة للعقار أهم هاته المجالات الاستثمارية في المجال الحضري²⁶²

²⁶² لحسين بوظيلب ص 5-21 أهمية تطور التحويلات المالية للمهاجرين المغاربة بأوروبا حالة الريف الشرقي ص 2

وعلى صعيد آخر، تشكل التحويلات المالية للمهاجرين مصدراً هاماً من مصادر العيش على المستوى المحلي والجهوي لكثير من الأسر التي يقيم أحد أفرادها في المهجر. وتساهم بشكل كبير في الرفع من الادخار الوطني وموازنة عجز ميزانية الأداءات. بدون شك، تشكل فالتحويلات المالية للمهاجرين رافداً مهماً من روافد الاقتصاد الوطني، كما تعتبر المصدر الأول للعملة الصعبة في المغرب. إنها ثروة حقيقية تؤدي دوراً مهماً في الحفاظ على التوازنات المالية للبلاد وفي العديد من مناطق الهجرة المكثفة مثل الريف الشرقي، علاوة على توفير سيولة مالية إضافية مهمة للأسر، تحافظ بها على التوازنات الاجتماعية ببوادي وحواضر المنطقة في ظل نسبة البطالة المرتفعة بالناظور وهيمنة الاقتصاد غير المهيكل. ولكنه يبقى من الصعب ان لم نقل من المستحيل تقدير حجم التحويلات المالية للمهاجرين بسبب تنوع القنوات الرسمية وغير الرسمية التي تمر عبرها هذه التحويلات. ومهما يكن فإن معطيات بنك المغرب لسنة 2017 تسمح بتوضيح أهمية قيمة الودائع البنكية بالريف الشرقي (إقليمي الناظور والدریوش) بقيمة مالية بلغت 42.229.310 مليار درهم²⁶³. بينما حققت معطيات سنة 2018 ارتفاعاً ملحوظاً أي بقيمة مالية بلغت 42.992.084 مليار درهم²⁶⁴ (انظر الملحق)

تحتم مرحلة تحليل البنية الاقتصادية بالإقليم في ارتباطها بالهجرة الدولية وعائداتها المالية، وانعكاساتها على السلوكات الغذائية، ضرورة التطرق للقطاع البنكي وديناميته في تنشيط الحركة المالية بالإقليم. حيث يعرف الريف الشرقي (إقليمي الناظور والدریوش) عدداً مرتفعاً من الشبابيك البنكية مقارنة بالمدن المغربية الأخرى. بحيث أن عدد مؤسسات البنكية بالمنطقة يزيد عن 222 من مجموع المؤسسات البنكية بالمغرب. بينما تحتل مدينة

L'émigration / l'immigration marocaine à l'ère de la mondialisation Actes du colloque international organise a Agadir les 10 et 11 Décembre 2010 publication d'IRCAM série colloque et séminaires N 34,2013

²⁶³ Répartition des dépôts et crédits des banques implantées dans le rayon d'action des provinces de Nador et Driouch, Bank Al- Maghrib, Agence de Nador, année 2017

²⁶⁴ Répartition des dépôts et crédits des banques implantées dans le rayon d'action des provinces de Nador et Driouch, Bank Al- Maghrib, Agence de Nador, année 2018

الناظور لوحدها المرتبة الأولى ب 95 شباك بنكي²⁶⁵. وتكشف هذه الوضعية قيمة المساهمة الفعلية للهجرة العمالية في تكثيف الأرصدة المالية المودعة بها (انظر الملحق) وبالرغم من أن إقليم الناظور يتميز بتمركز شديد للأبنك وبالتالي يُعد مركز ثقل مالي على المستوى الوطني. إلا أن هذا التميز لا يجسد حقيقة الواقع الإقتصادي والاجتماعي للإقليم. بعبارة أخرى لم يكن لكل هذه الموارد المالية تأثير ايجابي على تنمية إقليم الناظور وحواضره. من حيث استثمار الأموال المتدفقة لخلق ثروة اقتصادية مهمة ممّا شكل فراغاً إقتصادياً. بالمقابل نجد أن معظم التحويلات المالية نحو الإقليم يتم انفاقها في الاستهلاك الأسري خصوصاً الاستهلاك الغذائي.

ب- التأثيرات الاجتماعية للهجرة الدولية

لقد ساهمت الهجرة الدولية وخاصة إلى بلدان أوروبا الغربية (إسبانيا، فرنسا، بلجيكا، ألمانيا وهولاندا) بشكل كبير في تغيير الذهنيات. ممّا أدّى إلى زعزعة البنية الاقتصادية والاجتماعية بالريف وبالتالي التأثير على نمط الاستهلاك للأسر عامة والسلوكات والممارسات الغذائية خاصة. لقد نتجت عن هذه الدينامية الاقتصادية والاجتماعية التي خلقتها العائدات المالية للمهاجرين مجموعة من السلوكات الاستهلاكية، غيرت من نمط عيش سكان الريف على جميع المستويات. ومن هنا، يمكن اعتبار الهجرة الدولية التي عرفتها منطقة الريف، أول قناة مهمة لإحداث تحولات في العادات الاستهلاكية الغذائية لدى ساكنة هذه المنطقة وذلك عن طريق تبني سلوكات وممارسات غذائية، كانت تعتبر إلى عهد قريب، دخيلة وغريبة على مدينة الناظور. بالمقابل اندثرت العديد من السلوكيات والممارسات الغذائية الأخرى التي شكلت على مر عقود من الزمان الهوية الغذائية لسكان الريف.

ومن جهة أخرى، أدى التدفق المستمر لأموال الهجرة على المنطقة، إلى إحداث تحولات اجتماعية وثقافية لا يستهان بها، بحيث سمحت بتحسين مداخل الأسر وإعادة تركيب تراتبية اجتماعية من خلال التغيير في الحدود الاجتماعية التي كانت تفصل بين الطبقات الاجتماعية. حيث " أصبحت عائلة المهاجرين تحتل المراتب الأولى في ترتيب الهرم الاجتماعي على المستوى المحلي بينما تحتل أسر غير المهاجرين المراتب الدنيا. فلم تعد

²⁶⁵ Répartition par Localité des guichets bancaires, Bank Al- Maghrib, Agence de Nador, année 2018

ملكية الأرض ولا النسب الشريف يحدد مكانة الشخص في المجتمع كما كان الأمر سابقاً²⁶⁶ ويزداد أكثر مستوى المكانة التي تحتلها أسر المهاجرين على مستوى الهرم الاجتماعي أثناء عودة المهاجرين إلى المنطقة خلال فصل الصيف. حيث تبرز مظاهر التباهي الاجتماعي والاستهلاك التفاخري الذي يتوخى أصحابه إبراز نجاح مشروعهم الهجروي. ولعل النفقات المفرطة المرتبطة بمناسبة أو بدونها لدليل ملموس لإثبات المكانة الاجتماعية.

إن التدفق المالي على منطقة الريف الشرقي، أنعش القدرة الشرائية وحسن من ظروف عيش وأسر المهاجرين. لكن بالمقابل أحدث اختلالاً وتفاوتاً في القدرة الشرائية للأسر التي ليس لها علاقة بالهجرة وأصبحت غير قادرة على مجاراة الإيقاع الاستهلاكي للأسر الميسورة. حيث أن توفر وارتفاع الكتلة النقدية لدى المهاجرين واستمراريتها زاد من مستوى الاستهلاك ومن إقبالها القوي على الضروريات والكماليات وخاصة المواد الاستهلاكية الغذائية. وهو ما يمكن ملاحظته في الفترة الصيفية التي تصادف موسم العودة الجماعية للمهاجرين.

ويتضح جلياً هذا التباين والاختلال عند مقارنة بين الأسر الريفية والأسر الوافدة من خارج إقليم الناظور الحاملة لثقافة استهلاكية مغايرة حيث يقف نمط الاستهلاك الريفي ذو الإيقاع السريع والكم الوفير عائناً لاندماجها داخل المجتمع الريفي ومن هنا يمكن القول أن النمط الاستهلاكي الغذائي بالريف الشرقي يصعب عملية الاندماج على الأسر الوافدة من خارج المنطقة ويميز بين الأسر الريفية وغيرها.

II- تحولات البنية الاقتصادية بإقليم الناظور-

II- 1 المرتكزات التاريخية لاقتصاد المنطقة

أ- مرحلة ما قبل الإستقلال

إن الحديث عن الممارسات الاقتصادية وأشكال التداول التجاري بإقليم الناظور، يستدعي بالضرورة استحضار السياق التاريخي والموقع الجغرافي للمنطقة. حيث تكشف لنا الجوانب التاريخية والجغرافية للمنطقة عن طبيعة العمل الاقتصادي بإقليم الناظور، باعتباره

²⁶⁶ مجلة اسيناك منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية عدد مزدوج 5/4 بوظيلب الحسين الهجرة الدولية بالريف الشرقي وانعكاساتها 63-78 ص 69-70.

بنية أفرزت مجموعة من المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية المهمة والتي تشكل إلى حد اليوم خصوصية محلية وجهوية. وبهذا تكون محاولة تحديد طبيعة هذه الممارسات الاقتصادية وتأثيرها على الممارسات الغذائية بإقليم الناظور، عملية مُتجددة "تتطلب إعادة النظر في مكوناتها وخصائصها فهو ما يفرض مراجعة النشاط الاقتصادي لهاته المنطقة ضمن نسق تاريخي متعلق بظروف محلية وجهوية وموقع جغرافي ومكانة سياسية".²⁶⁷

وارتباطا بهذا التلازم التاريخي الاقتصادي الخاص بمنطقة الريف الشرقي، يجب التذكير أن الإدارة الاستعمارية الإسبانية قد وظفت المسألة الاقتصادية لترسيخ وجودها بالمنطقة. وذلك بحكم القرب الجغرافي بين التراب الإسباني والمغربي وبوجود مستعمرات بشمال المغرب (سبتة ومليلية). حيث استغلت اسبانيا غياب بنية اقتصادية قوية قادرة على تلبية حاجيات الساكنة بمنطقة الريف الشرقي، لِتحول مليلية إلى قطب تجاري مُهم تمر عبره لترويج مختلف السلع الاستهلاكية (مواد غذائية، ملابس، أجهزة... إلخ) إلى منطقة الريف الشرقي ثم إلى باقي مدن المغرب، شأنها في ذلك شأن مدينة سبتة المحتلة.

ب-العلاقات التاريخية والتجارية مع مليلية

نشأت العلاقات التجارية بين مليلية والناظور منذ زمن بعيد. وقد تطورت عبر مرور الزمن، خصوصاً مع بداية القرن التاسع عشر. ومما لا شك فيه أن الحديث عن الناظور، يقابله الحديث عن تجارة التهريب بعمق تاريخي واجتماعي. ولفهم واستيعاب الأبعاد الحقيقية لهذه العلاقات، سنضعها في سياقها التاريخي العام.

فالعلاقة بين مليلية والناظور تجد جذورها وإرهاصاتها الأولى في حقبة الاستعمار الإسباني. ومنذ ذلك الحين، فهي تنمو وتتطور بشكل مستمر، خاصة بعد الاستقلال، إلى درجة أن هذه العلاقة التاريخية القديمة أصبحت ترخي بظلالها على النسيج الاقتصادي

²⁶⁷أحدو محمد، الريف الشرقي بالمغرب وبنياته التقليدية (نموذج قلعية)، سلسلة شرفات، العدد 89، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن سلا غشت 2017، ص 63.

للناظور وبعض المدن الأخرى، من خلال ممارسة تجارة التهريب على الحدود مع مليلية مما أثر على مستوى حياتهم المعيشية اليومية منذ بداية القرن 19. حيث تؤكد بعض الدراسات التي تناولت العلاقات التاريخية بين الناظور ومليلية أن سكان مدينة الناظور كانوا مرتبطين بمدينة مليلية ارتباطاً وثيقاً باعتبارها جزء لا يتجزأ من السيادة المغربية، بحيث كانوا مرتبطين بهذه المدينة وتمثل ذلك في قيام مقايضة مستمرة بين سكان الجهتين. حيث أغرقت إسبانيا الأسواق الريفية ببضائعها ومنتجاتها المصنعة خصوصاً السكر والشاي والخرطوشات والبنادق والبارود والشموع والمصابيح الغازية والسكاكين. بالمقابل، يقوم المغاربة في الناظور باستقدام السلع التي كانت غير متوفرة في السوق المغربية: كالبتترول والشمع والتبغ وأدوات النظافة والثوب والاحذية وبعض المواد الأخرى التي ترتبط بالنمط الاستهلاكي الأوروبي: ومنها أيضاً المواد الغذائية الصناعية كالمصبرات، العصير، الحليب ومشتقاته المتنوعة، بينما تتزود سكان مليلية بالمنتجات الفلاحية المغربية بكل أنواعها من خضر وفواكه وغيرها.

وعلى صعيد آخر، دفعت قلة المردود الفلاحي بالريف الشرقي الإدارة الاستعمارية الإسبانية بالمناطق الشمالية الخاضعة لنفوذها إلى تبني تخطيط مشروعها تجاريها وفق استراتيجية تروم تحويل أغلب المدن الساحلية المتوسطة إلى مراكز تجارية لترويج السلع الإسبانية خصوصاً مدينتي الناظور المحادية لمليلية وتطوان المتاخمة لسبتة. من ناحية أخرى ارتفع عدد الشركات والمعدات التجارية بشكل ملفت منذ 1941 إلى غاية 1946 حيث وصلت إلى 115 شركة أو وحدة تجارية²⁶⁸.

وجهت الاستراتيجية الاقتصادية الإسبانية بالمنطقة الريفية، بوصلة البحث عن استثمارات خارج حدود التراب الإسباني للرفع من مردود الرواج التجاري الذي تأثر إبان الحرب العالمية الثانية. وقد ساعدت هذه الدينامية الاقتصادية إسبانيا على "جلب أرباح مهمة، لكن بالمقابل خلقت تركيبة اجتماعية جديدة بالمنطقة وساهمت في نشوء بورجوازية تجارية محلية عن طريق النشاط التجاري"²⁶⁹ هذا التفاعل الاقتصادي بين إسبانيا والمغرب، كان له

²⁶⁸أحدو محمد، الريف الشرقي بالمغرب وبنياته التقليدية (نموذج قلعية)، مرجع سابق، ص75

²⁶⁹أحدو محمد، الريف الشرقي بالمغرب وبنياته التقليدية (نموذج قلعية)، مرجع سابق، ص77

حتمًا تبعات على المستوى الثقافي. بحيث ساهم في نقل عادات غذائية وسلوكيات استهلاكية ترسخت مع مرور الزمن في المجتمع الريفي. إن الجاذبية الاقتصادية التي صقلتها إسبانيا في مدينة مليلية المحتلة عبر النشاط التهربى، ساعدت على ترسيخ نموذج ثقافي حضاري بالمنطقة. تظهر بشكل أساسي في ترسيخ مجموعة من العادات الغذائية والاستهلاكية لمواد غذائية من أصل إسباني أو أوروبي؛ سواء مواد مهربة أو مستوردة. كوجبة Bocadillos وهو اللمجة أو السندويش الذي تُقدمه محلات الوجبات السريعة بجميع أحياء الناظور. ويتكون بشكل أساسي من النقانق ومصبرات سمك التونة Pescamar وعلبة الصلصة SOLIS الإسبانية بالإضافة إلى الجبن الهولندي.

وتمثل هاته الجاذبية الاقتصادية إحدى المرتكزات الهامة تاريخيا للوجود الاستعماري الإسباني، عبر مليلية والذي حقق ويحقق عبر النشاط التجاري التهربى حضوراً محورياً في حياة ساكنة مدينة الناظور.

ت- مرحلة ما بعد الاستقلال:

مع استقلال المغرب، ستعرف العلاقات بين الناظور ومليلية منحى آخر، أمام انفتاح هذه الأخيرة على السوق العالمية. وتضاعفت الأنشطة التجارية بها، وأصبحت تتمتع الثغور المحتلة من طرف إسبانيا، بامتيازات مهمة في ميدان التجارة والمال، ذلك أن القوانين الجاري بها العمل، أصبحت تمنح حرية الاتجار في المواد البترولية وتخضع لانخفاض يصل إلى 50% مقارنة بسعره المتداول بالأراضي الإسبانية. وكذلك الشأن بالنسبة للمعاملات العقارية والأرباح الصناعية مما ساهم في ازدهار الأنشطة الاقتصادية الموجهة لأغراض التجارة، حيث بلغ عدد المتاجر الموجودة في مليلية 2630 حسب إحصاء 1980 وعدد العاملين بها 18760. وحسب المصادر الرسمية لبلدية مليلية، فإن هذا الرقم قد ارتفع ليصل إلى حوالي 3000 محل تجاري سنة 1987 ويشغل أزيد من 22,000 شخص²⁷⁰. وللتخلص من هذه الميزانية المرهقة، سواء تلك المخصصة للجيش المرابط بمليلية أو تلك المرتبطة بتوفير السيولة المالية الكافية لتمويل الأوراش الكبرى بإسبانيا، فقد لجأت إلى سياسة غزو

²⁷⁰ محمد المازوزي وجعفر بن عجيبة مصدر سابق ص 155

الناظور بالسلع عبر قنوات التهريب، بحيث تعتمد الحركة التجارية بشكل كلي على العنصر المغربي بصفته المستهلك الأول للسلع الإسبانية.

في السنوات الأخيرة، سوف تتطور العلاقات مع مليلية بشكل ستصبح هذه الأخيرة وجهة للعاطلين المغاربة في ظل بنية اقتصادية هشة بالناظور. إذ أصبحت مليلية المتنفس الوحيد لمعظم ساكنة الإقليم للحصول على لقمة العيش، من خلال ممارسة التهريب المعيشي. ونتيجة لهذه التجارة التي أحدثت تغييرات عميقة على مستوى البنية الاقتصادية للناظور، تم تفويض دعائم النظام الاقتصادي المحلي وإدخال عادات استهلاكية جديدة بالمنطقة. وهكذا أصبحت تجارة التهريب تشكل القاعدة الأساسية للاقتصاد المحلي وساهمت في ظهور مشاريع مرتبطة في عمقها بتوجهات السوق: الفنادق والمطاعم والمقاهي.

على هذا الأساس أصبح إقليم الناظور والأقاليم المجاورة تُشكل سوقاً واسعة لتوزيع المنتجات المصنعة المهربة من ثغر مليلية المحتلة. إلا أنه من الصعب جداً تقدير وتصور حجم العلاقات التجارية بين مليلية والناظور، نظراً لصعوبة الحصول على معلومات وأرقام رسمية باعتبار أن عملية تهريب السلع، تتم في إطار غير قانوني أي خارج عن المراقبة الجمركية.

كما أن مجال الأغذية، يشهد رواجاً تجارياً مهماً، حيث تنتشط عملية تهريب المواد الغذائية والمشروبات والخضر والفواكه والحلوى التي تحضى بإقبال واسع من طرف المستهلكين من داخل وخارج الناظور. وتتركز في الأسواق التجارية الكبرى: (سوق أولاد ميمون، المركب التجاري، مركب المغرب العربي) بالإضافة إلى محلات بيع المواد الغذائية المنتشرة على امتداد المدينة. ويعزى إقبال المستهلك على هذه المنتجات بكثرة إلى أسباب لها علاقة بجودة وأثمنة المنتجات حيث يتهافت المستهلكون على شتى البضائع والمواد المصنوعة في الدول الأوروبية والآسيوية والتي تتميز بجوده عالية وأثمنة منخفضة، مقارنة مع المنتج المحلي. حيث يظهر الفرق واضحاً بين البضائع الوطنية والمستوردة. مما يشجع المستهلك على اقتنائها. بالإضافة إلى أن الأرباح المحققة من طرف التجار في البضائع والمواد المغربية تظل قليلة بالمقابل مع ما تحققه التجارة بالسلع المهربة.

2-تطور البنية الاقتصادية بإقليم الناظور

عرفت هذه المرحلة تغيرات مهمة بالمقارنة مع المرحلة السابقة، واهتمت بالأساس إرساء البنيات الإدارية والاقتصادية حيث تم إحداث إقليم الناظور بظهير 1-59-351 في الثاني من دجنبر 1959. وباستثناء ظهور بعض الأحياء الشعبية الهامشية، فإن حركية التوسع العمراني بالناظور كانت ضعيفة إلى غاية نهاية الستينيات. وقد " هيمن القطاع الثالث على الاقتصاد الحضري للناظور. فبالإضافة إلى الوظائف الإدارية التي كانت تشغل 58% من الساكنة النشيطة، نجد قطاع التجارة والمواد المستقدمة من مليلية، يشغل على الأقل 25%"²⁷¹ حسب J.F.Troin .

وقد عرفت بداية الستينيات انطلاقة مجموعة من الأوراش الاقتصادية الكبرى في إطار المخطط الخماسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الأول (1964-1969) ونقصد بهذه الأوراش الكبرى مشروع ميناء بني انصار، معمل الصلب و الحديد، مشروع ربط المنطقة بالسكة الحديدية كما تم في سنة 1968 تأميم و مغربة شركة استغلال المناجم الريف (SEFERIF) التي عوضت شركتي: الشركة الإسبانية لمناجم الريف (CEMR) وشركة مناجم سوطولاسا (SAMS).

وبحلول السنوات الأولى من سبعينيات القرن الماضي ستعرف حركة التمدن وثيرة سريعة وبكثافة. حيث تم تدعيم المنطقة بمجموعة من البنيات الاقتصادية الكبرى التي ساهمت في تقوية مكانة الإقليم في الجهة. إلى جانب القطاع الثالث المتمثل في الإدارة والتجارة. وبذلك، عرف القطاع الصناعي انطلاقة خصوصاً بعد إحداث منشآت صناعية تهدف إلى تطوير التصنيع بالمنطقة. وهي وحدات صغرى ومتوسطة وتحويلية بالأساس، كمعمل السكر SUCRAFOR بزاو الذي أنشئ سنة 1971 إلى جانب "وحدات متعددة في قطاع البناء وخصوصاً صناعة الأجور وهذا راجع بالأساس إلى الطلب المتزايد على هذه

²⁷¹ Jean-François Troin « Le Nord-Est Du Maroc, mise au point régional, », RGM, N° 12, Rabat, P : 36

المادة في هذه الفترة. كما ظهرت وحدات أخرى في قطاع الصناعة الحديدية الميكانيكية.²⁷²

وفي سنة 1980 سيبدأ العمل بميناء بني أنصار وفي سنة 1984 سيتم بدء الإنتاج بمعمل الصلب والحديد SONASID وفي نفس الفترة سيتم إنشاء شركة خاصة لتربية الأسماك MAROSTE سنة 1985. بالإضافة إلى كل هذه المشاريع الاقتصادية الكبرى وتدفق أموال الهجرة والنمو الديموغرافي المتسارع، سيعيش النسيج الحضري بالناظور تغيراً ملحوظاً في أنماط جديدة لاستغلال المجال بانتشار سريع للبنىات في محيط المدينة.

أ-مرتكات جديدة لبنية الأنشطة الاقتصادية:

تميزت بنية الأنشطة التجارية بالناظور بدينامية قوية على المستوى الكمي والنوعي، أي على مستوى المضمون الاقتصادي وعلى مستوى التوزيع الجغرافي. وفي هذا الصدد، نريد أن نوضح مسألة منهجية متعلقة بالنشاط الاقتصادي المراد دراسته. ويتعلق الأمر بوصف وتحليل هذه الدينامية التجارية في المجال في ارتباطها بموضوع البحث، وهو مجال التغذية. وكذلك حصره على مستوى المجال الجغرافي، أي دراسة هذه الدينامية بمدينة الناظور دون الجماعات الأخرى المنتمية لإقليم الناظور. ولعل هذا الاختيار له ما يبرره، بحيث تتركز مختلف الأنشطة التجارية والخدمات في مجال التغذية في الناظور المدينة. وهذا لا يدل على أن المدينة متخصصة في هذا المجال، بقدر ما يدل على زيادة المبادرات الشخصية التي تحركها الاختيارات السليمة للمواقع التجارية التي تراهن على استهداف كثافة سكانية أكثر.

الجدول رقم 12: تطور عدد المحلات المهنية بإقليم الناظور بين سنتي 1971 و1995²⁷³

السنوات	1971		1982		1995		النمو بين 1971-1995
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	

²⁷² جميلة السعدي، مركب الحديد والصلب وميناء بني أنصار، مساهمتهم ودورهما في تطوير المنطقة الشرقية مجلة جغرافية المغرب، العدد 3، 1979، ص 71.

²⁷³ مريم سلطان، الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الجغرافيا، مرجع سابق، ص 90.

عدد المحلات المهنية	1697	93.4%	3408	92.1%	8695	44.1%	7.0%
عدد المحلات الفارغة	44	2.4%	159	4.3%	5366	27.2%	22.2%
كراج سيارة	75	4.1%	133	3.6%	5646	28.6%	19.7
المجموع	1816	100%	3700	100%	19707	100%	10.4

يتضح من خلال الجدول أن عدد المحلات عرف تطوراً كمياً مهماً. فبعد ما كان في حدود 1345 محلاً سنة 1971 انتقل إلى 2334 سنة 1982 ليستقر في 6574 سنة 1995. ويعتبر هذا التطور الملحوظ في المحلات المهنية مؤشراً مهم جداً، خاصة وأن نسبة الزيادة السنوية فاقت 10% ما بين 1982 و1995. إلا أن التدقيق في هذه الأرقام، يبين أن عدداً كبيراً من المحلات لم يتم استغلالها بشكل مباشر. بحيث نجد حوالي 5366 محلاً فارغاً بدون نشاط اقتصادي أي ما يمثل 27.2 من مجموع المحلات المهنية وتتركز المحلات الفارغة خاصة بمدينة الناظور. وهو ما يعني أن هذه الأخيرة (المحلات الفارغة) تتركز في المناطق التي تعرف كثافة قوية للأنشطة التجارية، مما يرشحها لاستقبال نسبة مهمة من الأنشطة في المستقبل ويوضح لنا الجدول أن مدينة الناظور لوحدها تسيطر على 75.6% من مجموع المحلات المهنية بإقليم الناظور. ولعل موقعها الجغرافي المتميز وتمركز الأسواق بها، يؤهلها لتلعب دوراً ريادياً على المستوى الاقتصادي وبكثافة عالية.

الجدول رقم 13 تطور عدد المحلات المهنية بجماعات إقليم الناظور بين سنتي 1971-1995 ²⁷⁴

الجماعات	1971		1982		1995		التطور		
							71-82	82-95	71-95
الناظور	1345	79.3%	2334	68.5%	6574	75.6%	74	182	389
أزغنغان	239	14.1%	516	15.1%	721	8.3%	116	40	202
بني انصار	24	1.4%	193	5.7%	428	4.9%	704	122	1683

²⁷⁴ مريم سلطان، الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الجغرافيا، مرجع سابق، ص 92

أركمان	13	0.8%	46	1.3%	216	2.5%	254	370	1562
فرخانة	22	1.3%	49	1.4%	198	2.3%	123	304	800
جعدار	13	0.8%	26	0.8%	176	2.0%	100	577	1254
تويمة	13	0.8%	34	1.0%	161	1.9%	162	374	1138
سلوان	18	1.1%	180	5.3%	178	2.0%	900	-1	889
احدادن	10	0.6%	30	0.9%	43	0.5%	200	43	330
المجموع	1697	100%	3408	100%	8695	100%	101	155	412

ب- التطور النوعي للأنشطة الاقتصادية والتجارية:

يعتبر مركز الناظور قلب المجموعة الحضرية التابعة لإقليم الناظور، بل هو النواة الأصلية لمدينة الناظور. بحيث عرفت استقرارا للعائلات الإسبانية أثناء فترة الاستعمار. وبعد استقلال المنطقة حلت محلها عائلات مغربية والتي قدر عددها ب 1430 أسرة سنة 1982²⁷⁵. ونقصد بالناظور المركز الأحياء المتواجدة بين شوارع أساسية وهي شارع يوسف بن تاشفين جنوبا والحسن بن مهدي شمالا. ويرتبط هذا المركز بالشارع الرئيسي شارع محمد الخامس. وتشكل هذه الأحياء بنية هندسية تخترقها مجموعة من الشوارع الرئيسية بالمدينة كشارع محمد الخامس وشارع الحسن الثاني بالإضافة إلى شارع الجيش الملكي الذي يربط بين سوق أولاد ميمون والمحطة الطرقية وكورنيش الناظور.

ويشكل هذا المركز قطبا جذابا والأكثر أهمية بالناظور الكبير. حيث تتركز فيه مختلف الأنشطة الاقتصادية الاجتماعية، الثقافية والترفيهية. إذ تتوفر على جميع التجهيزات العامة ومختلف البنيات الأساسية. بل إن هذا المركز يمثل قلب المجموعة الحضرية نتيجة تعدد وظائفه وأهميتها. حيث يحتكر مجموعة الأنشطة التجارية والخدماتية. وتستند الأهمية التجارية لهذا المركز، على المركب التجاري الذي يستقطب السلع القادمة من مليلية، بالإضافة إلى وجود قيسارية متخصصة في ألبسة تقليدية وبيع المجوهرات والحلي.

إذا كانت الناظور تعرف هيمنة واضحة على مستوى التوزيع الكمي فإنها تعرف كذلك نفس الهيمنة على مستوى التوزيع النوعي، بحيث تحتكر مجموع أنواع الأنشطة الاقتصادية

²⁷⁵ مريم سلطان، الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الجغرافيا، مرجع سابق، 197

المتعلقة بمجال التغذية وفروعها وهنا يمكن ادراج (بيع الخضر والفواكه، محلات الأكلات الخفيفة، المقاهي والمطاعم والفنادق في خانة الأنشطة الجديدة التي بدأت تظهر مع بداية السبعينات من القرن الماضي وهي أنشطة تجارية وخدماتها عرفت زيادة مهمة في إعدادها ودينامية قوية

ومن جهة أخرى، تتعزز مكانة مدينة الناظور داخل الاقليم، بفضل سيطرتها على معظم الأنشطة الاقتصادية والتجارية. وتعرف تركزاً واضحاً في الأسواق التجارية ومحيطها (سوق أولاد ميمون، سوق المركب التجاري، سوق الجوطية والحي المركزي والعري ن الشيخ بالإضافة إلى الشوارع الرئيسية: شارع محمد الخامس، يوسف بن تاشفين والجيش الملكي. وهي مناطق تعرف كثافة عالية من الأنشطة التجارية والخدماتية

III- التمدن بالريف الشرقي: تحولات المجال والقيم

سنحول في هذا المطلب رصد وتحليل تطور حركة التمدن بالناظور منذ بداية الاستقلال، بهدف إبراز أشكال التطور الحضري العمراني، الذي ساهم في ظهور عادات وممارسات غذائية جديدة.

1- لمحة تاريخية عن مراحل التمدن بإقليم الناظور

أ- المرحلة الاستعمارية

حافظت منطقة الريف إلى غاية الربع الأول من القرن ال 20 أي بعد القضاء على المقاومة الريفية على تنظيمه السوسيو مجالي التقليدي. حيث لم تعرف المنطقة نشوء أي مدينة إلى درجة أنه "داخل المنطقة الممتدة من وجدة إلى شفشاون ومن البحر الأبيض المتوسط حتى واد ورغة لم تكن هناك إلى حدود دخول الاستعمار الاسباني ولو نواة حضرية واحدة"²⁷⁶. وبعد القضاء على المقاومة الريفية التي تزعمها الشريف محمد امزيان ومحمد بن عبد الكريم الخطابي واستسلام هذا الأخير للقوات الفرنسية 1926 ودخول القوى الاستعمارية الاسبانية الأراضي الريفية من أجل ضبط، بل والتحكم في المسالك الرئيسية، بدأت تظهر بعض التجمعات الحضرية بالناظور، مباشرة بعد تشييد الثكنات

²⁷⁶ A, Sanchez Perez, Watis historicos sobre ciudad rifenas, curso de interventores, 1951-1952, P: 31-32

العسكرية كالتي كانت تسمح بمراقبة مرور معدن الحديد القادم من جبل "ايكسان" والمُتجه صوب ميناء مليلية. وبالفعل، فقد اتخذت السلطات الاسبانية " قرار انشاء تجمع سكاني حقيقي في الناظور يرجع إلى أواسط العشرينيات، وقد قامت السلطات الإدارية الإسبانية بتخطيطه حسب نموذج المدن المحصنة وتصميم متوازي ذي أبعاد متجانسة.²⁷⁷ وهكذا فقد استغل الإسبان الموقع المنبسط المطل على البحر، لإنشاء مدينة الناظور على رقعة تصل إلى 30 هكتار. ومع بداية الثلاثينات بدأ التوسع العمراني يزداد داخل المنطقة انطلاقاً من الناظور المركز في اتجاه مجموعة من المراكز الصغرى.

تاريخياً، ارتبطت ظاهرة التحضر في الريف الشرقي، بدخول الاستعمار الإسباني للمنطقة. لكن هيمنت عليها الحياة القروية كما ارتكزت على تنظيم قبلي. وقد كانت القبيلة ومؤسسة (اجماعث) و(الدشار) أهم بنيات هذا التنظيم السوسيو-مجالى، الذي استمر لعدة عقود من الزمن. وقد وصف أحد الدارسين الإسبان هذا التنظيم الاجتماعي والمجالى بقوله " يعتمد على الزراعة وتربية الماشية في اقتصاده ويتميز بكثافة سكانية مرتفعة نسبياً لكن موزعة على مساكن متباعدة يصعب مراقبتها سياسياً".²⁷⁸

إن الموقع الجغرافي للريف البعيد عن المركز الإداري والسياسي والاقتصادي للمغرب، جعل بنياته الاجتماعية والمجالية تحافظ على طابعه التقليدي. ومن ثم، بقي نمط العيش البدوي ثابتاً على الأقل إلى غاية الستينات من القرن الماضي. إلا أنه مع الحصول على الاستقلال السياسي للمغرب وإدماج المنطقة لأول مرة في الدولة المركزية، بدأت مجموعة من التغييرات تطفح على سطح الحياة الاجتماعية بالريف، خاصة مسألة التنظيم المجالى والتطور الحضري، ابتداء من ستينيات القرن الماضي.

ب- التحولات السوسيو-ديموغرافية ما بعد الاستقلال.

²⁷⁷ M. Berriane et Hopfinger, Nador (Maroc), petite ville parmi les grandes, URBAMA, Collection Villes de Monde arabe, Volume N° 4, Tours, P : 15.

²⁷⁸ Antonio Bravo Nieto, L'architecture coloniale espagnole du XXème siècle au Maroc, Édition La porte, N° 5, 1993, P : 167

كان للحركية الاقتصادية التي عرفتھا منطقة الريف الشرقي (خاصة إقليم الناظور) التي ذكرناها سابقا تأثيراً كبيراً على البنية الاجتماعية والديموغرافية في البوادي والمراكز الحضرية. كما عرفت مدينة الناظور نمواً ديموغرافياً مهماً وتوسعاً عمرانياً متسارعاً لاستيعاب تدفق النازحين نحوھا. وفي هذا الإطار، نسجل التأثير الإيجابي للهجرة القروية على قطاع البناء والتجارة. بحيث استفاد هذا القطاع من الطلب المتزايد للبناء والتوسع العمراني، حيث انتقلت المراكز القروية إلى مصاف المدن الصغرى كما هو الحال بازغنغان، سلوان، العروي، بني أنصار. وعرفت هذه المراكز الحضرية ارتفاعاً واضحاً في عدد سكانها ونشوء مراكز إدارية ومرافق وظيفية بها ويمكن تفسير هذا التوسع الحضري داخل إقليم الناظور بما أسماه الباحث عبد القادر القيطوني " أزمة البوادي في الشمال الشرقي التي قوت من الهجرة القروية بالسير الحضري وهيكله السكن " 279

ت-النمو الديمغرافي مرحلة الاستقلال:

إذا تتبعنا النمو الديمغرافي لمنطقة الريف الشرقي، فإننا نلاحظ تطوراً ملحوظاً لعدد الساكنة. وذلك انطلاقاً من الأرقام التي تقدمها لنا الإحصائيات العامة للسكان والسكنى والتي تعبر عن التطورات التي عرفتھا ساكنة إقليم الناظور، خاصة في مجاله الحضري. وفيما يلي جدول توضيحي لتوزيع عدد السكان والنسب المئوية بين المجالين القروي والحضري من 1960 إلى 2014²⁸⁰

الجدول رقم 14: توزيع الساكنة وتطورھا من خلال الإحصائيات العامة الستة إقليم الناظور

المجال	1960	1971	1982	1994	2004	2014
عدد السكان	347566	479945	593255	246113	726520	565426
النسبة السنوية	4.5	2.6	1.34	1.83	2.24	1.1
الحضري	19367	43604	115367	115062	369102	392623

²⁷⁹ Abdelkader Guitouni, Le Nord-Est marocain, réalités et particularités d'une région excentrée, BMFI, Oujda, 1995, P : 234.

²⁸⁰ المندوبية السامية للتخطيط/ الإحصائيات العامة للسكان والسكنى لـ 1960-1971-1982-1994-2004-2014

69.4	59	22	19.3	9	10	معدل السنوي %
172803	359532	436990	477.888	432.457	328199	القروي
30.5	41	78	80	91	90	معدل السنوي %

واعتماداً على الجدول أعلاه، الذي يبين تطور عدد ساكنة إقليم الناظور بدءاً من الإحصاء الرسمي الأول في ظل الاستقلال لسنة 1960 إلى غاية آخر إحصاء عام للسكنى والسكان سنة 2014. حيث بلغ مجموع ساكنة الإقليم 565426 نسمة ويمثل هذا العدد نسبة 24 % من مجموع ساكنة الجهة الشرقية وتوزع على الشكل التالي: 392623 نسمة تعيش في المجال الحضري وهو ما يمثل 69 % من نسبة التمدن و 172803 نسمة داخل المجال القروي بنسبة تقدر بـ 31%.

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه تطور الساكنة الحضرية وتقلص مثيلتها القروية، وهي ساكنة في تصاعد مستمر. حيث تعرف المنطقة نزوعاً حاداً نحو التركز في المجالات الحضرية. إذ عرفت الساكنة الحضرية نمواً متزايداً وتطوراً ملموساً منذ الستينيات، حيث لم تكن تتجاوز نسبة 6% من مجموع ساكنة الإقليم لتصل إلى 69% حسب إحصاء 2014. بالمقابل عرفت الساكنة القروية تراجعاً قوياً لصالح التركز في المجالات الحضرية. فإذا كانت الساكنة القروية والحياة القروية هي المهيمنة على التوزيع المجالي والسكاني في الريف الشرقي بداية الستينيات بنسبة مئوية تصل إلى 94% فإن الأمر سيختلف ابتداءً من بداية السبعينيات من القرن الماضي. فالنمو الديمغرافي للجماعات الترابية لإقليم الناظور تقلص بشكل حاد.

2- عوامل تحول الساكنة القروية

يمكن تفسير تراجع ساكنة العالم القروي بالريف الشرقي، بمجموعة من العوامل التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه العملية.

أ- العامل الطبيعي:

إن تراجع عدد سكان القرى وتقلص الحياة القروية لصالح المدينة، تم عبر الهجرة القروية التي تعتبر أهم قنوات تدفق السكان القرويين نحو المدينة. إلا أن هذه الهجرة في هذا

السياق، تعتبر نتيجة طبيعية لمجموعة من العوامل المؤثرة في إخلاء القرية من سكانها. وتقف الطبيعة عاملاً أساسياً في تراجع الحياة القروية، حيث يرجع سبب ذلك إلى ما تمتاز به منطقة الريف الشرقي من معطيات بيئية طبيعية وعرة وتساقطات مطرية قليلة. إذ يغلب عليها الطابع الجبلي وتربته الفقيرة ومردوديتها الضعيفة، بالإضافة لتوالي مواسم الجفاف، الذي أضر بشكل كبير بالموارد المائية.

ب - انتشار ظاهرة التحضر:

لم يكن يتوفر الريف الشرقي إلا على مدينة واحدة بداية الستينيات وهي مدينة الناظور التي وصل تعداد لكن سينتقل عدد الحواضر إلى سبعة: وهي الناظور، بني أنصار، زاو، ازغنان، العروي، رأس الماء، سلوان. هذه المراكز الحضرية الجديدة أصبحت مناطق جذب واستقطاب للسكان القروية المحيطة بها، خاصة وأنها تتواجد وسط محيط قروي بامتياز. كما أن هذه الهجرة تميزت بخاصية تتمثل في النزوح نحو المركز الحضري الأقرب من مكان الانطلاق وذلك من أجل تسهيل عملية التواصل بين المهاجر القروي وذويه ممن بقي بالقرية. بحيث نجد مثلاً أن ساكنة جماعة بني سيدال لوطا وبني سيدال الجبل تتجه نحو المركز الحضري ازغنان أو لمدينة الناظور كأبعد حد. أما ساكنة أولاد ستوت وقرية أركمان فهي تتجه إلى زاو، وبالنسبة لسكانة فرخانة وبني شيكر تستقر في بني أنصار.

إن هذا الانفجار الحضري الذي عرفته المنطقة خاصة خلال فترة السبعينات والثمانينات يفسر بعوامل ديمغرافية (النمو الطبيعي والهجرة القروية) وكذلك بعوامل جغرافية تتمثل في عملية تحضر بعض المجالات القروية أو اجتياحها من قبل المجالات الحضرية²⁸¹

الجدول رقم 15: تطور الساكنة الحضرية فيما بين 1960 و2014²⁸²

السكانة الحضرية						المراكز الحضرية
2014	2004	1994	1982	1971	1960	

²⁸¹ Abdelkader Guitouni, Le Nord Est Marocains réalités et particularités, P: 118

²⁸² الإحصائيات العامة للسكان والسكنى: 1960-1971-1982-1994-2004-2014

الناظور	1 583	32 490	62 040	112 540	126.207	161.726
أز غنغان	1 784	7 646	10 613	19 012	20.181	34.025
بني انصار	3 861	5 388	7 533	23 897	31.800	56.582
العروي	3 630	6 773	10 836	27 049	36.021	47.599
سلوان	****	***	***	***	24.877	21.570
زاو	1 569	3468	14 559	25 920	29.851	35.806
رأس الماء	***	***	***	***	9.888	7580
المجموع	12.427	58.765	105.581	208.418	278.825	364.888

ت- التهيئة العمرانية بالناظور

عرفت الدينامية المجالية بالناظور نمواً مضطرباً منذ الستينات من القرن الماضي واتسمت هذه الدينامية بتصاعد المبادرة الحرة في وضع التجزئات واختيار الأشكال الهندسية المعمارية وتوطين المنجزات العمرانية. على اعتبار أن " هذه المبادرة لا تخضع للضوابط الإدارية والتنظيمية إلا بشكل محدود ولا يتم اللجوء إلى المصالح الإدارية إلا من أجل إضفاء المشروعية لتنظيم المجال الذي تفرزه ولحماية المصالح المرتبطة به. "283 وفي هذا الإطار فإن معظم الدراسات التي تناولت الدينامية المجالية للناظور، تشير إلى مصطلح (السكن السري)، (غير القانوني) أو (غير المرخص). وقد أكدت بعض الدراسات على " أن نسبة السكن غير القانوني تتراوح ما بين 23% و 65% في الناظور وتفق ذلك في مراكز أز غنغان، بني انصار والعروي. حيث انتشر وفق نماذج لا تخضع للقوانين المعمارية، قام بتشبيدها الخواص بطريقة تلقائية".284 ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن النسق العمراني بالناظور يعرف تجاوزات واختلالات قانونية. ويمكن تفسير هذا الإشكال من خلال عدة مستويات

-المستوى القانوني:

يبقى هذا النوع من السكن مقبولاً في كل المناطق الشمالية التي كانت تحت السيطرة الإسبانية. بحيث أن الظهير الشريف 30 شتنبر 1953 المتعلق بالتقسيم والتجزئة لم يطبق في

²⁸³ مريم سلطان، الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-1999، ص35
²⁸⁴ مصطفى عشير، قطاع السكنى بالريف، المنجزات والآفاق، جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة، الحسيمة، الدورة الرابعة، 1991، ص12.

هذه المناطق إلا في سنة 1956 أي بعد قرابة ثلاث سنوات، وبالتالي فإن كل البنايات التي شيدت قبل تطبيق هذا الظهير تعتبر قانونية. إلا أن بعد صدور ودخول هذا المرسوم حيز التطبيق، لم يعمل على رسم الخريطة الحضرية للناظر، إذ سرعان ما بدأت تتوسع في جميع الاتجاهات وبأشكال هندسية مختلفة.

- المستوى الاجتماعي:

عرفت منطقة الناظر مع بداية ستينات القرن العشرين تحولات على مستوى الخريطة الاجتماعية، بفعل تدفق الهجرة بشكل كثيف إلى مدينة الناظر القادمة من القرى المجاورة. وقد لعبت تجارة التهريب بين مليلية والناظر دوراً حاسماً في جذب أمواج بشرية للاستيطان بالمجال الحضري. وهكذا برزت تجمعات سكنية وتوسعت في جميع الاتجاهات وبشكل عشوائي. وهي دينامية عمرانية تحكمت فيها المبادرة الخاصة، في غياب إطار رسمي يطبق إجبارياً لوضع حد للفوضى والسرية التي اشتغلت كآلية لإنتاج السكن، وبالتالي استقبال سكان آخرين. وأمام استفحال المشاكل الحضرية عملت الجهات المختصة على إصدار مخططات حضرية²⁸⁵ لحل هذه المشاكل الحضرية. لكن بالمقابل، فتح الباب على مصراعيه لممارسة سلوكيات تضرب عرض الحائط هذا القانون وتخل بضوابط التعمير والبناء مما أفرز أزمة تعميرية هيكلية وتشكيل مورفولوجية مشوهة.

IV - تحولات الفضاء الاجتماعي الغذائي بالناظر-

ينتمي مفهوم الفضاء الاجتماعي الغذائي للنسق الفكري للسوسيولوجي Jean Pierre Poulain المتخصص في سوسيولوجيا التغذية. وقد اخذ هذا المفهوم "الفضاء الاجتماعي"

²⁸⁵ تم إصدار المخطط الأول سنة 1976 إلا أنه لم يشمل سوى الناظر ولم يراعي المدارات المجاورة، حيث كانت تنمو في سرية تامة. بعد ثمانية سنوات سيعقب هذا المخطط، مخطط جديد 1985-2005. هذا الأخير الذي تم إعداده من أجل أن يكون بديلاً للمخططات السابقة لحل المشاكل الحضرية وتهيئة المجموعة الحضرية للناظر الكبرى، بالرغم من وجود قانون رقم 25-90 المتعلق بالتجزئات العقارية والمجموعات السكنية فإنه لم يستطع التحكم في مراقبة البناء الذي ينص على ضرورة إنجاز أشغال التجهيز العقارية قبل تسليم رخصة البناء. لأنه في نفس الوقت أعطى هذا القانون لرؤساء المجالس المحلية إمكانية الترخيص ومنح لأرباب التجزئة رخصة البناء قبل الانتهاء من أشغال التجهيز. ولعل هذا ما يفسر قصور هذا القانون حيث يتم التحايل عليه لإنتاج تجمعات حضرية تنمو وتتطور في جميع الاتجاهات وبالتالي سيطرة المضاربين العقاريين على المجال. نفس الشيء ينسحب على القانون رقم 90-12 المتعلق بالتعمير الذي نص على تحديد اختيارات التهيئة التي يتطلبها تحقيق تنمية متناسقة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي للرقعة الأرضية المعنية

عن الإثنولوجي الفرنسي Georges Condominas الذي استعمله كرد فعل على استخدام مصطلح "الثقافة" - ذو التعريف المتذبذب - وللخروج من غموض موقف الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية، اقترح condominas مفهوم "الفضاء الاجتماعي". وقد أكد في كتابه على أن "اللجوء إلى" الفضاء الاجتماعي "كان نقطة انطلاق وهاجس كتابة مجموعة من الحقائق التي لا يمكن لمفهوم الثقافة أن يغطيها"²⁸⁶. إن البحوث والدراسات الانثروبولوجية الثقافية دفعت Condominas للتفكير لتجاوز مفهوم الثقافة لأنه يبقى في نظره عاجزاً عن استيعاب كل الديناميات الاجتماعية. ويؤكد بالمقابل أن المفهوم الأكثر ملائمة هو الفضاء الاجتماعي، الذي يحيل على أداة تجريبية لدراسة أنظمة مختلفة للعلاقات الداخلية والخارجية التي تحرك وتميز كل مجتمع. الفضاء الاجتماعي هو مُحدد من خلال نظام أو مجموعة من الشبكات من العلاقات المميزة للمجموعات الاجتماعية المدروسة.²⁸⁷

ويتخذ مفهوم الفضاء الاجتماعي الغذائي عند J.P.Poulain معنى آخر، حيث يعتبر مجالاً لتداخل العنصر البيولوجي بالعنصر الثقافي. فهو يعبر عن حرية الفرد المتوقفة على الحتمية البيولوجية من جهة وعلى القواعد الثقافية التي يجدها الفرد في المحيط المعيشي والتي يلزم بإتباعها من جهة أخرى .

1- تحولات البنية العقارية بالناظور وإنتاج الممارسات الغذائية بالفضاء العام

أدى الاستثمار القوي لرساميل مهمة في قطاع البناء، إلى إحداث تغيير ملموس في البنية العقارية بالناظور. كما وفرت من جهة أخرى مشاريع التهيئة العمرانية والمجالية التي شهدتها المدينة، مجالاً مواتياً للتوسع العمراني وبالتالي تعددت البنايات العمودية ذات الطوابق المتعددة. مما أدى من جهة إلى القضاء تدريجياً على السكن الريفي التقليدي، ومن جهة أخرى، إلى إنتاج أشكال عقارية جديدة تستعرض فيها سلوكيات وممارسات غذائية جديدة.

²⁸⁶ Georges Condominas, L'espace social. À propos de l'Asie du Sud-Est, Paris, Flammarion, 1980.P :77

²⁸⁷ Brocheux Pierre. Georges Condominas, L'espace social. À propos de l'Asie du Sud-Est. In : Annales. Economies, sociétés, civilisations. 38^e année, N. 2, 1983. pp. 305-306

أ-السكن الريفي التقليدي : مورفولوجية الأمن والاكتفاء الغذائي

رغم أن نوعه يختلف باختلاف المناطق ونمط معيشة الأسر الممتدة، فإن السكن التقليدي غالبا ما نجده واسعا لدى سكان الريف الشرقي. ويمكن أن تمثله دار واحدة أو مجموعة من الديار. هكذا يكون لكل أسرة نوية دارها المندمجة في مركب من الديار الأخرى². الأمر الذي يزيد من حميمية واستقلالية الخلايا النووية من جهة، ويضمن قربا كبيرا من السلطة الأبوية. كما أن هذه البنايات تجمع كل الرجال المتزوجين وغير المتزوجين المنتسبين إلى جد واحد. فبقدر ما يوجد من السكنيات، توجد أسر ممتدة، يشكل مجموعها سكان القرية. قد تكون الدار مربعة الشكل أو مستطيلة. غير أن الغرف مستطيلة الشكل دائما وذات مساحات متفاوتة. يتراوح طول الغرف بين ستة أمتار وإثنى عشر مترا وعرضها بين مترين ونصف وأربعة أمتار ونصف وعلوها بين مترين ونصف وثلاثة أمتار ونصف²⁸⁸ وتشكل الحجارة و الطين و الخشب المواد الأولية للبناء.

كان السكان الأمازيغيون الذين يتواجدون في منطقة الريف يفضلون بناء منازلهم في البوادي والقرى، وبالأخص في القمم والصفوح وأعالي الجبال، أو يشيدونها قرب العيون ومجاري الأنهار والوديان. وفي هذا، يقول الباحث المغربي علال زروالي: "إن عدم الاستقرار السياسي التام وانعدام الأمن الذي كان يرافقه، كانا يدفعان السكان إلى اختيار المواضع الآمنة المرتفعة. وهذا ما تكشف عنه بعض بقايا المساكن المهجورة التي لا تزال أنقاضها جاثمة بالأقسام العليا من الجبال والتلال، والدليل على ذلك أيضا وجود حظائر من نباتات الصبار والصبارة، وبوسطها أو على جانبها أكوام من الأحجار الشاهدة. وهذه البقايا تؤكد أن السكن الأول كان جبليا معلقا"²⁸⁹

وغالبا، ما كان الإنسان الريفي يبني مسكنه في الجبال والهضاب المتدرجة والتلال الممتدة المتعالية، وكان لا يبني، بأي حال من الأحوال، في الأراضي الصالحة للزراعة، أو في السهول، أو الأراضي القريبة من مجاري العيون والأنهار والوديان، بل يتركها للحرث والزرع المعيشي لتأمين حياته اقتصاديا طوال سنة كاملة، وأيضا من أجل تحقيق الاكتفاء

²⁸⁸ ملاحظات ميدانية أجريت في دوار اموساتن ن اجاوان، التابع لجماعة بني سيدال، إقليم الناظور يومي 1 و 2 شتنبر 2020

²⁸⁹ علال زروالي (المسكن الريفي القديم بالريف الشرقي)، مجلة حفريات مغربية، 26 العدد 3، فبراير 2004م، ص: 59

الذاتي، أو لتسويق جزء من منتوجه الفلاحي الوافر. ويعني هذا أنه كان يختار الأماكن الصعبة والوعرة وغير الصالحة للزراعة من أجل بناء مسكنه الذي يأويه هو وأسرته، فيترك الرقع الخصبة لنشاطه الفلاحي.

وفي هذا يقول البكري: "والريفي يستغل أرضه إلى أقصى الممكن، كما يفعل بأدوات إنتاجه. ولكي يقتصد في أرضه، فإنه يستغل الهضاب عبر أسلوب الدرجة"²⁹⁰. فتكون الهضبة عبارة عن قطع أرضية صغيرة متدرجة من الأعلى إلى الأسفل ويحرثها. أما الهضاب التي لا يمكن أن تصلح للحرث، فتغرس بأشجار الزيتون أو التين والكروم أو اللوز، وتبقى القمم غابات وأدغال مخيفة، ولكنها صالحة للحطب والقنص أحياناً. وفي هذا الشأن، يقول الباحث أقوضاض "إن الساكن الريفي لا يبني فيها (الهضاب) بيته، بل يلجأ إلى الهضاب التي لا يمكن استغلالها في الحرث، أو إلى السفح الذي تكثر فيه الصخور والأحجار، فيبني منزله، ويستغل فجوات التربة بين الصخور؛ ليحولها إلى بساتين صغيرة مسيجة بجدران من الحجارة وشجر الصبار الشائك. لذلك، لا نجد في الريف قرى واسعة، وإنما تجمعات سكانية صغيرة." ²⁹¹ ومن هنا، فالسكن الأمازيغي بمنطقة الريف هو سكن جبلي بامتياز، يخصص للاحتماء والمقاومة والاختباء وبناء الأسرة، بينما الرقعة الخصبة من سفوح وسهول وبساتين يتخذها الريفي أمكنة للفلاحة والزراعة.

ب-السكن الريفي التقليدي: بنية الاكتفاء الغذائي

يؤدي المنزل الريفي التقليدي العديد من الوظائف الرئيسية، خصوصاً تلك المتعلقة بالإنتاج والاستهلاك والاستغلال وتدبير الموارد. فالمنزل القروي بالريف جزء لا يتجزأ من الاستغلالية الفلاحية. بحيث شكلت أركان السكن الريفي وحدة إنتاجية واستغلالية تجمع بين الإنسان والحيوان والموارد الطبيعية. وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال التطرق إلى الوظائف التي كان تُقدمها مكونات المنزل الريفي التقليدي.

²⁹⁰أبو عبيد البكري: كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق أدريان، مينزونوف، باريس، الطبعة الأولى سنة 1965، ص: 89-.

²⁹¹محمد أقضاض: الاحتراق والتوهج، الريف بين 1860 و1920، مطبعة 29 الجسور، وجدة، الطبعة الأولى سنة 2001، ص 136-137.

لقد عُرفت الأسر الريفية بتربية المواشي خاصة الغنم والبقر والماعز بشتى أنواعها مما كان يُوفر مادة اللحوم الحمراء على طول السنة بالإضافة إلى توفير الحليب والألبان والأجبان وما يصنع بها من وجبات غذائية باردة ودافئة حسب فصول السنة.

وكان المسكن الريفي المربع، في عمومها، مفتوحاً هندسياً على فناء يسمى (رمراح)، الذي كان يؤدي عدة أدوار مثل: التهوية، وحماية الماشية، وفناء للعمل والتجمع العائلي...، أو ينفتح على غرسة، أو بستان صغير يسمى ب (ثاحويشت) وتنفتح أبواب غرف المسكن الأمازيغي ونوافذها الضيقة، إلى حد ما، على الفناء باعتباره مصدراً للتهوية النظيفة، وتوفير الأكسجين الضروري لحياة الإنسان، وتنقية الغرف، وتطهيرها بأشعة الشمس.

وقد يوجد على أطراف الفناء المفتوح عتبات للجلوس، أو شريط من جرار الماء المصطفة (أقبوش/إقباش)، أو أدوات معلقة على الجدران مثل: السلال، وأكوام متسلسلة من البصل أو التين المعلق. علاوة على الأكياس، ومصنوعات القش، وخاصة ما يسمى عند الريفيين (أندو). بالإضافة إلى الجرار المعلقة المخصصة للزبدة، والعسل، والزيت.

وهناك غرفة أخرى توجد بها طاحونة أو رحي يدوية (ثاسيرث) توظيفها النساء لطحن الحبوب. ويمكن الحديث عن مطبخ العائلة لتحضير الطعام والمأكولات والمشروبات، وغرفة (أسقيف) لاجتماع أفراد الأسرة لتبادل أطراف الحديث، ومناقشة المواضيع التي تهم العائلة، سواء من قريب أو من بعيد. كما يخصص للماشية والدواجن والدواب والحيوانات الأليفة مكان خاص يسمى بالزربية أو (أنغار)، أو يستعمل هذا الفضاء لتجميع الأدوات والأواني، وقد يكون هذا المكان هو الفناء المفتوح نفسه.

وإذا تأملنا السكن الأمازيغي من خلال رؤية سفلية تحتية، يمكن ان نذ الحديث عن (ثاسرافت)، وهي بمثابة مخزن يستعمل لحفظ الحبوب وادخارها لمدة طويلة، وقد يصل عرض هذا المخزن إلى مترين بينما يصل عمقه إلى ثلاثة أمتار ويغطي عادة بباب خشبية. بينما هناك من يستعمل مطمورات خاصة للمياه العادمة الناجمة عن قضاء حاجاتهم. في حين، نجد البعض يستغل الآبار لتخزين المياه أو يحفر (جوبا) كبيراً لادخاره. ويقول محمد أقضاض واصفاً المسكن الأمازيغي من الداخل: " ويتحدد غرف المنزل بعدد المتزوجين من

أبناء الأسرة، وتكون إحدى أو بعض هذه الغرف مركزية لها مدخل هو في حد ذاته غرفة يعرف بـ "أسقيف" تفضي إلى الغرفة الرئيسية، والغرفة /المدخل خاصة بالأشغال اليومية الداخلية بما في ذلك الجلوس لتبادل الحديث وتناول الطعام" ²⁹².

يوجد خارج المسكن الأمازيغي الريفي مجموعة من المرافق المساعدة لما هو في الداخل كوجود مواقع متنوعة مكملية للمطبخ مثل (ثاينورث) أو (ثافقونت)، وهي بمثابة أفران تقليدية لطهي الخبز في شكل حفرة مقعرة مبنية بالطوب والطين، في قاعها حجارة صلبة وصلدة صالحة لكي يوضع فوقها العجين. ويوضع الحطب في الموقد للطهي، وقد يغلق الموقد من أجل توفير الحرارة المناسبة للطهي. وقد تستعمل لوحة خشبية ممدودة من أجل إخراج الخبز (تاضراحت) بعد عملية الطهي (مطرح خشبي). وغالبا، ما تكون هذه المواقع مثبتة في الأرض، أو تبنى بالحجارة والطوب والطين. وقد تكون صغيرة الحجم بفوهة واحدة، أو قد تكون كبيرة لها موقد سفلي ومطرح علوي وفوهات متعددة واحدة لإدخال الحطب وأخرى ينفث منها الدخان. وقد يتوفر المسكن على معصرة تقليدية لاستخراج زيت الزيتون. فضلا عن مكان لجمع التبن يسمى بـ (أثمون) يتم رصه على شكل هرم أو مستطيل، ومكان لجمع القمح للدرس يسمى بـ (أندرا). وتوجد كذلك مسارب المياه التي تمتد من داخل المنزل إلى خارجه؛ حيث توجد حفرة كبيرة لتجميع هذه المياه، أو لتصرف صوب أمكنة سهبية ضائعة أو أمكنة صحراوية جذباء، أو قد تسيل هذه المياه نحو البحر، عبر العيون، والأنهار، والوديان. ويوجد خارج المسكن الأمازيغي أيضا مكان لتجميع الأسمدة وروث البهائم لتوظيفه في عملية تخصيب التربة الزراعية، وتخصيب أحواض الخضر، والفواكه، والتوابل وهو ما يطلق عليه بالريفية (ثازوباشت). وتشمل هذه المزبلة فضلات الطعام بكل أنواعها، وتجمع كذلك مجمل بقايا ما تجتره الحيوانات من طعام لدى الأبقار والماشية، وما تطرحه الدواب كالحمير، والبغال، والخيول، والأحصنة. وكلما كانت المزبلة (ثازوباشت) كبيرة جدا، إلا ودل ذلك على غنى صاحبها جاها، ونعيما، وسلطة، وامتيازاً. وبالتالي، عبرت عن ثراء الأسرة ماديا واجتماعيا. وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي محمد أقضاض: "أما خارج المنزل، فلا بد أن تظهر القمامة" مزبلة" تجمع فيها النفايات

²⁹² محمد أقضاض: الاحتراق والتوهج، الريف بين 1860 و1920، ص: 149

خاصة روث القطيع الذي يستعمل حين يجف لإنضاج الخبز في " فرن " من الطين يبنى في الغالب خارج المنزل في الجهة المقابلة للمزبلة. تستعمل المزبلة في تسميد الأرض، وكل ما كانت المزبلة كبيرة كلما دلت على مستوى غنى الأسرة، لذلك كان الخاطب أو الخاطبة إذا أراد الزواج من عائلة ما أن ينظر إلى حجم المزبلة. وقرب المنزل يوجد دائماً بستان مسيج بالحجارة ثم بأشجار الصبار الكثيفة " ²⁹³. وهكذا، يتبين لنا أن الإنسان الأمازيغي الريفي الذي كان يسكن في البوادي والقرى والمناطق الجبلية، يستغل فضاء مسكنه داخليا وخارجيا استغلالاً جيداً من أجل بناء أسرته خير بناء، وتأمين حياته ومستقبله خير تأمين. ولا يمكن أن يتحقق هذا الوضع الذي يحيل على حرية التصرف والتدبير في الملك والحيازة، في الحقيقة الواقعية والقانونية، لو كان يسكن هذا الإنسان في المدن والحوضر.

ت-البنية العقارية الغذائية: من إنتاج الغذاء إلى استهلاكه

بفعل عامل الهجرة القروية؛ عمدت الأسر الريفية بداية من سبعينات القرن الماضي إلى النزوح والاستقرار بالمنازل الجديدة على مقربة من الطرق الرئيسية ومقرات الأسواق القروية والحضرية ومزاولة أنشطة اقتصادية جديدة بدل الأنشطة الزراعية والفلاحية المعتادة. وهكذا أصبحنا نلاحظ انسلاخاً تدريجياً للسكن الريفي عن وظائفه التقليدية لتحل محلها وظائف جديدة تستجيب للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها مدينة الناظور.

فبعد أن كان الأمن وتوفر عناصر الماء والزراعة والرعي معايير أساسية في اختيار مواقع السكن تدخلت عناصر أخرى في اختيار مواقع جديدة لتشييد المنازل. حيث أصبح اختيار هذه المواقع خاضعاً لمقاييس جديدة: كالقرب من الشبكة الطرقية والمواصلات والأماكن التي تتمركز فيها تجهيزات سوسيو-اقتصادية للاستفادة من خدماتها. ممّا أدى إلى ظهور مراكز شبه حضرية خففت من حدة الضغط الممارس على مدينة الناظور كقطب حضاري كبير. وهكذا أصبح السكن " ينزلق من المرتفعات الجبلية ويتمركز في الأحواض وطرق المواصلات فيمكن التمييز بين عدة نماذج من تشتت السكن حيث كان السكن يتوسط المجال وتشكل العالية مجالاً لتربية الماشية والسافلة مجالاً لزراعة الحبوب بينما تخصصت

²⁹³ محمد أفضاض: نفس المرجع، ص: 150.

المنطقة الوسطى للسكن ولغراسة الأشجار المثمرة".²⁹⁴ وهنا يمكننا طرح سؤال جوهري حول مدى تأثير التحولات المجالية وتسارع وثيرة التمدن بمدينة الناظور والمراكز الحضرية المجاورة لها على العادات الغذائية بالناظور؟

لم تعد المنازل الجديدة تؤدي وظيفة السكن فقط بل تهيأ من أجل ممارسة أنشطة تجارية متنوعة خاصة المحلات المقدمة للوجبات السريعة أو المقاهي أو المطاعم وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى بعض الأحياء التي أُعِدَّت بكاملها (حي المطار، شارع الجيش الملكي...) لتقديم هذا النوع من الخدمات .

للإجابة على هذا السؤال كان من اللازم اتباع منهجية بحثية أخرى بهدف إبراز تحول البنية العقارية الجديدة بالناظور وتأثيرها في العادات الغذائية بمنطقة البحث. وذلك من خلال البحث عن تطور المحلات المقدمة للغذاء بمدينة الناظور. حيث ظهرت أشكال جديدة للاستغلال الفضاء العام وأصبح عنصر الغذاء حاضراً فيها بقوة. أدى البناء العمودي بمدينة الناظور (بدل البناء الأفقي الذي كان يعرفه المنزل الريفي التقليدي) إلى توفير أشكالاً عقارية جديدة استغلت في فضاءات غذائية. حيث تم استغلال الطوابق السفلية وتحويلها إلى محلات تجارية من قبيل: مقاهي، مطاعم، محلات ومحلات الوجبات السريعة. هذه البنية العقارية الغذائية الجديدة أدت إلى ظهور سلوكيات وممارسات غذائية جديدة تتعلق بالأكل في الفضاء العام وهو ما سيتم التطرق إليه بالتفصيل خلال تحليل معطيات الاستمارة. (المحور الرابع: الممارسات الغذائية في الفضاء العام). ولتأكيد هذا المعطى نقدم جدول توضيحياً يبين التطور الملحوظ لعدد المحلات المقدمة للغذاء بمدينة الناظور.

جدول رقم تطور عدد المحلات المقدمة للغذاء بمدينة الناظور من 1987 إلى 2018

مجموع الإحداثيات	نوع المحل المقدم للغذاء				السنة
	مقهى	مطعم	محل الوجبات السريعة	محلبة	
10	04	00	00	06	1987
20	13	01	00	06	1988
20	14	00	00	06	1989
39	21	08	00	10	1990

²⁹⁴ علال زروالي (المسكن الريفي القديم بالريف الشرقي)، مجلة حفريات مغربية، 26 العدد 3، فبراير 2004م، ص: 60

35	15	09	03	08	1991
36	12	09	02	13	1992
36	14	09	07	06	1993
34	13	07	01	13	1994
79	29	34	00	16	1995
73	18	31	04	20	1996
87	25	36	03	23	1997
89	17	36	01	35	1998
77	27	27	03	20	1999
61	15	25	03	18	2000
67	18	22	10	17	2001
64	14	27	05	18	2002
70	24	27	03	16	2003
95	33	27	09	26	2004
74	21	29	06	18	2005
76	21	29	07	19	2006
95	27	40	08	20	2007
95	29	32	06	28	2008
87	31	27	09	20	2009
68	25	25	03	16	2010
67	27	16	09	15	2011
68	21	27	06	14	2012
62	34	14	02	12	2013
70	23	26	05	16	2014
85	34	26	10	15	2015
73	21	23	07	22	2016
79	31	07	12	29	2017
60	21	12	07	20	2018

المصدر: تحري ميداني أنجزته بقسم الشؤون المالية بجماعة الناظور معتمداً على السجلات الخاصة بتسجيل رخص المحلات المقدمة للغذاء ولبيع المشروبات. وذلك طيلة شهر نونبر 2018

وتبين معطيات الجدول أعلاه، أن مجموع الاحداثيات بين سنتي 1987 و2018 هي 1956 محلاً ويمكن استخلاص المعدل السنوي للاحداثيات في 63. 096 محلاً. وعلى صعيد آخر، تبين الأرقام، المنحى التطوري الملحوظ لعدد المحلات المقدمة للغذاء بمدينة الناظور. حيث عرفت مجموع الاحداثيات سنة 1987، 10 محلات فقط. بينما ستعرف سنة 1997 إحداث 87 محلاً وفي سنة 2007 سيتم إحداث 95 محلاً. ومنه، واستناداً الى هذه السنوات

المرجعية يمكن استخلاص المنحى التصاعدي الذي اتخذته إحداثيات المحلات المقدمة للغذاء
طيلة 20 سنة (1987 إلى 2007)

2- دراسة دينامية تحولات الأسواق الأسبوعية بالناظور : ملاحظات واستنتاجات

أ - السوق الاسبوعي بالريف الشرقي: المؤسسة والوظائف

تضرب الأسواق جذورها في أزمنة قديمة، لأنها شكلت عبر فترات تاريخية نواة تجارية استقطبت تجمعات سكانية حولها، استقرت عبر العصور في قرى أو حتى مراكز حضرية. وهذا ما يجعلها موروثا جماعيا تنصهر فيه حياة الناس. وتُشكل مؤسسة السوق بالريف الشرقي إحدى المؤسسات الاجتماعية الأساسية لارتباطها بالبنية السوسيوثقافية لمنطقة الريف. وهي مؤسسة ذات وظائف اقتصادية، ثقافية، سياسية وتواصلية، عوضت بها الحضور الضعيف للدولة المركزية بالمنطقة. ففي السوق كان يتم التقاضي، وحل للنزاعات التي تنشأ بين السكان؛ كما كان يوم السوق الوقت الأنسب لإعلان خبر ما يتعلق بالقبيلة أو القبائل المنتسبة للسوق. علاوة على ذلك، فهو مكان للفرجة والفكاهة. وإذا كانت لهذه الأسواق أهداف اجتماعية وثقافية تعكس بشكل من الأشكال تقاليد المنطقة ونمط العيش بها، فإن لها بالتأكيد، وعلى نحو أولوي، أهدافا اقتصادية مهمة، وبذلك يبقى السوق، بمثابة الشرايين لاقتصاد القبيلة إذ تتم فيه المعاملات التجارية بكل أنواعها. كما يساهم السوق في توفير فرص الشغل للنساء والشباب، علاوة عن القيام بالدور المدني المتمثل في المساهمة في تحقيق الاندماج الاجتماعي، وتوفير فرص الشغل المؤقتة والعابرة للفئات الهشة والفقيرة، وللشرائح غير المؤهلة، والأرامل والمطلقات، والأشخاص المسنين، وذوي الحاجات الخاصة، حيث يصير السوق مجالا لاستيعاب أزماتهم وإخفاقاتهم الاجتماعية.

ب- التمرکز المجالي للأسواق التقليدية بالريف الشرقي

من خلال الملاحظة الميدانية التي قمنا بها في عدد من الأسواق الاسبوعية المنتمة لإقليم الناظور، في إطار البحث الميداني، سجلنا ملاحظات أساسية متعلقة بالتدبير المجالي للأسواق الاسبوعية، وتوطئتها داخل الفضاء الاجتماعي. حيث يتواجد السوق في موقع استراتيجي، بل يمكن القول إنه نقطة مركزية للقبيلة يحج إليها كل أسبوع الأهالي من المداشر والمناطق المجاورة، يحيط بها بعض المؤسسات الإدارية أحياناً، كالمستوصف أو مقر جماعة أو قيادة. لكن يبقى المسجد أو ضريح ما في تواجد دائم على مقربة من السوق الاسبوعي ويمكن تفسير ذلك في نطاق الأولويات عند الانسان الريفي أي أن الأمن الغذائي والأمن الروحي يشكلان أهم احتياجات هذا الانسان. فالسوق في الريف يمثل بنية اجتماعية واقتصادية وسياسية، وأحد أهم المؤسسات الأكثر ضرورة للسكان إلى جانب المسجد أو ضريح ولي (أمرابض)؛ وهي المؤسسة الدينية التي تؤدي وظائف متعلقة بالمقدس والجانب الروحي في الحياة الاجتماعية للريفيين. مما يبين المجتمع الريفي مجتمعاً منظماً وليس مجموعات أفراد أو عائلة متجاورة في المكان فحسب. أي أنه كان مجتمعاً له منطق خاص يضبط سلوك عناصره وأفراده وهذا المنطق الاجتماعي والسياسي فرضته طبيعة المؤسسات الجماعية ووظائفها وآلياتها ودرجة تطورها وتاريخها

وتفيد الملاحظات التي قمنا بها في عدد من الأسواق أن انتشار المؤسسات الدينية التعبدية من قبيل الأضرحة والمساجد على مقربة من كل الأسواق. في الواقع، إذ لا يبعد المسجد إلا بنحو 300 إلى 450 متراً من السوق. هذا التقارب الجغرافي بين الفضائين (السوق والمسجد) لا يخلو من معنى، بل إنه يكشف عن أهميتهما في الحياة الاجتماعية للريف. فإذا كان المسجد منبع الشحنات الروحية فإن السوق يوفر لهم الأمن الغذائي. وهذا يفيد أنه كانت هناك علاقات نسقية بين مكونات المجتمع وبين مؤسساته. بحيث لا يمكن فهم مؤسسة ما مثلاً بمعزل عن الأخرى، ومنها مؤسسة السوق بحكم وظيفتها السوسيو - اقتصادية والسياسية والثقافية. فقد تبين من خلال البحث الميداني مدى أهمية وكثرة الأسواق التقليدية بالريف الشرقي. فالقبيلة التي لم تكن تتوفر على سوق خاص تمثل حالة نادرة بالريف، إذ لا تخلو قبيلة أو قسم منها من وجود سوق أو سوقين واحد رئيسي والآخر

ثانوي.²⁹⁵ وقد أشار إلى ذلك دافيد مونتكمري في كتابه القيم آيت ورياغل، إلى العدد المهم من الأسواق التقليدية، بحيث تتوفر كل القبائل الريفية تقريباً على أسواق أسبوعية تعقد خلال يوم من أيام الأسبوع، وفي مكان مُحدد وتحمل اسم اليوم الذي تعقد فيه واسم القبيلة أو موقع السوق فتسمى مثلاً سوق الثلاثاء آيت (متبوعة باسم القبيلة أو مكان انعقادها)، أما القبائل الصغيرة جداً فقد تشترك مع القبائل المجاورة في إحياء نفس السوق²⁹⁶ وغالباً ما يحدد اسم السوق بالانتماء إلى القبيلة أو إلى أحد أجزائها (الفخدة أو الخمس) كما هو الحال بالنسبة للأسواق: ، والثلاثاء آيت بوغافر والأحد آيت شيكر وأربعاء بني سيدال .

ت- تحولات بنية الأسواق التقليدية

إن استمرارية ظاهرة الأسواق الأسبوعية واليومية في المدن الكبرى وحتى الصغرى، تطرح العديد من التساؤلات والإشكالات الاجتماعية ذات الصلة بالتنمية والتغير، وكذا التكيف الاجتماعي للفئات الهشة، خصوصاً وأن هذه الأسواق الموروثة، تحافظ على استمراريته إلى جانب الأسواق الممتازة أو المصنفة المُستحدثة، التي تخضع للمعيرة الاقتصادية والاجتماعية على خلاف الممارسات التقليدية والتاريخية المعهودة في تاريخ المجتمع المغربي. فإذا كانت هذه الأسواق ضاربة في القدم، فهذا لا يعني أنها ظلت حبيسة علاقات ومبادلات عتيقة، والحال أن البعض منها تطور تماشياً مع تطور حياة الناس ومرتابها، لا من حيث عمليات البيع والشراء فقط، ولكن من حيث مرافقها وفضاءاتها ومساهمتها في التنمية المحلية، وتعزيز الروابط بين الأفراد والجماعات.

وقد عرفت الأسواق الأسبوعية بالناظر تحولات جوهرية، مسّت بالأساس وظائفه التقليدية. فإذا كان السوق يؤدي أدواراً سوسيوسياسية وسوسيو اقتصادية مهمة ومرتبطة بالحياة الاجتماعية للريفيين، فإن في مرحلة ما بعد الاستقلال انحصرت وظائفه فيما هو اقتصادي صرف، أمام تراجع الوظائف الأخرى. وقد جاء هذا التحول كنتيجة للتحولات التي عرفها المجتمع الريفي القروي من خلال تكسير التقسيم القبلي، ودخول الأسواق تحت

²⁹⁵الحسين بوضيلب، مؤسسات نظم التدبير المشترك بالريف الشرقي وتحولاتها، حالة الأسواق الأسبوعية، مرجع سابق 65

²⁹⁶الحسين بوضيلب، مؤسسات نظم التدبير المشترك بالريف الشرقي وتحولاتها، حالة الأسواق الأسبوعية، مرجع سابق،

وصاية الجماعات الترابية. حيث أصبحت مورداً اقتصادياً مهماً للجماعات ومهيكلأ رئيسياً للمجال القروي ونواة رئيسية للكثير من المراكز الحضرية. إلا أنه تجب الإشارة إلى أن بعض الأسواق الأسبوعية لم تصمد أمام متغيرات الزمن واندثرت بفعل الهجرة القروية لسكان القبائل المنتسبة لذات السوق. ويبقى سوق آيت سيدال مثلاً حياً لهذا الاندثار فبعد أن كان لعقود من الزمن مركزاً قروياً مهماً بفضل سوقه الأسبوعي والذي كان محج العديد من قبائل قلعية أصبح اليوم مهجوراً، وأصبح السكان ينتقلون إلى سوق أزغنغان الذي لا يبعد عن مركز آيت سيدال سوى سبعة كيلومتر.

وبالرغم من التحولات التي طالت الأسواق الأسبوعية بالريف الشرقي خاصة على مستوى الوظائف، فإن معظم الأسواق حافظت على كيانها منذ زمن بعيد. حيث لازالت الأسواق الأسبوعية تحافظ على ما تبقى من الحياة القروية للمنطقة وتعكس خصائصها الاجتماعية والثقافية، على الرغم من التحولات المجالية والحضرية. بل استمرت في إذكاء الشعور بالانتماء لمنتسبين القبلي وكذلك في توفير حاجيات السكان " العدد المرتفع للأسواق الأسبوعية في الريف الشرقي والذي يصل إلى 33 سوقاً قروياً وحضارياً أي ما يمثل 60% من مجموع الأسواق المتمركزة في الجهة الشرقية حيث تنعقد بشكل دوري على مر الأسبوع"²⁹⁷

لقد لعب السوق الأسبوعي دوراً مهماً في إعادة هيكلة ودينامية المجال الترابي بالريف. فبعد أن كان السوق مرتبطاً أساساً بالمجال القروي ونقطة مركزية تلتقي فيها كل القبائل المنتسبة له، أصبح السوق ذاته نواة للمجال الحضري ونواة وبنية سوسيواقتصادية مهيكلت لذات المجال الحضري، كما هو الحال بالنسبة للجماعات الحضرية: أزغنغان، العروي، رأس الماء، سلوان، قرية أركمان. إن هذا التحول المجالي كان له أثر على وظائف السوق وديناميته حيث أصبحت الأسواق تعرف حركية تجارية مهمة.

²⁹⁷الحسين بوضيلب، مؤسسات نظم التدبير المشترك بالريف الشرقي وتحولاتها، حالة الأسواق الأسبوعية، مرجع سابق، ص66

كما أن موقع السوق من الشبكة الطرقية، يساهم في تطور أو تراجع العلاقة بين السوق ومحيطه، فكلما كانت الطرق مُعبدة، وتوفرت وسائل النقل، سواء للسكان من أجل توفير حاجياتهم المتزايدة وكذلك للباعة وما يرتبط بذلك من المعاملات التجارية المتعددة. وبالتالي فهو مورد رزق مهم للآلاف من الأسر. إن الأسواق من حيث وظيفتها الاقتصادية تدر على الجماعات أرباحاً مهمة عبر المداخل الضريبية، حيث يتضح أن " مداخل الأسواق حسب معطيات مالية الجماعات المحلية قد تضاعفت أكثر من ثلاث مرات خلال المدة الأخيرة إذ انتقلت من مليوني درهم سنة 1993 إلى 6 مليون درهم سنة 2003" ²⁹⁸

ج -السوق فضاء للممارسات الغذائية

يُعد السوق فضاءً لممارسات غذائية متنوعة، ومجالاً خصباً لملاحظة أشكال الاستهلاك الجماهيري وقيمه، ومدى سيولة السلع ودرجة إقبال الناس عليها، الشيء الذي يُحيل على القدرة الشرائية للفئات الاجتماعية التي ترتاده، حيث يعرض الفلاحون والتجار سلعهم المتنوعة ومنتجاتهم الفلاحية. فالسوق فرصة لأفراد القبيلة للتبضع وقضاء أغراضهم التي سيحتاجونها طيلة الأسبوع. فهو فضاء للتبادل الاقتصادي وتزويد السكان بمؤن التغذية. أمّا على المستوى النفسي، فالسوق يعد المكان الذي يرتبط بالشعور الوجداني للإنسان الريفي في هذا الفضاء، يفضل التعبير عن انتمائه لنفس الجماعة وبالتالي الى نفس العصبية المحددة للسلوكات الاستهلاكية الغذائية. ومن ثم، فالسوق يؤدي دوراً رمزياً يُحيل على الثقافة الغذائية للأباء والأجداد، والقيم الاستهلاكية التقليدية، مما يعزز مكانته الوجدانية في مخيال الزبناء والزوار على السواء.

تعتبر منطقة الريف الشرقي (الناظور) مجالا خصباً لدراسة ظاهرة الاستهلاك الغذائي، لاسيما إذا ما استحضرنّا الخصائص الاجتماعية والثقافية للمنطقة. في الواقع، يعد السوق الأسبوعي في الريف الشرقي مرآة عاكسة لثقافة الطهي والممارسات الغذائية المحلية. ويرتبط سلوك المستهلك/الآكل (عادات الشراء والأكل) بالتمثلات الثقافية والاجتماعية التي

²⁹⁸الحسين بوضيلب، مؤسسات نظم التدبير المشترك بالريف الشرقي وتحولاتها، حالة الأسواق الأسبوعية، مرجع سابق،

يملكها حول الغذاء. وبالتالي، فإن الأسواق الأسبوعية توفر إمكانية المراقبة الفعلية للسلوك الاستهلاكي وعادات الأكل المتكررة في الفضاء الاجتماعي الغذائي. وباختصار، فسلوكات الاستهلاك والعادات الغذائية تطفح على سطح السوق الأسبوعي وذلك راجع إلى مجموعة من المؤشرات تحمل دلالات مهمة نبسطها على الشكل التالي:

ينعقد في إقليم الناظور أكثر من 12 سوقاً أسبوعياً، ينتقل إليها أكثر من 20 ألف شخص أسبوعياً، أي حوالي 15٪ من إجمالي سكان الإقليم. تتوزع الأسواق الأسبوعية على جماعات إقليم الناظور بشكل منتظم إلى حد ما. تبلغ المسافة بين الأسواق ومركز الناظور 31 كم في المتوسط. ومع ذلك، يختلف وقت الوصول من سوق إلى آخر، حسب بُعد المسافة ووسائل النقل وحالة الطرق. فإذا كانت 20 دقيقة كافية للوصول إلى سوق أزغنغان، إنطلاقاً من الناظور المدينة فإن الرحلة إلى سوق رأس الماء تستغرق ساعة بالسيارة. في الماضي، كانت هذه المناطق تفتقر إلى الطرق المعبدة، ممّا كان يفرض على بعض السكان التنقل على ظهور البغال أو الحمير أو الخيول. أمّا اليوم، وبفضل ظاهرة التحضر، تم تعبيد بعض المسارات الطرقية، مع الإشارة إلى أن البعض منها أصبح صالحاً بحيث يمكن للمرء الوصول إلى السوق بسهولة وبسرعة أكبر.

ونبين في الجدول أسفله، جميع المطيات المتعلقة باسم السوق ويوم انعقاده، مساحة السوق الأسبوعي، وعدد الزوارو والدواوير التي تنتمي السوق والمسافة بين السوق والمركز الناظور

دراسة الفضاء الاجتماعي الغذائي بالريف الشرقي الأسواق الأسبوعية بإقليم الناظور

جدول رقم: يوضح أسماء الأسواق الأسبوعية بإقليم الناظور والمعطيات المرتبطة بها

اسم السوق	المسافة بين السوق والمركز الناظر	الدواوير التي تنتمي لسوق عدد الزوار	عدد الزوار	مساحة السوق الاسبوعي في الهكتار	مساحة الجماعة	يوم انعقاد السوق
سوق ازغنان	7.8 km	جماعة احدادن- جماعة بني سيدال لوطا- جماعة بني سيدال الجبل- جعدار- جماعة بني بوفورور- جماعة ايكسان	2000	30 000 M2	15km2	الاثنين الخميس
سوق سلوان	11,1 km	سلوان المركز- إشيخين- الغربية- بدورا- تاوريرت بوستة- بوهراوة- بويغناين- اولاد معروف- اولاد القايد- الكامشن- الحرشة- دردورا- سيدي علي	1500	20 100 M2	45km2	السبت
سوق الاحد بني شيكر	24,0 km	اريمام- دهار اوراغ- هيدون- إيعكيون- ابولقديدان- ايموهاي- عين علا- ازمورن- تافرست- تشارانا- ثيودا إمرابطن- بوعجاجن- طرارا- عبدونا- بن عثمان- الزاوية	2500/3000	19.000 M2	116km 2	الأحد
سوق العروي	23,0 km	ايت موسى- ايت علال أو عسو- ايت عثمان- ابوجدان افقيرن- الكويرات- اولاد رحو بن عيسى- اولاد زايد	5000/5500	20000 M2	40km2	الأحد
بني وكيل اولاد امحمد سوق	28.0km	ابراهيمثن- افقيرن- لكويرات- اولاد رحو بن عيسى- اولاد سعيد- اولاد علال- إقدورن- ابوجدان	5000/5500	50000 M2	160km 2	الأحد
سوق تزطوطين	36,3 km	اولاد يحيى- أولاد بنحلي- أولاد بوبكر أولاد عيسى	1500	10500 M2	217km 2	الخميس
سوق قرية	25,4 km	لشات- ايقبزان- - ثايزارت- الهدارة-	1200/1500	16500 M2	194km 2	الأربعاء

اركان				اولاد الهادي فوطاطن- بوخوباش- اولادحدو- احوثن- بوغريب ايلمام - الزاوية- أفليون- ثيمزوجين		
سوق بني بوغافر	32,8 km		3000	دوار اعزيزاتن- بوحمزة- اعزائن- إشمالن- اعرجيون- امرابطن- ايزارورن- سماً	84km2	6364 M2
سوق زاو	31 km		1500	اولاد بني ستوت- كبدانة- مطالسة- قبائل بني زناسن	25 km2	22900 M2
سوق حاسي بركان	41.8 km		2000	ايت عثمان- اركمان- ابركانن- الجرابعة	548km 2	20000 M2
سوق افسو	50,9 km		250/300	دوار اولاد بو عياد- دوار اولاد سليمان- دوار اولاد عثمان- بني بويحيي- مطالسة	296km 2	21931 M2
سوق راس الماء	61km		1500	دوار ابو هياتن- دوار اولاد اوراغ- دوار ولاد بوقسي- ولاد حدو الهرافيف	34 km2	10800 M2

المصدر: تحري ميداني أنجزته اعتمادا على مونوغرافيات الجماعات الترابية بإقليم الناظور

وبالنظر لأهمية هذه الأسواق على أكثر من صعيد، فإن لها امتدادات على مستوى
الرقعة الجغرافية لإقليم الناظور، كما أنها تغطي مختلف أيام الأسبوع، من أجل فسخ المجال

أمام التجار لترويج بضاعتهم باستثناء يوم الجمعة، الذي تغيب فيه هذه الأسواق لاعتبارات لها صلة بقدسية هذا اليوم.

إن إقليم الناظور، مجال الدراسة، يعرف أسواقاً عبارة عن تجمعات عشوائية غير مهيكلة وأخرى مهيكلة بالإضافة إلى الأسواق الأسبوعية المتداولة طيلة أيام الأسبوع: الإثنين بلدية أزغنغان؛ الثلاثاء جماعة بني بوغافر؛ الأربعاء قرية أركمان صباحاً وتاويمة بعد الزوال؛ الخميس بلدية أزغنغان وجماعة تيزطوطين؛ السبت بلدية سلوان وجماعة أفسو؛ الأحد بلدية العروي وجماعة بني شيكر؛ بالإضافة للعديد من الأسواق الصغيرة المتواجدة في الأحياء الحضرية بشكل قار.

- من خلال الملاحظات المنجزة ببعض الأسواق الأسبوعية المنتمية للمجال الجغرافي للبحث، يتميز السلوك الاستهلاكي للأسر والأفراد بالوفرة والكثرة مقارنة بمدن أخرى، بالرغم من أن البنية الاقتصادية للمنطقة هي بنية هشة، يهيمن عليها النشاط التجاري غير المهيكل. هكذا يبدو أن مشتريات الناس لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض، فالكل يشتري نفس المنتجات بنفس الكمية تقريباً. فمن الصعب التمييز من خلال الملاحظة بين النفقات الاستهلاكية للأسر "الفقيرة" و "الغنية". نحن لا نزع أن المجتمع الريفي ذو طبقة اجتماعية واحدة، إلا أنه مجتمع لا يعرف تفاوتات بينة بين طبقاته.

- لقد قاربنا الأسواق الأسبوعية بإقليم الناظور من خلال تقنية الملاحظة بالمشاركة بحذر منهجي يستند إلى تفعيل الملاحظة في أوقات متفرقة من اليوم حتى نتمكن من مقارنة نوعية الفاعلين الاجتماعيين وتفاعلاتهم داخل الفضاء الاجتماعي الغذائي بين بداية يوم السوق ونهايته. وهو الأمر الذي أفضى إلى نتيجة مهمة :

حيث تبين من خلال الملاحظة التي قمنا بها في السوق الأسبوعي بازغنغان أن مرتادي السوق صباحاً يختلفون عن مرتاديه في المساء (ابتداء من صلاة العصر)؛ بحيث تختلف الطبقة الاجتماعية لكلا الفئتين. فأول من يدخل السوق هو من يملك إمكانيات مالية ولا يخشى تقلبات السوق؛ ويمكنه أن يشتري ما يريد وبأي ثمن. فالتسوق في الصباح الباكر لدى

يتيح لهاته الفئة الاستفادة من طراوة وجودة المنتجات الغذائية المعروضة. أما الفئة التي تقصد السوق مساء بعد صلاة العصر وهي فئة اجتماعية أقل حضوة من غيرها. فإنها تتحين فرصة تعب الباعة، وتعتمد على انخفاض الأثمان لكي تشتري حاجياتها بأقل ثمن.

- ومن خلال مشتريات الزبناء بالسوق الأسبوعي، يظهر أن الاستهلاك الغذائي هو وسيلة للبحث عن الارتقاء الاجتماعي. بينما يشير الانطباع السائد إلى أن هناك طبقة اجتماعية واحدة تميل نحو الثروة والرفاهية. فالاستهلاك المتزايد للطبقة الفقيرة هو مجرد سلوك اجتماعي يهدف إلى محاكاة الطبقة الوسطى أو الطبقة الثرية، بينما يرفض ضمناً أن يوضع في الفقر حتى لا يشعر.

- في السوق، يعرض بائعو الخضر والفواكه سلعهم بعناية في محاولة لإغراء زبائنهم. ومع ذلك، فهم يشعرون بالحرَج من الأوزان الصغيرة ويُقللون من شأن الطلبات الصغيرة للمستهلكين، وفي هذا الصدد يعبرون عن امتعاضهم من طلبات أوزان صغيرة. من ناحية أخرى، يرفض البائعون رفضاً قاطعاً السماح للمشتريين باختيار المواد أو السلع المُفضلة لديهم بأيديهم؛ فهي مهمة مخصصة حصرياً للبائع الذي لا يجد صعوبة في تجاوز الكمية التي طلبها الزبون. وهو أسلوب يهدف إلى وضع الزبون تحت الضغط فضلاً عن كونه سلوكاً بحمولة ثقافية وقيمية. وهكذا، يقبل الزبون الأمر على مضض خوفاً من أن يُنظر إليه على أنه بخيل أو فقير غير قادر على شراء كمية كبيرة. علماً بأن هذه الممارسة تضع كلاً من البائع والزبون في حرج. وهذا ما يعكس الدور التفاعلي المتمثل في ضمان سيرورة التفاعلات الاجتماعية الحميمة بين البائع والمشتري، المعزز لعنصر الثقة بينهما.

إن عبارة "السوق" التي نستعمل في اللغة العامية كمرادف للفوضى وعدم التنظيم ليست صحيحة دائماً، عندما يتعلق الأمر بالسوق الأسبوعي. فالسوق له مدخل وحدود فيزيقية يتم عبرها التعبير عنه ككيان قائم بذاته. ولهذا، فهو معلمة طبوغرافية وإحداثية مكانية، تُحدد من خلالها تواجدنا في الفضاء العام، سواء بالقرب أو بالبعد من السوق الأسبوعي. فنقول مثلاً نلتقي قرب أو خلف أو عند مدخل السوق. فمن خلال الملاحظة التي أجريناها في جل الأسواق الأسبوعية، تبين لنا مدى صلابة الهيكلية الخارجية والتنظيم الداخلي للسوق. إنه

فضاء لتجمعات مركبة متباعدة فيما بينها لكنها تلتئم بشكل مُنظم لتشكل فضاء قائم بذاته وهو السوق.

ويُمكن أن تجد في أسواق الناظور جميع أنواع؛ الفواكه والخضروات، واللحوم المعروضة على طاولات خشبية، الدواجن، الأسماك، كما تنتشر خيم بيع الملابس وأخرى تُقدم فيها مأكولات ووجبات غذائية متنوعة، فضلاً عن مكان مخصص للمجوهرات والحلي التقليدية، وآخر لأواني الفخار. كما يُعد ملتقى لتوزيع المنتجات المحلية لفلاحي الريف (حبوب، خضروات، منتجات حيوانية، مصنوعات يدوية، إلخ) ومركز إمداد لسكان المدينة بمختلف المنتجات.

كما تعد أسواق الناظور أكثر من مجرد أسواق، فهي أماكن حقيقية لحياة اجتماعية بأبعاد مختلفة، فسكان المدينة يذهبون إلى هناك لمجموعة من الأسباب: سواء للقاء الأصدقاء والأحباب، لشراء حاجياتهم الغذائية، أو لـتتناول وجبات غذائية داخل خيمات بسيطة، حيث يكون الجلوس إمّا على الحصائر أو على مقاعد خشبية.

الجدول رقم 16: المنتجات الغذائية بإقليم الناظور: النوع والمصدر

لا ترتبط الأسواق الأسبوعية بإقليم الناظور بـموارد محلية فقط وإنما ترتبط بـموارد أخرى خارجية وتلعب السهول المجاورة للإقليم دور المورد الفلاحي والمزود الرئيسي للمنتجات الفلاحية: سهل بوعرك، سهل كارت وسهل ملوية، بالإضافة إلى المواد المهربة من مليلية المحتلة التي تحرك هذه الأسواق وتضمن استمراريتها.

مصدر المنتجات الغذائية فواكه (وخضروات)	المناطق الفلاحية في إقليم الناظور	أصناف المنتجات الغذائية	
		وخضروات	فواكه
الإنتاج المحلي	سهل بوعرك	بطاطس - طماطم - بصل - شمندر - فلفل	عنب - تين - إجاص - زيتون
	سهل بوعرك	طماطم - شمندر	عنب - زيتون
	سهل كارت (منطقة صبرا)	- جلبان - بطاطس شمندر	عنب - الحوامض
المصدر من المنطقة الشرقية	سهل ملوية إقليم بركان	- طماطم- بطاطس جزر- بصل	الحوامض
المنتجات الغذائية (فواكه وخضروات) المهربة من مليلية المحتلة			:الفواكه الاستوائية أناناس، أنون، أفوكادو، موز، كاكاو، كيوي، مانجو، بابايا

الفصل الرابع:

السلوكيات والممارسات

الغذائية المستجدة بالناظور

I- عرض نتائج البحث الميداني واختبار الفرضيات:

1- المحور الأول : صفات عينة البحث

يبين الجدول أسفله المتغيرات المستقلة التي اعتمدها في بناء الاستمارة وكذلك في تحليل معطياتها. وقد تم تحديد المتغيرات التالية: النوع، السكن/ الوسط الاجتماعي، السن، الفئات السوسيو مهنية وكذلك المستوى التعليمي لعينة تشكلت من 218 مبحوث ومبحوثة. وسيتم فيما يلي وصف خصائص العينة حسب كل متغير.

جدول رقم: يوضح المتغيرات المستقلة المعتمدة في استمارة البحث والاحصائيات المرتبطة بها:

احصائيات عامة								
		السكن/الوسط الاجتماعي	النوع	السن	الحالة العائلية	عدد أفراد الأسرة	الفئة السوسيو مهنية	المستوى الدراسي
Nombre	valide	218	218	218	218	218	218	218
	Manquant	0	0	0	0	0	0	0
Moyenne		3,358	1,564	5,459	1,995	1,826	2,821	5,399
Ecart type		1,4561	,4970	2,5600	,8174	,6699	2,0229	1,1119

أ - بنية عينة البحث حسب متغير النوع:

يشكل متغير النوع الاجتماعي معطى أساسي في إنجاز البحث الميداني لاسيما عند المنهج الكمي، لما يتيح من إمكانية مقارنات بين الرجل والمرأة على عدة مستويات، تسمح بمقروئية نتائج البحث من زاوية أكثر موضوعية. وعلاقة بطبيعة موضوع البحث، فيمكن التأكيد أن الاختيارات الغذائية كثلا تخضع لتمايز مبني على النوع. لهذه الاعتبارات، اعتمدنا متغير النوع في تحليل جل معطيات وبيانات الاستمارة، خاصة عندما يكون مستوى التباين بين النوعين يستدعي الوقوف عنده وتحليله بشكل مفصل .

وارتباطا بعينة البحث، فإن عين الرجال المبحوثين تشكل 43.6 % بينما تشكل عينة النساء المبحوثات 56.4% من مجموع عينة البحث.

جدول رقم: يوضح عينة البحث حسب متغير النوع

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide
Valide	رجل	95	43,6	43,6
	إمرأة	123	56,4	56,4
	Total	218	100,0	100,0

ب- خصائص السكن/الوسط الاجتماعي

يعتبر التحضر ظاهرة حديثة بمدينة الناظور، كما أن غياب تقليد حضري بالمدينة يجعل الإطار الوحيد للمرجعية التاريخية فيما يخص المادة الحضرية تتشكل أساساً بالمنزل القروي التقليدي²⁹⁹، الذي هو مكون أساسي ومحدد في عملية التطور نحو السكن الحضري كما هو موجود حالياً بالناظور. ويستجيب السكن في المراكز الحضرية بالريف الشرقي بشكل أكيد إلى مبادئ أساسيين موروثن عن نموذج الحياة أو نمط العيش التقليدي:

أولهما يتجلى في كون، التجمع الفيزيقي للعائلة الكبيرة وثانيهما الحفاظ على الحياة الحميمة من جهة أخرى. عموماً يمكن تقسيم السكن بالناظور إلى ثلاثة أنواع كبرى هي:

- **الصنف الأول:** السكن الجماعي، ويتكون من منازل ذات مساحة تتراوح ما بين 60 إلى 200 متر مربع، ويشكل هذا النوع من السكن نصف المساحة المبنية بالناظور حيزاً مهماً داخل المساحة المبنية بجماعة الناظور (مجال البحث)

- **الصنف الثاني:** السكن الاقتصادي وهو عبارة عن مساكن داخل عمارات مكترية بالأساس كما هو الشأن بالنسبة للمدن المغربية الأخرى ويعتبر هذا النوع من السكن

²⁹⁹ Schéma Directeur d'aménagement de l'air urbaine de Nador, Royaume de Maroc, Ministère de l'intérieur, Direction de L'urbanisme de l'aménagement du territoire et de l'Environnement, Direction de L'urbanisme et de l'architecture, Division de la Planification Urbaine, 1985-2005, p38

بالأساس الموظفون والمهاجرون القادمون من المناطق الأخرى. وتتواجد هذه العمارات في مجالات أكثر تجهيزاً عكس الصنف الأول.

- **الصنف الثالث:** السكن الفردي ويتكون من ثلاثة نماذج مختلفة:

• الفيلات بعدد محدود

• السكن التقليدي القروي المبني بالصلب عند أطراف وهوامش المدينة

تبعاً للتطور التاريخي للنسيج الحضري للمدينة والكثافة ونوعية السكن يمكن تقسيم الأحياء السكنية إلى خمس قطاعات كبرى:

1. **القطاع الأول:** مركز المدينة وهو الحي الوحيد الذي يمكن أن يصنف أنه حي حضري لما يتوفر عليه من بنىات تحتية أساسية وبالتجانس الهندسي والجمالي الذي يتوفر عليه.

2. **القطاع الثاني:** يتكون من حي لعري الشيخ ولعراسي، يتكون هذا القطاع من السكن الاقتصادي، العمارات والسكن الجماعي والسكن المزدوج. وهو قطاع يقطنه أساساً الموظفون والعمال المهاجرون، وهذا ما يكشف عن المعدل المرتفع للمساكن الفارغة من مجموع المساكن علاوة على فائض سكاني.

3. **القطاع الثالث :** ويشمل أحياء : الإخلاص، المطار، الناظور الجديد. وهو قطاع سكاني مكون من العمارات والسكن الاقتصادي والمتوسط والشقق الفارغة. وترجع أغلب مساكنه للعمال المهاجرين مما يفسر المعدل المرتفع للمساكن الفارغة.

4. **القطاع الرابع:** الحي المدني وحي اشوماي هذان الحيان يشكلان النواة الأولى والتاريخية للسكن غير المنظم Spontané بالناظور. وهو سكن بدائي غير منظم، يهيمن على الجزء الكبير من الحي المدني ويتميز هذا القطاع بالكثافة السكانية العالية.

5. **القطاع الخامس:** السكن عشوائي ويشمل أحياء : ترقاع، اولاد بوطيب، براقعة، عريض، اشعالن، بوعرورو... وبعض الأحياء الهامشية. وهو مزيج من السكن الاقتصادي والقروي.

كما يعد منطقة انتقال بين المجال الحضري والقروي ويتميز هذا القطاع بتنظيم مجالي غير مهيكّل.

جدول رقم: يوضح عينة البحث حسب متغير السكن/الوسط الاجتماعي

		Fréquence	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	آخر	21	9,6	9,6	9,6
	دار مغربية عصرية	51	23,4	23,4	33,0
	سكن عشوائي	52	23,9	23,9	56,9
	سكن قروي	31	14,2	14,2	71,1
	شقة	49	22,5	22,5	93,6
	فيلا	14	6,4	6,4	100,0
	Total	218	100,0	100,0	

ت- بنية الأعمار لدى عينة البحث:

يعتبر عامل السن من المتغيرات الأساسية في إنجاز البحوث السوسولوجية. فالاختيارات المُعبر عنها والسلوكات الملاحظة بشكل عام تختلف باختلاف الفئات العمرية. لهذا فالاختيارات الغذائية للشباب ليست بالتأكيد نفسها التي يفضلها الكهول. فمسألة السن، تفرض نفسها بقوة في أفق وصف وتحليل السلوكيات والممارسات الغذائية لدى فئات عمرية مختلفة، من خلال أعمال مقارنات ومقابلات عندما يسمح الأمر بذلك. وارتباطا بموضوع البحث، فئة الشباب تشكل الفئة الأكثر تمثيلية في هذه الاستمارة، حيث يصل عدد الشباب المتراوح أعمارهم بين 20 وأقل من 30 سنة إلى 98 مبحوث (ة) بنسبة 44.75 % من مجتمع البحث، بينما يصل مجموع عدد الفئات العمرية الأخرى ب 121 مبحوث (ة) بنسبة تصل إلى 55.25 وهي فئة تشمل الفئات العمرية من 30 الى 64 سنة .

ويمكن الفرق بين هاتين الفئتين الأولى المحددة بين [20 - 29] والثانية المحددة بين [30 - 64] كون الفئة الأولى هي مكونة من فئة الشباب التي تتقاطع مع الحالة العائلية عازب. أما الفئة الثانية فهي تتقاطع مع المتزوجين. ويهدف ربط متغير السن بالحالة العائلية

فهم وتفسير السلوكيات والممارسات الغذائية عند الشباب غير المتزوج والفئات الأخرى التي تمارس سلوكياتها واختياراتها لاستهلاكية الغذائية من داخل مؤسسة الأسرة .

جدول رقم: يوضح عينة البحث حسب متغير السن

	النسبة المئوية التراكمية	النسبة المئوية المحققة	النسبة المئوية	التكرار	
المقاطع السنوية	8,7	8,7	8,7	19	(20-24)
	17,9	9,2	9,2	20	(25-29)
	27,1	9,2	9,2	20	(30-34)
	36,2	9,2	9,2	20	(35- 39)
	45,4	9,2	9,2	20	(40-44)
	59,2	13,8	13,8	30	(45-49)
	72,9	13,8	13,8	30	(50-54)
	86,7	13,8	13,8	30	(55-59)
	100,0	13,3	13,3	29	فما فوق 60
		100,0	100,0	218	Total

علاوة على ذلك، تشمل بنية أعمار العينة، على مختلف الفئات العمرية، فالعينة هي عينة عشوائية لم نراع فيها سناً معيناً، وإنما منفتحة على كل الفئات العمرية فبعد ما قمنا بتفري الاستمارات، تبين لنا أن سن المُستجوبين يتراوح بين 25 و 66 سنة عند الرجال وما بين 60 سنة عند النساء. ولكي يكون لمتغير السن مستوى أعلى من الدقة في التفسير، فقد ارتأينا تقسيم العينة الى عدة مقاطع وفئات عمرية صغيرة ومتساوية من حيث السن، بحيث سيكون الفارق بين كل الفئات العمرية هو خمس سنوات. وهكذا حصلنا على ست فئات عمرية تتوزع على الشكل التالي:

ث - الفئات السويومهنية لعينة البحث:

في الماضي القبلي، كانت الممارسة الاقتصادية تتمحور بشكل عام حول القطاع الزراعي وعلى إنتاج بعض الأدوات اليدوية البسيطة، التي تدخل في نطاق الاستعمال المنزلي والفلاحي. فقد انصبت المهن التي زاولتها الأسر الريفية رجالا ونساء على أعمال الزراعة والفلاحة وتربية المواشي وبعض الحرف المرتبطة بها. ممّا يجعلنا أمام مجتمع زراعي تنعدم فيه التخصصات المهنية. بحيث أن " المهنة لم تكن تتميز بالخصوصية

والضرورة والاستمرار. فالمجتمع القبلي لم يكن يعرف العمل المأجور ولم يكن العمل أداة للاستغلال، ولا يعبر عن التفاوتات الاجتماعية، بل كان العمل في أغلب الأحيان نشاطاً جماعياً، محدوداً في تخصصاته³⁰⁰. غير أن بروز التمدين واقتصاد السوق، أعطى لهذا المفهوم معنى ودلالة مغايرة، فالعمل أصبح ضرورة اجتماعية واقتصادية ملحة، تمنح للفرد مكانته داخل المجتمع، خاصة أمام الاستغلال المتزايد للنقد. فتعددت متطلبات الحياة الحضرية وظهرت مستلزمات وحاجيات جديدة لم تكن موجودة في المجتمع القبلي. مما أدى إلى تنوع وتعدد في الانشغالات وبالتالي إلى تخصص في المهن. فالعمل أصبح ممارسة اجتماعية واقتصادية حضرية، يرتبط بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة.

عامة، تعتبر البنية المهنية أهم الجوانب المحددة لصفات عينة البحث فجميع الاستثمارات الموجهة للبحث في المجال السوسولوجي تتضمن هذه الخاصية، وذلك راجع لأهمية هذا المتغير في تفسير توجهات واختيارات معينة.

وفيما يخص موضوع البحث، فإن متغير المهنة من شأنه أن يتيح لنا امكانية تفسير بعض السلوكات الغذائية الجديدة عند مجتمع البحث. فالالتزامات المهنية للرجل مثلاً، بحكم ظروف العمل والتي تتحدد في بنية زمنية من ثمان ساعات على الأقل ستدفعه إلى تغيير عاداته الغذائية وتبني سلوكات غذائية جديدة. والتي من بينها أخذ وجبات في الفضاء العام من خلال ارتياد المحلات المقدمة للغذاء. كذلك الشأن بالنسبة للمرأة العاملة؛ فخروجها من الفضاء الخاص سيؤثر حتماً في العادات الغذائية للأسرة ككل، بل سيفرز عادات جديدة من قبيل: تخزين الطعام في المجمد، إعداد الطعام بشكل قبلي بالإضافة للأكل في الفضاء العام.

وبالرجوع إلى المعطيات الرقمية التي حصلنا عليها بعد الانتهاء من عمليات تفريغ الاستثمارات، فإننا نسجل قاعدة واسعة من المهن المختلفة والتي تندرج في مجالات متنوعة؛ سواء للرجال أو النساء، نقدمها على الشكل الآتي:

³⁰⁰ محمد عبد الخالقي، التحولات الاجتماعية والقيمية بالريف الشرقي، مرجع سابق، ص: 167

جدول رقم: يوضح عينة البحث حسب متغير الفئات السوسيو مهنية

	التكرار	النسبة المئوية	النسبة المئوية المحققة	النسبة المئوية التراكمية
الفئات السوسيو مهنية	فلاح/مزارع	53	24,3	24,3
	مُستقل مهن حرة حرفي	91	41,7	66,1
	موظف بالقطاع العام	26	11,9	78,0
	موظف بالقطاع الخاص	3	1,4	79,4
	مُشغل صاحب مقالة	10	4,6	83,9
	عاطل عن العمل	17	7,8	91,7
	طالب	6	2,8	94,5
	ربة بيت	12	5,5	100,0
	Total	218	100,0	100,0

ت - الخصائص التعليمية لعينة البحث:

يعتبر متغير المستوى الدراسي أو التعليمي من بين أهم المتغيرات التي تنبني عليها الدراسات السوسيو لوجية في معالجتها للظواهر الاجتماعية. فقد استخدم المتخصصون في العلوم الاجتماعية، خاصة مع توسع الاتجاه الامبريقي، الخصائص التعليمية للفرد باعتبارها متغيراً أساسياً لتفسير الظواهر الاجتماعية التي يدرسونها. ومن هنا، تبدو مختلف درجات الارتباط بين متغير التعليم ومتغيرات الجنس والنوع كمتغيرات مستقلة. وقد قمنا في هذا الجدول، بربط متغير المستوى التعليمي (متغير مستقل) بمتغيرين اثنين آخرين لا يقلان أهمية هما متغيري النوع والسن. ومن خلال تفريغ الاستمارات، لاحظنا تعدد المستويات التعليمية عند أفراد العينة من جهة، وتباينها حسب الجنسين من جهة أخرى. وقد ارتأينا تقسيم المستويات التعليمية إلى ست خانات طبقاً للتقسيم الكلاسيكي: أمي، تقليدي، ابتدائي، إعدادي، ثانوي، عالي لتسهيل قرائتها وتكون أكثر تفسيراً.

تؤشر العينة ككل، على مستوى تعليمي مرتفع نسبياً عند أفراد العينة، خاصة عند الفئات العمرية الشابة وانخفاضه عند الفئات العمرية المتوسطة والمتقدمة من كلا الجنسين. بحيث يحظى 162 من المبحوثين أي بنسبة 74,31 على مستوى دراسي عالي في حين يتوفر 32 منهم على مستوى ثانوي، أما المستوى الابتدائي والاعدادي فلا يتجاوز 9% من

مجموع مجتمع البحث. ويعود هذا التمركز للخصائص التعليمية لمجتمع البحث في التعليم العالي والثانوي، لأسباب متعددة منها: توسيع العرض المدرسي والجامعي بجماعة الناظور (مجال البحث). حيث تتوفر الجماعة لوحدها على ست ثانويات تأهيلية والمعهد المتخصص في التكنولوجيا التطبيقية ISTA ومراكز التكوين المهني بالإضافة إلى كلية متعددة التخصصات والمركز الجهوي للتربية والتكوين.

وبالتالي فإن العينة ككل تتوزع، حسب المستوى التعليمي كما يبين ذلك الجدول التوضيحي

الجدول رقم 19: الخصائص التعليمية لعينة البحث

		التكرار	النسبة المئوية	النسبة المئوية المحققة	النسبة المئوية التراكمية
المستوى الدراسي	بدون	3	1,4	1,4	1,4
	أولي	4	1,8	1,8	3,2
	ابتدائي	15	6,9	6,9	10,1
	اعدادي	9	4,1	4,1	14,2

II- المحور الثاني: اختبار الفرضيات

1- الفرضية الأولى:

ان التحول الذي حصل على المستوى المجالي وانتقال المنطقة من مجتمع قروي بالأساس، إلى مجتمع حضري، قد ساهم في بروز سلوكات وممارسات غذائية خارج الفضاء الخاص. وذلك من خلال، الارتياح على، مقاهي، ومطاعم ومحلات. مما أدى إلى استدراج الفعل الغذائي من الحيز الفضائي الخاص الموسوم بالتباهي الذي يتمظهر خاصة في استعراض الفعل الغذائي في العالم الافتراضي من خلال تصوير الأطباق الغذائية ومشاركته في مواقع التواصل الاجتماعي

أ-جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل بدلالة متغير السكن/ الوسط الاجتماعي

		هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل			Total
		لا	أحيانا	نعم	
السكن الوسط الاجتماعي	العدد	3	15	3	21
	السكن الوسط الاجتماعي	14,3%	71,4%	14,3%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	17,6%	34,1%	1,9%	9,6%
دار مغربية عصرية	العدد	1	3	47	51
	السكن الوسط الاجتماعي	2,0%	5,9%	92,2%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	5,9%	6,8%	29,9%	23,4%
سكن عشوائي	العدد	0	3	49	52
	السكن الوسط الاجتماعي	0,0%	5,8%	94,2%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	6,8%	31,2%	23,9%
سكن قروي	العدد	11	12	8	31
	السكن الوسط الاجتماعي	35,5%	38,7%	25,8%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	64,7%	27,3%	5,1%	14,2%
شقة	العدد	2	6	41	49
	السكن الوسط الاجتماعي	4,1%	12,2%	83,7%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	11,8%	13,6%	26,1%	22,5%
فيلا	العدد	0	5	9	14
	السكن الوسط الاجتماعي	0,0%	35,7%	64,3%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	11,4%	5,7%	6,4%
المجموع	العدد	17	44	157	218
	السكن الوسط الاجتماعي	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	112,552 ^a	10	,000
Rapport de vraisemblance	103,610	10	,000
Association linéaire par linéaire	,196	1	,658
N d'observations valides	218		

من خلال جدول الاختبار أعلاه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,05 بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير تناول وجبات خارج المنزل، حيث يشير معامل الارتباط بيرسون الى 0,00 وهو مستوى للشك في قبول الفرضية الترجيحية او رفضها، وبما ان هذا المعامل اقل من 0,05 فإننا نرفض الفرضية الصفرية او مستوى الشك في صحة الفرضية الترجيحية، ونقول بأن انتقال المجتمع من مجتمع قروي الى مجتمع حضري قد ساهم فعلا في بروز سلوكات وممارسات خارج الفضاء الخاص، حيث نجد أن أعلى فئة في العينة المدروسة بدلالة الوسط الاجتماعي التي ترتاد الفضاء العام من أجل تناول وجبات غذائية هي فئة من تقطن في شقة، ودلالة الشقة في السياق البحثي هي انتقال مجتمعي من اسرة ممتدة قروية الى اسرة نووية تعيش في المجال الحضري، كما نجد أيضا ان اكبر فئة بدلالة نفس المتغيرات من أجابت بأنها لا ترتاد الفضاء العام من أجل تناول وجبات جاهزة، هي الفئات التي تقطن في الوسط القروي، وهذا ما يؤكد صحة الفرضية التي نرجحها، في شقها المتعلق بالانتقال قروي-حضري، استهلاك غذائي مرتبط بالفضاء العام.

ب- جدول التقاطع الخاص بسؤال: كم عدد المرات التي تتناول فيها وجبات خارج المنزل في الأسبوع بدلالة متغير السكن/ الوسط الاجتماعي

	كم عدد المرات التي تتناول فيها وجبات خارج المنزل في الأسبوع						Total
	يومياً	خمس مرات	أربع مرات	ثلاث مرات	مرتين	مرة واحدة	
العدد آخر السكن /الوسط الاجتماعي	1	1	0	3	3	6	14
% du total	0,5%	0,5%	0,0%	1,5%	1,5%	2,9%	6,9%
العدد دار مغربية	6	4	3	13	9	12	47
% du total	2,9%	2,0%	1,5%	6,4%	4,4%	5,9%	23,0%
العدد سكن عشوائي	11	10	0	21	10	0	52
% du total	5,4%	4,9%	0,0%	10,3%	4,9%	0,0%	25,5%
العدد سكن قروي	6	6	0	12	7	0	31
% du total	2,9%	2,9%	0,0%	5,9%	3,4%	0,0%	15,2%
العدد شقة	10	9	0	18	9	0	46
% du total	4,9%	4,4%	0,0%	8,8%	4,4%	0,0%	22,5%
العدد فيلا	2	2	0	4	4	2	14
% du total	1,0%	1,0%	0,0%	2,0%	2,0%	1,0%	6,9%
Total العدد	36	32	3	71	42	20	204
% du total	17,6%	15,7%	1,5%	34,8%	20,6%	9,8%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	59,229 ^a	25	,000
Rapport de vraisemblance	60,572	25	,000
Association linéaire par linéaire	7,603	1	,006
N d'observations valides	204		

a. 20 cellules (55,6%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,21.

من خلال جدول الاختبار أعلاه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,05 بمعامل الارتباط بيرسون، بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير عدد مرات تناول الوجبات خارج المنزل في الأسبوع، حيث مثلت نسبة 34,8 بالمائة أعلى نسبة والتي تقابلها ثلاث

مرات في الأسبوع، وضمن نفس الاختيار، نجد ان اعلى نسبة للفئة التي تتناول ثلاث مرات في الأسبوع وجبات خارج المنزل هي الفئة التي تقطن في الأوساط الحضرية باختلاف طبيعة الإقامة، حيث كلما اتجه الفرد نحو المجال الحضري كلما ارتفعت وثيرة الاستهلاك خارج المنزل، وهو ما نجده أيضا لدى الفئة التي تقطن في السكن العشوائي داخل المجال الحضري.

ث -جدول التقاطع الخاص بسؤال: في حالة تناول إحدى الوجبات خارج المنزل هل تقوم بأخذ صور لما تناولته بدلالة متغير السكن/الوسط الاجتماعي

		في حالة تناول إحدى الوجبات خارج المنزل هل تقوم بأخذ صور لما تناولته			Total
		نعم دائماً	أحياناً	لا	
السكن الوسط الاجتماعي	العدد آخر	13	8	0	21
	% du total	6,0%	3,7%	0,0%	9,6%
	العدد دار مغربية عصرية	29	16	6	51
	% du total	13,3%	7,3%	2,8%	23,4%
	العدد سكن عشوائي	35	11	6	52
	% du total	16,1%	5,0%	2,8%	23,9%
	العدد سكن قروي	18	8	5	31
	% du total	8,3%	3,7%	2,3%	14,2%
	العدد شقة	34	8	7	49
	% du total	15,6%	3,7%	3,2%	22,5%
	العدد فيلا	10	3	1	14
	% du total	4,6%	1,4%	0,5%	6,4%
	Total العدد	139	54	25	218
	% du total	63,8%	24,8%	11,5%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	8,756 ^a	10	,055
Rapport de vraisemblance	11,042	10	,354
Association linéaire par linéaire	,080	1	,777
N d'observations valides	218		

a. 4 cellules (22,2%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 1,61.

من خلال جدول الاختبار أعلاه، يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,055 بمعامل الارتباط بيرسون، بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير أخذ الصور للأطباق المتناولة خارج المنزل، حيث اجابت 63,8 بالمائة من عينة البحث بأنها تقوم بأخذ صور لما تتناوله خارج المنزل، ومن داخل نفس النسبة نجد ان اعلى فئة تقوم بأخذ الصور للأطباق هي تلك التي تقطن في السكن العشوائي، وأقل فئة تأخذ صوراً للوجبات المتناولة خارج المنزل هي الفئة التي تقطن في فيلا، بينما عبر 25 بالمائة من مجموع عينة البحث عن كونهم لا يأخذون صوراً بشكل مطلق للوجبات التي يتناولونها خارج المنزل. وهذا ما يعزز صحة الافتراض بل ويؤكد بان هناك تحول للممارسات الغذائية والافعال التي أضحت ترافق هذه الممارسات وانتقال الغذاء من الحيز الفضائي الخاص إلى الاستهلاك الافتخاري. كما ان تصدر نسبة من يقطنون في سكن عشوائي فئة من يأخذون صوراً للوجبات التي تؤكل خارج المنزل، يعبر بشكل صريح على ميكانيزمات دفاعية تجاه الوضعية التي تعيش فيها هاته الفئة والتي تحاول ان تتماهى مع القيم الاستهلاكية التي تمارسها نخبة المجتمع الاستهلاكي وتغطي من خلالها على هشاشة أوضاعها وتتحايل بها على واقعها الفيزيقي الملموس.

ج-جدول التقاطع الخاص بسؤال: إذا كان الجواب نعم هل تقوم بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي بدلالة متغير السكن/ الوسط الاجتماعي

	إذا كان الجواب نعم هل تقوم بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي			Total
	نعم دائماً	أحياناً	لا	
السكن الوسط الاجتماعي	العدد 13 % du total 6,0%	8 3,7%	0 0,0%	21 9,6%
دار مغربية عصرية	العدد 29 % du total 13,3%	16 7,3%	6 2,8%	51 23,4%
سكن عشوائي	العدد 25 % du total 11,5%	21 9,6%	6 2,8%	52 23,9%
سكن قروي	العدد 3 % du total 1,4%	5 2,3%	23 10,6%	31 14,2%
شقة	العدد 33 % du total 15,1%	8 3,7%	8 3,7%	49 22,5%
فيلا	العدد 10 % du total 4,6%	3 1,4%	1 0,5%	14 6,4%
Total	العدد 113 % du total 51,8%	61 28,0%	44 20,2%	218 100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	77,027 ^a	10	,000
Rapport de vraisemblance	69,346	10	,000
Association linéaire par linéaire	,972	1	,324
N d'observations valides	218		

- a. 3 cellules (16,7%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 2,83.

من خلال جدول الاختبار أعلاه، توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,00 بمعامل الارتباط بيرسون، بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير نشر الصور على مواقع التواصل الاجتماعي للأطباق المتناولة خارج المنزل، حيث أجابت 51,8 بالمائة بأنها تقوم بنشرها، ومن نفس النسبة أيضا احتلت الفئة التي تقطن شقة نسبة الصدارة في نشر صور الوجبات المتناولة خارج المنزل، وهو ما يفسر الفروق الإحصائية الدالة بين الأوساط الاجتماعية ومدى استعدادهم لنشر صور الوجبات المتناولة خارج المنزل، بينما عبرت 20,2 بالمائة من العينة المدروسة بكونها لا تقوم بنشر صورها على مواقع التواصل الاجتماعي.

ح- جدول التقاطع الخاص ب سؤال: هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل بدلالة النوع الاجتماعي.

Tableau croisé

			هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل			Total
			لا	أحيانا	نعم	
النوع	رجل	Effectif	5	17	73	95
		% du total	2,3%	7,8%	33,5%	43,6%
	إمرأة	Effectif	12	27	84	123
		% du total	5,5%	12,4%	38,5%	56,4%
Total		Effectif	17	44	157	218
		% du total	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	2,369 ^a	2	,306
Rapport de vraisemblance	2,428	2	,297
Association linéaire par linéaire	2,353	1	,125
N d'observations valides	218		

a. 0 cellules (0,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 7,41.

من خلال جدول الاختبار أعلاه لا توجد علاقة ذات فروق دالة إحصائية بين متغير النوع الاجتماعي ومتغير تناول الوجبات خارج المنزل، حيث أظهرت أجوبة العينة المبحوثة بدلالة النوع (رجل/امرأة) غياب تباين على مستوى الاختيارات المؤطرة لأجوبة السؤال المطروح، وهذا ما يعزز الافتراض القائل بالتحول القروي الحضري، حيث ان السلوك الاستهلاكي المتعلق بالمجال المدروس لا يتحدد على معطى النوع الاجتماعي، وقد عبرت 72 بالمائة بأنها تتناول وجبات خارج المنزل، مثلت فيها 33,5 بالمائة رجال، و38,5 بالمائة نساء. وهي نسب غير متباينة ومقاربة جدا ولا تشكل فروق دالة إحصائية على مستوى النوع الاجتماعي.

د- جدول التقاطع الخاص ب: عدد مرات تناول الوجبات خارج المنزل في اليوم بدلالة النوع الاجتماعي.

		الأسبوع في المنزل خارج وجبات فيها تتناول التي المرات عدد كم						Total
		مرة واحدة	مرتين	ثلاث مرات	أربع مرات	خمس مرات	يومية	
رجل النوع	العدد	16	16	31	1	13	14	91
	% du total	7,8%	7,8%	15,2%	0,5%	6,4%	6,9%	44,6%
إمرأة	العدد	4	26	40	2	19	22	113
	% du total	2,0%	12,7%	19,6%	1,0%	9,3%	10,8%	55,4%
Total	العدد	20	42	71	3	32	36	204
	% du total	9,8%	20,6%	34,8%	1,5%	15,7%	17,6%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	11,722 ^a	5	,039
Rapport de vraisemblance	12,145	5	,033
Association linéaire par linéaire	3,161	1	,075
N d'observations valides	204		

a. 2 cellules (16,7%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 1,34.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,039 بمعامل الارتباط بيرسون، بين متغير النوع الاجتماعي ومتغير عدد مرات تناول الوجبات في الأسبوع، حيث مثلت اختيار "ثلاث مرات في الأسبوع" أكثر عبارة ترددا بنسبة 34,8 بالمائة من مجموع المستجوبين الذين عبروا "بنعم"، وتوزعت بدلالة النوع الاجتماعي بنسبة 15,2 بالمائة رجل، و19,6 امرأة، ونجد القراءة الأفقية للنوع الاجتماعي، ان نفس النسب السابقة المتعلقة باختيارات الرجل والمرأة حول عدد مرات تناول الوجبات، تمثل كذلك أعلى النسب لاختياراتهما معا بدلالة نوعهما الاجتماعي.

ذ- جدول التقاطع الخاص ب سؤال: هل تقوم بأخذ صور للوجبات المتناولة خارج المنزل بدلالة النوع الاجتماعي.

		في حالة تناول إحدى الوجبات خارج المنزل هل تقوم بأخذ صور لما تناولته			Total
		نعم دائماً	أحياناً	لا	
رجل النوع	Effectif	58	26	11	95
	% du total	26,6%	11,9%	5,0%	43,6%
إمرأة	Effectif	81	28	14	123
	% du total	37,2%	12,8%	6,4%	56,4%
Total	Effectif	139	54	25	218
	% du total	63,8%	24,8%	11,5%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	,654 ^a	2	,721
Rapport de vraisemblance	,652	2	,722
Association linéaire par linéaire	,278	1	,598
N d'observations valides	218		

a. 0 cellules (0,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 10,89.

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,721 بمعامل الارتباط بيرسون، بين متغير النوع الاجتماعي ومتغير اخذ الصور للوجبات المتناولة خارج المنزل، وهذا ما يبين انتفاء التباين الحاصل على مستوى النوع الاجتماعي، حيث مثلت الاختيارات المتاحة شبه اجماع عليها بدلالة النوع، والقراءة المتقاطعة للجدول توضح ان اعلى نسبة 63,8 بالمائة اجابت بنعم، توزعت بين 26,6 بالمائة رجل، 37,5 بالمائة امرأة، وهي اعلى نسب في اختياراتهما معاً، بينما اخدت "عبارة" أحيانا المرتبة الثانية في اختياراتهما معاً بنسبة 24,8 بالمائة 11,9 بالمائة منها رجال و12,8 بالمائة نساء.

ر - جدول التقاطع الخاص ب: هل تقوم بنشر الصور المأخوذة للأطباق على مواقع التواصل الاجتماعي بدلالة النوع الاجتماعي.

		إذا كان الجواب نعم هل تقوم بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي			Total
		نعم دائماً	أحياناً	لا	
رجل النوع	Effectif	49	34	12	95
	% du total	22,5%	15,6%	5,5%	43,6%
إمرأة	Effectif	64	27	32	123
	% du total	29,4%	12,4%	14,7%	56,4%
Total	Effectif	113	61	44	218
	% du total	51,8%	28,0%	20,2%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	8,428 ^a	2	,015
Rapport de vraisemblance	8,629	2	,013
Association linéaire par linéaire	1,439	1	,230
N d'observations valides	218		

a. 0 cellules (0,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 19,17.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,015 بمعامل الارتباط بيرسون، مع تباين على مستوى اختيارات المستجوبين، ومثلت إجابة "نعم دائماً" أعلى نسبة 51,8 بالمائة، شكلت فيها نسبة الرجال 22,5 بالمائة و29,4 بالماء نساء، ويحصل التباين على مستوى نشر الصور بدلالة النوع الاجتماعي بالنسبة لعبارة "أحياناً" وعبارة "لا"، فبالنسبة للرجال نجد ان عبارة "أحياناً" تمثل نسبة 15,6 بالمائة وعبارة "لا" تمثل 5,5 بالمائة بينما نجد افقياً بالنسبة للنساء، تباين حاصل على هذا المستوى قياساً على اختيارات الرجال، فقد عبرت 12,4 بالمائة بـ "أحياناً، و14,7 بالمائة بأنها لا تقوم بنشر صور الوجبات المتناولة خارج المنزل على مواقع التواصل الاجتماعي.

الفرضية الثانية أدت تحولات البنية المجالية للناظر إلى تغيير العادات الشرائية لدى الأسر الريفية في بُعدها المكاني (الفضاء الاجتماعي الغذائي)، أي التحول من السوق الأسبوعي كوجهة وحيدة للتسوق إلى اختيارات متعددة.

أ- جدول التقاطع الخاص بسؤال: ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

		ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء				Total
		السوق الأسبوعي	متجر الحي	المراكز التجارية الكبيرة	السوق البلدي السويقة	
الفئة السوسيو مهنية	العدد	35	1	16	1	53
	فلاح/مزارع	66,0%	1,9%	30,2%	1,9%	100,0%
	ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	64,8%	2,6%	16,8%	3,3%	24,3%
الفئة السوسيو مهنية	العدد	11	25	38	17	91
	مُستقل مهن حرة / حرفي	12,1%	27,5%	41,8%	18,7%	100,0%
	ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	20,4%	64,1%	40,0%	56,7%	41,7%
موظف بالقطاع العام	العدد	2	0	17	7	26
	الفئة السوسيو مهنية	7,7%	0,0%	65,4%	26,9%	100,0%
	ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	3,7%	0,0%	17,9%	23,3%	11,9%
موظف بالقطاع		العدد	1	1	0	3

الخاص	الفئة السوسيو مهنية	33,3%	33,3%	33,3%	0,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		1,9%	2,6%	1,1%	0,0%	1,4%
مُشغل صاحب مقالة	العدد	1	2	3	4	10
	الفئة السوسيو مهنية	10,0%	20,0%	30,0%	40,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		1,9%	5,1%	3,2%	13,3%	4,6%
عاطل عن العمل	العدد	0	3	14	0	17
	الفئة السوسيو مهنية	0,0%	17,6%	82,4%	0,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		0,0%	7,7%	14,7%	0,0%	7,8%
طالب	العدد	2	1	2	1	6
	الفئة السوسيو مهنية	33,3%	16,7%	33,3%	16,7%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		3,7%	2,6%	2,1%	3,3%	2,8%
ربة بيت	العدد	2	6	4	0	12
	الفئة السوسيو مهنية	16,7%	50,0%	33,3%	0,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		3,7%	15,4%	4,2%	0,0%	5,5%
Total	العدد	54	39	95	30	218
	الفئة السوسيو مهنية	24,8%	17,9%	43,6%	13,8%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	106,968 ^a	21	,000
Rapport de vraisemblance	112,678	21	,000
Association linéaire par linéaire	5,554	1	,018
N d'observations valides	218		

a. 20 cellules (62,5%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,41.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,00 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير الوجهة المفضلة ومتغير الفئة السوسيو- مهنية، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 43,5 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الفئة السوسيو- مهنية بأنها ترداد المراكز التجارية الكبيرة كوجهة مفضلة من أجل شراء حاجاتهم من الغذاء، وقد تشكلت هذه النسبة من عدة فئات متباينة فيما بينها، تبرز من خلالها تأثير الوسط السوسيو- مهني في تشكيل الاتجاهات،

حيث نجد ان المستقلين وذوي المهن الحرة هم اكبر فئة سوسيو مهنية ترداد المراكز التجارية الكبرى بنسبة 41,8 بالمائة، تليها فئة الموظفين بالقطاع العام. في نفس الجدول من خلال القراءة العمودية يتضح تباين الإجابات على مستوى السوق الأسبوعي كوجهة ثانوية مفضلة لدى العينة المبحوثة، حيث شكل هذا الاختيار 24,8 بالمائة من العدد الإجمالي للمستجوبين، ومثلت نسبة الفلاحين 64,8 بالمائة من اجمالي العينة التي اختارت السوق الأسبوعي كوجهة مفضلة، بينما احتل السوق البلدي او السويقة المرتبة الأخيرة بنسبة 13,8 بالمائة شكلت منها الفئة المقاولين والمشغلين مكانة الصدارة بنسبة 40 بالمائة.

تحيلنا هذه المعطيات الكمية على ان التحولات المجالية المرتبطة بانتقال المجتمع واشكال تضامنه وأدواره الوظيفية التي يشغلها أعضاؤه، غيرت من العادات الشرائية لدى الأسر الريفية، حيث عبرت الفئات التي تقطن في الوسط الحضري وتشغل وظائف اجتماعية معينة في النسق الاجتماعي على اختيارات تبين تأثير التحول في تغيير العادات الشرائية، حيث تحول السوق الأسبوعي الى وجهة ثانوية في التسوق وتشتت فئة الفلاحين بهذه الوجهة، هو تعبير صريح على ان هذه الفئة لا زالت محافظة على أنماط الحياة التقليدية، بينما اتجهت الفئات التي تشغل وظائف اجتماعية في النسق الحضري للمدينة نحو اختيارات متعلقة بالتسوق من المراكز التجارية الكبرى.

ب-جدول التقاطع الخاص بسؤال: ما هي الأسباب التي تشجعك على الذهاب للتسوق من هذه الوجهة بدلالة النوع الاجتماعي.

Tableau croisé

		ما هي الأسباب التي تشجعك على الذهاب للتسوق من هذه الوجهة				Total	
		القرب	تنوع المنتجات	جودة المنتجات	التمن منخفض		
النوع	رجل	Effectif	35	47	0	13	95
		% du total	16,1%	21,6%	0,0%	6,0%	43,6%
	إمرأة	Effectif	40	57	1	25	123
		% du total	18,3%	26,1%	0,5%	11,5%	56,4%
Total		Effectif	75	104	1	38	218
		% du total	34.4%	47.7%	0.5%	17,4%	100.0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	2,530 ^a	3	,470
Rapport de vraisemblance	2,932	3	,402
Association linéaire par linéaire	1,730	1	,188
N d'observations valides	218		

a. 2 cellules (25,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,44.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,470 حسب معامل الارتباط بيرسون بين متغير الأسباب التي تشجعك على الذهاب الى التسوق من الوجهة المفضلة ومتغير النوع الاجتماعي. وبالتالي غياب التباين هو دال في حد ذاته بخصوص تأثير تحولات البنية المجالية للناظر الى تغير العادات الشرائية، النوع الاجتماعي غير مؤثر في الأسباب التي تشجع على الذهاب الى التسوق من الوجهة المفضلة.

ت- جدول التقاطع الخاص بسؤال: ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء بدلالة متغير السكن/الوسط الاجتماعي

	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء				Total
	السوق الأسبوعي	متجر الحي	المراكز التجارية الكبيرة Supermarchés	السوق البلدي السوقية	
العدد	1	4	16	0	21
آخر السكن الوسط الاجتماعي	4,8%	19,0%	76,2%	0,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	1,9%	10,3%	16,8%	0,0%	9,6%
العدد	1	23	27	0	51
دار مغربية	2,0%	45,1%	52,9%	0,0%	100,0%
عصرية	1,9%	59,0%	28,4%	0,0%	23,4%
العدد	17	8	20	7	52
سكن عشوائي	32,7%	15,4%	38,5%	13,5%	100,0%

ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	31,5%	20,5%	21,1%	23,3%	23,9%
العدد	27	0	4	0	31
السكن الوسط الاجتماعي	87,1%	0,0%	12,9%	0,0%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	50,0%	0,0%	4,2%	0,0%	14,2%
العدد	2	0	25	22	49
السكن الوسط الاجتماعي	4,1%	0,0%	51,0%	44,9%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	3,7%	0,0%	26,3%	73,3%	22,5%
العدد	6	4	3	1	14
السكن الوسط الاجتماعي	42,9%	28,6%	21,4%	7,1%	100,0%
ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	11,1%	10,3%	3,2%	3,3%	6,4%
Total	العدد	54	39	95	218
	السكن الوسط الاجتماعي	24,8%	17,9%	43,6%	13,8%
	ماهي وجهتكم من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	175,360 ^a	15	,05
Rapport de vraisemblance	180,383	15	,000
Association linéaire par linéaire	,534	1	,465
N d'observations valides	218		

a. 6 cellules (25,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 1,93.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,05 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير الوجهة المفضلة ومتغير الوسط الاجتماعي، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 43,5 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي على أنها تفضل المراكز التجارية الكبرى، واحتلت الفئة البيت تقطن في شقة نسبة الصدارة ب 26,3 بالمائة من اجمالي العينة المدروسة، بينما شكل السوق البلدي او السويقة اقل نسبة ب 13,8 بالمائة.

ث- جدول التقاطع الخاص بسؤال: ما هي الأسباب التي تشجعك على الذهاب للتسوق من هذه الوجهة بدلالة الوسط الاجتماعي.

		ما هي الأسباب التي تشجعك على الذهاب للتسوق من هذه الوجهة				Total	
		القرب	تنوع المنتجات	جودة المنتجات	التمن منخفض		
السكن_الوسط الإجمالي	آخر	Effectif	8	12	0	1	21
		% du total	3,7%	5,5%	0,0%	0,5%	9,6%
	دار_مغربية_عصرية	Effectif	20	20	1	10	51
		% du total	9,2%	9,2%	0,5%	4,6%	23,4%
	سكن_عشوائي	Effectif	17	30	0	5	52
		% du total	7,8%	13,8%	0,0%	2,3%	23,9%
	سكن_قروي	Effectif	11	10	0	10	31
		% du total	5,0%	4,6%	0,0%	4,6%	14,2%
	شقة	Effectif	16	25	0	8	49
		% du total	7,3%	11,5%	0,0%	3,7%	22,5%
	فيلا	Effectif	3	7	0	4	14
		% du total	1,4%	3,2%	0,0%	1,8%	6,4%
Total		Effectif	75	104	1	38	218
		% du total	34,4%	47,7%	0,5%	17,4%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	17,248 ^a	15	,304
Rapport de vraisemblance	17,316	15	,300
Association linéaire par linéaire	2,432	1	,119
N d'observations valides	218		

a. 9 cellules (37,5%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,06.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,304 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير الوجهة المفضلة ومتغير الفئة السوسيو- مهنية، وتمثلت غياب الفروق الإحصائية من خلال عدم تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 47,7 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي انها تختار وجهتها المفضلة بناء على تنوع المنتجات وقد شكل هذا الاختيار شبه اجماع بين مختلف الأوساط الاجتماعية المدروسة.

تحيلنا هذه المعطيات الكمية على ان التحولات المجالية المرتبطة بانتقال المجتمع واشكال بنياته المجالية، غيرت من العادات الشرائية لدى الأسر الريفية، حيث عبرت الفئات التي تقطن في الوسط الحضري وتشغل وظائف اجتماعية معينة في النسق الاجتماعي على اختيارات تبين تأثير التحول في تغيير العادات الشرائية، حيث تتجه الاختيارات بناء على سوق استهلاكي والبحث عن اختيارات متعددة كالتي تتيحها المراكز الكبرى للتسوق.

الفرضية الثالثة:

بالرغم من إن الاستهلاك الغذائي بمدينة الناظور هو استهلاك ينصهر في نسق سوسيو-اقتصادي واحد، انطلاقا مما يبدو من تقارب في السلوكات والممارسات الغذائية لنفس أعضاء المجموعة الاجتماعية، بسبب انتمائهم لعصبية واحدة. غير أنه في نفس الوقت هو استهلاك افتخاري مبني على محاكاة طبقة لأخرى، تُحركه آليات دفاعية فئوية، ينتقل فيها الغذاء من حاجة بيولوجية إلى ارتقاء وتميز اجتماعي.

أ - جدول التقاطع الخاص بسؤال: ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل بدلالة متغير السكن/الوسط الاجتماعي

	ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل				Total
	الترفيه والترويح عن النفس	الاقتحار والتباهي	الاضطرار	تغيير النمط الغذائي اليومي	
العدد	10	2	6	3	21
السكن/الوسط الاجتماعي	47,6%	9,5%	28,6%	14,3%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	7,9%	18,2%	14,0%	8,1%	9,6%
% du total	4,6%	0,9%	2,8%	1,4%	9,6%
العدد	31	2	11	7	51
السكن/الوسط الاجتماعي	60,8%	3,9%	21,6%	13,7%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	24,4%	18,2%	25,6%	18,9%	23,4%
% du total	14,2%	0,9%	5,0%	3,2%	23,4%
العدد	29	2	8	13	52
السكن/الوسط الاجتماعي	55,8%	3,8%	15,4%	25,0%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	22,8%	18,2%	18,6%	35,1%	23,9%
% du total	13,3%	0,9%	3,7%	6,0%	23,9%
العدد	18	4	2	7	31
السكن/الوسط الاجتماعي	58,1%	12,9%	6,5%	22,6%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	14,2%	36,4%	4,7%	18,9%	14,2%
% du total	8,3%	1,8%	0,9%	3,2%	14,2%
العدد	30	1	13	5	49
السكن/الوسط الاجتماعي	61,2%	2,0%	26,5%	10,2%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	23,6%	9,1%	30,2%	13,5%	22,5%
% du total	13,8%	0,5%	6,0%	2,3%	22,5%
العدد	9	0	3	2	14
السكن/الوسط الاجتماعي	64,3%	0,0%	21,4%	14,3%	100,0%
ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	7,1%	0,0%	7,0%	5,4%	6,4%
% du total	4,1%	0,0%	1,4%	0,9%	6,4%
العدد	127	11	43	37	218
السكن/الوسط الاجتماعي	58,3%	5,0%	19,7%	17,0%	100,0%

ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
% du total	58,3%	5,0%	19,7%	17,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	23,456 ^a	14	0,126
Rapport de vraisemblance	24,11	14	,044
Association linéaire par linéaire	,437	1	,508
N d'observations valides	218		

a. 12 cellules (50,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,39.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,126 بمعامل الارتباط بيرسون بين سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل ومتغير السكن/الوسط الاجتماعي، وتمثلت غياب الفروق الإحصائية من خلال عدم تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 58,3 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي أن سبب تناولها لوجبات خارج المنزل هو البحث على الترفيه والترويح عن النفس، وفي هذا الاختيار نجد أيضا أن أعلى نسبة بدلالة الوسط الاجتماعي تمثلها الفئة التي تقطن في دار مغربية عصرية، حيث أن 24 بالمائة منهم يتجهون نحو الترفيه والترويح عن النفس، ومن خلال قراءة تقاطع أنواع السكن الاجتماعي مع اختيار الترفيه والترويح عن النفس نجد أن نسبة 64,3 بالمائة تشكل أعلى نسبة داخل الاختيارات المتعلقة بالترفيه في تقاطعها مع كل فئة ونسبتها من إجمالي ممن يتشاركون معها نفس العنصر المشكل للفئة الاجتماعية، وأقل نسبة هي 47,6 بالمائة. وبالتالي فإن أعضاء الأوساط الاجتماعية باختلافاتهم يتجهون نحو استهلاك مبني على الترفيه والترويح على النفس، بينما لا يشكل الاستهلاك الاضطراري سوى 17 بالمائة من إجمالي العينة المدروسة. ويحينا عدم التباين

الى ان الاستهلاك ينصهر فعلا في نسق سوسيواقتصادي واحد، تتقارب فيه السلوكات والممارسات الغذائية لتفس أعضاء المجموعة الاجتماعية.

ب -جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية مرتقبة بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

		هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية مرتقبة			Total
		نعم	أحيانا	لا	
الفئة السوسيو مهنية	Effectif	8	24	21	53
	الفئة السوسيو مهنية	15,1%	45,3%	39,6%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	28,6%	35,8%	17,1%	24,3%
مُستقل مهنة حرة حرفي	Effectif	8	25	58	91
	الفئة السوسيو مهنية	8,8%	27,5%	63,7%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	28,6%	37,3%	47,2%	41,7%
موظف بالقطاع لعام	Effectif	3	5	18	26
	الفئة السوسيو مهنية	11,5%	19,2%	69,2%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	10,7%	7,5%	14,6%	11,9%
موظف بالقطاع الخاص	Effectif	0	0	3	3
	الفئة السوسيو مهنية	0,0%	0,0%	100,0%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	0,0%	0,0%	2,4%	1,4%
مُشغل صاحب مقالة	Effectif	3	1	6	10
	الفئة السوسيو مهنية	30,0%	10,0%	60,0%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	10,7%	1,5%	4,9%	4,6%
عاطل عن العمل	Effectif	2	5	10	17
	الفئة السوسيو مهنية	11,8%	29,4%	58,8%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	7,1%	7,5%	8,1%	7,8%
طالب	Effectif	0	3	3	6
	الفئة السوسيو مهنية	0,0%	50,0%	50,0%	100,0%
	هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لاضائات غذائية	0,0%	4,5%	2,4%	2,8%

ربة بيت	Effectif	4	4	4	12
الفئة السوسيو مهنية		33,3%	33,3%	33,3%	100,0%
هل تدخر أسرتك مواد غذائية كاحتياطات		14,3%	6,0%	3,3%	5,5%
تحسباً لضمانات غذائية					
Total	Effectif	28	67	123	218
الفئة السوسيو مهنية		12,8%	30,7%	56,4%	100,0%
هل تدخر أسرتك مواد غذائية كاحتياطات					
تحسباً لضمانات غذائية		100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	23,456 ^a	14	,053
Rapport de vraisemblance	24,161	14	,044
Association linéaire par linéaire	,437	1	,508
N d'observations valides	218		

a. 12 cellules (50,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,39.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,053 بمعامل الارتباط بيرسون بين سلوك الادخار ومتغير السكن/الوسط الاجتماعي، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 56,4 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي بأنها لا تقوم بالادخار ومن نفس النسب نجد أعضاء المجموعات الاجتماعية المتعلقة بالوسط الاجتماعي يتجهون نحو نفس هذا الاختيار ان استثنينا فئة الفلاحين والمزارعين الذين يحافظون على فعل الادخار أحياناً، بينما تمثل الإجابة بعدم الادخار نسبة الصدارة داخل كل الفئات السوسيو مهنية المتبقية. وتحيل هذه المعطيات الكمية على تقارب وتشابه السلوكات والممارسات الغذائية بين مختلف الأوساط الاجتماعية.

ت-جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تدخر أسرتك مواد غذائية كاحتياطات تحسباً لضائقات غذائية مرتقبة بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

		هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل			Total
		لا	أحياناً	نعم	
السكن_الوسط الاجتماعي	Effectif	3	15	3	21
	السكن_الوسط الاجتماعي	14,3%	71,4%	14,3%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	17,6%	34,1%	1,9%	9,6%
	% du total	1,4%	6,9%	1,4%	9,6%
	Effectif	1	3	47	51
	السكن_الوسط الاجتماعي	2,0%	5,9%	92,2%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	5,9%	6,8%	29,9%	23,4%
	% du total	0,5%	1,4%	21,6%	23,4%
	Effectif	0	3	49	52
	% dans السكن_الوسط الاجتماعي	0,0%	5,8%	94,2%	100,0%
السكن_الوسط الاجتماعي	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	6,8%	31,2%	23,9%
	% du total	0,0%	1,4%	22,5%	23,9%
	Effectif	11	12	8	31
	السكن_الوسط الاجتماعي	35,5%	38,7%	25,8%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	64,7%	27,3%	5,1%	14,2%
	% du total	5,0%	5,5%	3,7%	14,2%
	Effectif	2	6	41	49
	السكن_الوسط الاجتماعي	4,1%	12,2%	83,7%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	11,8%	13,6%	26,1%	22,5%
	% du total	0,9%	2,8%	18,8%	22,5%
السكن_الوسط الاجتماعي	Effectif	0	5	9	14
	السكن_الوسط الاجتماعي	0,0%	35,7%	64,3%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	11,4%	5,7%	6,4%
	% du total	0,0%	2,3%	4,1%	6,4%
	Effectif	17	44	157	218
	السكن_الوسط الاجتماعي	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%
	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
	% du total	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%
	Effectif	17	44	157	218
	السكن_الوسط الاجتماعي	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%
Total	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
	% du total	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	112,552 ^a	10	,000
Rapport de vraisemblance	103,610	10	,000
Association linéaire par linéaire	,196	1	,658
N d'observations valides	218		

a. 8 cellules (44,4%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 1,09.

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,05 بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير تناول وجبات خارج المنزل، حيث يشير معامل الارتباط بيرسون الى 0,00 وهو مستوى للشك في قبول الفرضية الترجيحية او رفضها، وبما ان هذا المعامل اقل من 0,05 فإننا نرفض الفرضية الصفرية او مستوى الشك في صحة الفرضية الترجيحية، ونقول بأن الاستهلاك m الغذائي بمدينة الناظور ينصهر في الاتجاه نحو استهلاك في الفضاء الخارجي.

ث - جدول التقاطع الخاص بسؤال: ما هو في نظرك سبب تناول الأسر لوجبات خارج المنزل بدلالة الفئة السوسيو-مهنية.

	ما هو في نظرك سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل				Total
	الترفيه والترويح عن النفس	الإفطار والتباهي	الإضطراب	تغيير النمط الغذائي اليومي	
Effectif	33	4	7	9	53
الفئة السوسيو-مهنية	62,3%	7,5%	13,2%	17,0%	100,0%
ما هو سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	26,0%	36,4%	16,3%	24,3%	24,3%
% du total	15,1%	1,8%	3,2%	4,1%	24,3%
Effectif	51	3	21	16	91
الفئة السوسيو-مهنية	56,0%	3,3%	23,1%	17,6%	100,0%
ما هو سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	40,2%	27,3%	48,8%	43,2%	41,7%
% du total	23,4%	1,4%	9,6%	7,3%	41,7%
Effectif	14	1	7	4	26
الفئة السوسيو-مهنية	53,8%	3,8%	26,9%	15,4%	100,0%
ما هو سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	11,0%	9,1%	16,3%	10,8%	11,9%
% du total	6,4%	0,5%	3,2%	1,8%	11,9%
Effectif	2	0	0	1	3
الفئة السوسيو-مهنية	66,7%	0,0%	0,0%	33,3%	100,0%
ما هو سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	1,6%	0,0%	0,0%	2,7%	1,4%
% du total	0,9%	0,0%	0,0%	0,5%	1,4%
Effectif	6	0	3	1	10
الفئة السوسيو-مهنية	60,0%	0,0%	30,0%	10,0%	100,0%
ما هو سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل	4,7%	0,0%	7,0%	2,7%	4,6%
% du total	2,8%	0,0%	1,4%	0,5%	4,6%
Effectif	8	2	4	3	17
% dans الفئة السوسيو-مهنية	47,1%	11,8%	23,5%	17,6%	100,0%

ماهو سبب تناول الأسر للوجبات خارج لمنزل	6,3%	18,2%	9,3%	8,1%	7,8%
% du total	3,7%	0,9%	1,8%	1,4%	7,8%
Effectif طالب	4	0	0	2	6
الفئة_السوسيومهنية	66,7%	0,0%	0,0%	33,3%	100,0%
ماهو سبب تناول الأسر للوجبات خارج لمنزل	3,1%	0,0%	0,0%	5,4%	2,8%
% du total	1,8%	0,0%	0,0%	0,9%	2,8%
Effectif ربة بيت	9	1	1	1	12
الفئة_السوسيومهنية	75,0%	8,3%	8,3%	8,3%	100,0%
ماهو سبب تناول الأسر للوجبات خارج لمنزل	7,1%	9,1%	2,3%	2,7%	5,5%
% du total	4,1%	0,5%	0,5%	0,5%	5,5%
Effectif Total	127	11	43	37	218
الفئة_السوسيومهنية	58,3%	5,0%	19,7%	17,0%	100,0%
ماهو سبب تناول الأسر للوجبات خارج لمنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
% du total	58,3%	5,0%	19,7%	17,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	13,251 ^a	21	,900
Rapport de vraisemblance	15,546	21	,795
Association linéaire par linéaire	,146	1	,702
N d'observations valides	218		

a. 21 cellules (65,6%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,15.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,900 بمعامل الارتباط بيرسون بين سبب تناول الأسر للوجبات خارج المنزل ومتغير الفئة السوسيومهنية وتمثلت غياب الفروق الإحصائية من خلال عدم تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 58,3 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي أن سبب تناولها لوجبات خارج المنزل هو البحث على الترفيه والترويح عن النفس، ومن

داخل نفس الفئات السوسيو مهنية، نجد ان هناك اجماع حول هذا الاختيار بالنسبة لكل فئة على حدة، وهو ما يؤكد صحة الافتراض القائل بان السلوك الغذائي يبني على محاكاة فئة لأخرى وتحركه آليات دفاعية فنوية يتمظهر في أسباب الاستهلاك وانتقال هذا الاستهلاك من تلبية حاجة بيولوجية الى تلبية رغبة الترفيه والترويح والتي تأخذ ظاهريا الارتقاء والتميز.

ج- جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تتناول وجبات جاهزة خارج البيت بدلالة الفئة السوسيو مهنية

	هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل			Total
	لا	أحيانا	نعم	
Effectif الفئة_ السوسيو مهنية فلاح/مزارع	11	19	23	53
% dans الفئة_ السوسيو مهنية	20,8%	35,8%	43,4%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	64,7%	43,2%	14,6%	24,3%
% du total	5,0%	8,7%	10,6%	24,3%
Effectif مُستقل_ مهن حرة_ حرفي	3	6	82	91
% dans الفئة_ السوسيو مهنية	3,3%	6,6%	90,1%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	17,6%	13,6%	52,2%	41,7%
% du total	1,4%	2,8%	37,6%	41,7%
Effectif موظف_ بالقطاع_ العام	1	7	18	26
% dans الفئة_ السوسيو مهنية	3,8%	26,9%	69,2%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	5,9%	15,9%	11,5%	11,9%
% du total	0,5%	3,2%	8,3%	11,9%
Effectif موظف_ بالقطاع_ الخاص	0	1	2	3
% dans الفئة_ السوسيو مهنية	0,0%	33,3%	66,7%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	2,3%	1,3%	1,4%
% du total	0,0%	0,5%	0,9%	1,4%
Effectif مُشغل_ صاحب_ مقالة	0	3	7	10
% dans الفئة_ السوسيو مهنية	0,0%	30,0%	70,0%	100,0%

هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	6,8%	4,5%	4,6%
% du total	0,0%	1,4%	3,2%	4,6%
Effectif	0	0	17	17
% dans الفئة السوسيو مهنية	0,0%	0,0%	100,0%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	0,0%	10,8%	7,8%
% du total	0,0%	0,0%	7,8%	7,8%
Effectif	0	1	5	6
% dans الفئة السوسيو مهنية	0,0%	16,7%	83,3%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	0,0%	2,3%	3,2%	2,8%
% du total	0,0%	0,5%	2,3%	2,8%
Effectif	2	7	3	12
% dans الفئة السوسيو مهنية	16,7%	58,3%	25,0%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	11,8%	15,9%	1,9%	5,5%
% du total	0,9%	3,2%	1,4%	5,5%
Effectif	17	44	157	218
% dans الفئة السوسيو مهنية	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%
هل تتناول وجبات جاهزة خارج المنزل	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
% du total	7,8%	20,2%	72,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	62,373 ^a	14	,000
Rapport de vraisemblance	65,884	14	,000
Association linéaire par linéaire	,573	1	,449
N d'observations valides	218		

a. 14 cellules (58,3%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,23.

من خلال جدول الاختبار أعلاه يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,00 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير تناول الوجبات خارج المنزل ومتغير الفئة السوسيو مهنية، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 72 بالمائة بأنها تتناول وجبات خارج المنزل، وقد شكلت نسبة أصحاب المهن الحرة أعلى نسبة 52,2 من إجمالي العينة المدروسة و 90,1 بالمائة من إجمالي الفئة التي تمثل أصحاب المهن الحرة/ اجابوا بنعم. بينما أجاب 64,7 بالمائة من الفلاحين والمزارعين بأنهم لا يتناولون وجبات خارج المنزل.

ح- جدول التقاطع الخاص بسؤال: من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

	من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة						Total
	مطاعم شعبية	مطاعم متوسطة	المحلات التجارية الكبرى	مقهى محل وجبة خفيفة محلية	موزعون في بيع وتسليم الوجبات الغذائية الجاهزة	مطاعم	
الفئة السوسيو مهنية	Effectif	12	27	4	8	1	53
فلاح/مزارع							
الفئة السوسيو مهنية		22,6%	50,9%	7,5%	15,1%	1,9%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		30,8%	24,3%	18,2%	24,2%	14,3%	24,7%
% du total		5,6%	12,6%	1,9%	3,7%	0,5%	24,7%
مُستقل مهن حرة حرفي	Effectif	11	49	12	14	2	89
الفئة السوسيو مهنية		12,4%	55,1%	13,5%	15,7%	2,2%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		28,2%	44,1%	54,5%	42,4%	28,6%	41,4%
% du total		5,1%	22,8%	5,6%	6,5%	0,9%	41,4%
موظف بالقطاع العام	Effectif	8	8	4	4	1	26
الفئة السوسيو مهنية		30,8%	30,8%	15,4%	15,4%	3,8%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		20,5%	7,2%	18,2%	12,1%	14,3%	12,1%
% du total		3,7%	3,7%	1,9%	1,9%	0,5%	12,1%
موظف بالقطاع الخاص	Effectif	0	2	0	1	0	3
الفئة السوسيو مهنية		0,0%	66,7%	0,0%	33,3%	0,0%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		0,0%	1,8%	0,0%	3,0%	0,0%	1,4%
% du total		0,0%	0,9%	0,0%	0,5%	0,0%	1,4%
مُشغل صاحب مقفولة	Effectif	3	3	2	2	0	10
الفئة السوسيو مهنية		30,0%	30,0%	20,0%	20,0%	0,0%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		7,7%	2,7%	9,1%	6,1%	0,0%	4,7%
% du total		1,4%	1,4%	0,9%	0,9%	0,0%	4,7%
عاطل عن العمل	Effectif	4	11	0	1	0	16
الفئة السوسيو مهنية		25,0%	68,8%	0,0%	6,3%	0,0%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		10,3%	9,9%	0,0%	3,0%	0,0%	7,4%
% du total		1,9%	5,1%	0,0%	0,5%	0,0%	7,4%
طالب	Effectif	0	5	0	1	0	6
الفئة السوسيو مهنية		0,0%	83,3%	0,0%	16,7%	0,0%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		0,0%	4,5%	0,0%	3,0%	0,0%	2,8%
% du total		0,0%	2,3%	0,0%	0,5%	0,0%	2,8%
ربة بيت	Effectif	1	6	0	2	3	12
الفئة السوسيو مهنية		8,3%	50,0%	0,0%	16,7%	25,0%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		2,6%	5,4%	0,0%	6,1%	42,9%	5,6%
% du total		0,5%	2,8%	0,0%	0,9%	1,4%	5,6%
Total	Effectif	39	111	22	33	7	215
الفئة السوسيو مهنية		18,1%	51,6%	10,2%	15,3%	3,3%	100,0%
من أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة		100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
% du total		18,1%	51,6%	10,2%	15,3%	3,3%	100,0%

من خلال الجدول أعلاه تتمثل أعلى نسبة في اختيارات المستجوبين حول الوجهة التي يشترون منها وجباتهم الجاهزة هي نسبة المطاعم المتوسطة، بنسبة 51,6 بالمائة، حيث احتل هذه الاختيار الصدارة كذلك بالنسبة لكل فئة على حدة ومثل أعلى نسبة داخل الفئات المستجوبة. وغياب التباين هو مؤشر دال على المحاكاة والاستهلاك المبني على الترفيه والترويح ويغيب فيه معطى الاضطرار.

د- جدول التقاطع الخاص بسؤال: الوجهة المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء.

			ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء				Total
			السوق_الأسبوعي	متجر_الحي	المراكز التجارية Supermarchés الكبيرة	السوق البلدي السوقية	
الفئة_السوسيومهنية	فلاح/مزارع	Effectif	35	1	16	1	53
		% dans الفئة_السوسيومهنية	66,0%	1,9%	30,2%	1,9%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		64,8%	2,6%	16,8%	3,3%	24,3%
	% du total		16,1%	0,5%	7,3%	0,5%	24,3%
مستقل_مهن حرة_حرفي		Effectif	11	25	38	17	91
		% dans الفئة_السوسيومهنية	12,1%	27,5%	41,8%	18,7%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		20,4%	64,1%	40,0%	56,7%	41,7%
	% du total		5,0%	11,5%	17,4%	7,8%	41,7%
موظف_بالقطاع العام		Effectif	2	0	17	7	26
		% dans الفئة_السوسيومهنية	7,7%	0,0%	65,4%	26,9%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		3,7%	0,0%	17,9%	23,3%	11,9%
	% du total		0,9%	0,0%	7,8%	3,2%	11,9%
موظف_بالقطاع الخاص		Effectif	1	1	1	0	3
		% dans الفئة_السوسيومهنية	33,3%	33,3%	33,3%	0,0%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		1,9%	2,6%	1,1%	0,0%	1,4%
	% du total		0,5%	0,5%	0,5%	0,0%	1,4%
مُشغل_صاحب_مقولة		Effectif	1	2	3	4	10
		% dans الفئة_السوسيومهنية	10,0%	20,0%	30,0%	40,0%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء		1,9%	5,1%	3,2%	13,3%	4,6%
	% du total		0,5%	0,9%	1,4%	1,8%	4,6%
عاطل عن العمل		Effectif	0	3	14	0	17
		% dans الفئة_السوسيومهنية	0,0%	17,6%	82,4%	0,0%	100,0%

	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	0,0%	7,7%	14,7%	0,0%	7,8%
	% du total	0,0%	1,4%	6,4%	0,0%	7,8%
طالب	Effectif	2	1	2	1	6
	%الفئة_السوسيومهنية dans	33,3%	16,7%	33,3%	16,7%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	3,7%	2,6%	2,1%	3,3%	2,8%
	% du total	0,9%	0,5%	0,9%	0,5%	2,8%
ربة بيت	Effectif	2	6	4	0	12
	%الفئة_السوسيومهنية dans	16,7%	50,0%	33,3%	0,0%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	3,7%	15,4%	4,2%	0,0%	5,5%
	% du total	0,9%	2,8%	1,8%	0,0%	5,5%
Total	Effectif	54	39	95	30	218
	%الفئة_السوسيومهنية dans	24,8%	17,9%	43,6%	13,8%	100,0%
	ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%
	% du total	24,8%	17,9%	43,6%	13,8%	100,0%

تمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين بعض أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 43,6 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الفئة السوسيومهنية على انها تفضل المراكز التجارية الكبرى، وهناك اجماع شبه عام على هذا الاختيار بالنسبة لمختلف الفئات السوسيومهنية، باستثناء فئة الفلاحين والمزارعين وفئة ربات البيوت.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع بدلالة متغير السكن
الوسط الاجتماعي

		الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع		Total
		5kg	5-10kg	
السكن الوسط الاجتماعي	Effectif	19	2	21
	السكن الوسط الاجتماعي	90,5%	9,5%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	9,6%	10,0%	9,6%
دار مغربية عصرية	Effectif	49	2	51
	السكن الوسط الاجتماعي	96,1%	3,9%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	24,7%	10,0%	23,4%
سكن عشوائي	Effectif	50	2	52
	السكن الوسط الاجتماعي	96,2%	3,8%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	25,3%	10,0%	23,9%
سكن قروي	Effectif	25	6	31
	السكن الوسط الاجتماعي	80,6%	19,4%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	12,6%	30,0%	14,2%
شقة	Effectif	42	7	49
	السكن الوسط الاجتماعي	85,7%	14,3%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	21,2%	35,0%	22,5%
فيلا	Effectif	13	1	14
	السكن الوسط الاجتماعي	92,9%	7,1%	100,0%
	% dans الكمية المستهلكة من اللحوم			
	الحمرء داخل أسرتك في الأسبوع	6,6%	5,0%	6,4%
Total	Effectif	198	20	218
	السكن الوسط الاجتماعي	90,8%	9,2%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء			
	داخل أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux			
	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	8,925 ^a	5	,112
Rapport de vraisemblance	8,760	5	,119
Association linéaire par linéaire	2,516	1	,113
N d'observations valides	218		

6 cellules (50,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 1,28.

1- الفرضية الرابعة:

يتجه النظام الغذائي للأسر الريفية بشكل عام، إلى استهلاك كميات كبيرة من الغذاء. أي المرور من الاستهلاك بالكفاف إلى الاستهلاك بالفائض مما أدى إلى تغيير في مكونات السلة الغذائية التي يحضر فيها البروتين الحيواني بشكل قوي.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

		الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع		Total
		-5kg	5-10kg	
الفئة السوسيو مهنية فلاح/مزارع	Effectif	44	9	53
	الفئة السوسيو مهنية	83,0%	17,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	22,2%	45,0%	24,3%
مُستقل مهن حرة حرفي	Effectif	87	4	91
	الفئة السوسيو مهنية	95,6%	4,4%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	43,9%	20,0%	41,7%
موظف بالقطاع العام	Effectif	21	5	26
	الفئة السوسيو مهنية	80,8%	19,2%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	10,6%	25,0%	11,9%
موظف بالقطاع الخاص	Effectif	3	0	3
	الفئة السوسيو مهنية	100,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	1,5%	0,0%	1,4%
مُشغل صاحب مقالة	Effectif	9	1	10
	الفئة السوسيو مهنية	90,0%	10,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	4,5%	5,0%	4,6%
عاطل عن العمل	Effectif	17	0	17
	الفئة السوسيو مهنية	100,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	8,6%	0,0%	7,8%
طالب	Effectif	6	0	6
	الفئة السوسيو مهنية	100,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	3,0%	0,0%	2,8%
ربة بيت	Effectif	11	1	12
	الفئة السوسيو مهنية	91,7%	8,3%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	5,6%	5,0%	5,5%
Total	Effectif	198	20	218
	الفئة السوسيو مهنية	90,8%	9,2%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل			
	أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم الحمراء، حيث نجد ان انتفاء التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,112 الذي تجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد ان مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم الحمراء 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف الأوساط الاجتماعية.

Tests du khi-deux			
	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	12,171 ^a	7	,095
Rapport de vraisemblance	13,704	7	,057
Association linéaire par linéaire	1,755	1	,185
N d'observations valides	218		

a. 8 cellules (50,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,28.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير الفئات السوسيو مهنية ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم الحمراء، حيث نجد ان انتفاء التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,095 الذي تجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد ان مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم الحمراء 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف الفئات السوسيو مهنية.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع بدلالة متغير المستوى الدراسي

		الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع		Total
		-5kg	5-10kg	
المستوى الدراسي	بدون	Effectif 2	1	3
	المستوى الدراسي	66,7%	33,3%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	1,0%	5,0%	1,4%
أولي	Effectif 2	2	4	
	المستوى الدراسي	50,0%	50,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	1,0%	10,0%	1,8%
ابتدائي	Effectif 13	2	15	
	المستوى الدراسي	86,7%	13,3%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	6,6%	10,0%	6,9%
اعدادي	Effectif 8	1	9	
	المستوى الدراسي	88,9%	11,1%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	4,0%	5,0%	4,1%
تأهيلي	Effectif 32	5	37	
	المستوى الدراسي	86,5%	13,5%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	16,2%	25,0%	17,0%
عالي	Effectif 141	9	150	
	المستوى الدراسي	94,0%	6,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	71,2%	45,0%	68,8%
Total	Effectif 198	20	218	
	المستوى الدراسي	90,8%	9,2%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم الحمراء داخل أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	13,104 ^a	5	,022
Rapport de vraisemblance	8,837	5	,116
Association linéaire par linéaire	8,705	1	,003
N d'observations valides	218		

a. 7 cellules (58,3%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,28.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير المستوى الدراسي ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم الحمراء، حيث نجد أن التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,022 الذي لا يتجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد أن مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم الحمراء 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف المستويات الدراسية باستثناء المستوى الدراسي الأولي.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع بدلالة متغير السكن
الوسط الاجتماعي

	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع			Total
	-5kg	5-10kg	10	
السكن الوسط الاجتماعي آخر Effectif	19	2	0	21
السكن الوسط الاجتماعي	90,5%	9,5%	0,0%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	10,4%	5,7%	0,0%	9,6%
دار مغربية عصرية Effectif	48	3	0	51
السكن الوسط الاجتماعي	94,1%	5,9%	0,0%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	26,4%	8,6%	0,0%	23,4%
سكن عشوائي Effectif	44	7	1	52
السكن الوسط الاجتماعي	84,6%	13,5%	1,9%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	24,2%	20,0%	100,0%	23,9%
سكن قروي Effectif	22	9	0	31
السكن الوسط الاجتماعي	71,0%	29,0%	0,0%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	12,1%	25,7%	0,0%	14,2%
شقة Effectif	38	11	0	49
السكن الوسط الاجتماعي	77,6%	22,4%	0,0%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	20,9%	31,4%	0,0%	22,5%
فيلا Effectif	11	3	0	14
السكن الوسط الاجتماعي	78,6%	21,4%	0,0%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	6,0%	8,6%	0,0%	6,4%
Total Effectif	182	35	1	218
السكن الوسط الاجتماعي	83,5%	16,1%	0,5%	100,0%
الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	13,657 ^a	10	,189
Rapport de vraisemblance	13,714	10	,186
Association linéaire par linéaire	5,629	1	,018
N d'observations valides	218		

a. 9 cellules (50,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,06.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير الوسط الاجتماعي ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم البيضاء، حيث نجد ان انتفاء التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,189 الذي تجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد ان مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم البيضاء

اقل من 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف الأوساط الاجتماعية

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع بدلالة متغير الفئة السوسيو مهنية

		الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع			Total
		-5kg	5-10kg	10	
الفئة السوسيو مهنية فلاح/مزارع	Effectif	41	12	0	53
	الفئة السوسيو مهنية	77,4%	22,6%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	22,5%	34,3%	0,0%	24,3%
مُستقل مهنة حرة حرفي	Effectif	81	9	1	91
	الفئة السوسيو مهنية	89,0%	9,9%	1,1%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	44,5%	25,7%	100,0%	41,7%
موظف بالقطاع العام	Effectif	21	5	0	26
	الفئة السوسيو مهنية	80,8%	19,2%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	11,5%	14,3%	0,0%	11,9%
موظف بالقطاع الخاص	Effectif	3	0	0	3
	الفئة السوسيو مهنية	100,0%	0,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	1,6%	0,0%	0,0%	1,4%
مُشغل صاحب مقالة	Effectif	7	3	0	10
	الفئة السوسيو مهنية	70,0%	30,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	3,8%	8,6%	0,0%	4,6%
عاطل عن العمل	Effectif	14	3	0	17
	الفئة السوسيو مهنية	82,4%	17,6%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	7,7%	8,6%	0,0%	7,8%
طالب	Effectif	5	1	0	6
	الفئة السوسيو مهنية	83,3%	16,7%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	2,7%	2,9%	0,0%	2,8%
ربة بيت	Effectif	10	2	0	12
	الفئة السوسيو مهنية	83,3%	16,7%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	5,5%	5,7%	0,0%	5,5%
Total	Effectif	182	35	1	218
	الفئة السوسيو مهنية	83,5%	16,1%	0,5%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	7,782 ^a	14	,900
Rapport de vraisemblance	8,543	14	,859
Association linéaire par linéaire	,003	1	,957
N d'observations valides	218		

a. 15 cellules (62,5%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,01.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير الفئة السوسيو مهنية ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم البيضاء، حيث نجد ان انتفاء التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,9 الذي تجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد ان مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم البيضاء اقل من 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف الفئات السوسيو مهنية.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع
بدلالة متغير المستوى الدراسي

		الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع			Total
		-5kg	5-10kg	10	
المستوى الدراسي بدون	Effectif	2	1	0	3
	المستوى الدراسي	66,7%	33,3%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	1,1%	2,9%	0,0%	1,4%
أولي	Effectif	3	1	0	4
	المستوى الدراسي	75,0%	25,0%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	1,6%	2,9%	0,0%	1,8%
ابتدائي	Effectif	13	2	0	15
	المستوى الدراسي	86,7%	13,3%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	7,1%	5,7%	0,0%	6,9%
اعدادي	Effectif	7	2	0	9
	المستوى الدراسي	77,8%	22,2%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	3,8%	5,7%	0,0%	4,1%
تأهيلي	Effectif	29	8	0	37
	المستوى الدراسي	78,4%	21,6%	0,0%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	15,9%	22,9%	0,0%	17,0%
عالي	Effectif	128	21	1	150
	المستوى الدراسي	85,3%	14,0%	0,7%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	70,3%	60,0%	100,0%	68,8%
Total	Effectif	182	35	1	218
	% dans المستوى الدراسي	83,5%	16,1%	0,5%	100,0%
	الكمية المستهلكة من اللحوم البيضاء داخل أسرتك في الأسبوع	100,0%	100,0%	100,0%	100,0%

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	2,968 ^a	10	,982
Rapport de vraisemblance	3,040	10	,980
Association linéaire par linéaire	,562	1	,454
N d'observations valides	218		

a. 12 cellules (66,7%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de ,01.

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير المستوى الدراسي ومتغير الاستهلاك الأسبوعي للحوم البيضاء، حيث نجد ان انتفاء التباين يمثل ارتفاع قيمة معامل اختبار كي-دو بيرسون 0,982 الذي تجاوز نسبة الدلالة عند مستوى 0,05. ونجد ان مختلف المستجوبين يتحدد سقف استهلاكهم من اللحوم البيضاء اقل من 5 كيلوجرام أسبوعيا وشكل هذا الاختيار نسبة الصدارة لدى مختلف المستويات الدراسية والتعليمية.

الفرضية الخامسة:

نفترض أن التوجه العام لاستهلاك الغذاء بكميات كبيرة في مجال البحث، له تأثير مباشر على صحة المستهلكين. حيث يؤدي الاستهلاك المفرط إلى إحداث خلل في التوازن الصحي وظهور أمراض متعلقة بالتغذية مثل: السكري، السمنة والوزن الزائد. وكذلك تأثير مباشر على البيئة، من خلال كمية النفايات المنزلية المخلفة.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة
بالصحة بدلالة متغير السكن الوسط الاجتماعي

	هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة		Total
	نعم	لا	
السكن الوسط الاجتماعي آخر	Effectif 10 السكن الوسط الاجتماعي 47,6% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 6,7%	11 52,4% 16,2%	21 100,0% 9,6%
دار مغربية عصرية	Effectif 41 السكن الوسط الاجتماعي 80,4% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 27,3%	10 19,6% 14,7%	51 100,0% 23,4%
سكن عشوائي	Effectif 34 السكن الوسط الاجتماعي 65,4% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 22,7%	18 34,6% 26,5%	52 100,0% 23,9%
سكن قروي	Effectif 25 السكن الوسط الاجتماعي 80,6% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 16,7%	6 19,4% 8,8%	31 100,0% 14,2%
شقة	Effectif 32 السكن الوسط الاجتماعي 65,3% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 21,3%	17 34,7% 25,0%	49 100,0% 22,5%
فيلا	Effectif 8 السكن الوسط الاجتماعي 57,1% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 5,3%	6 42,9% 8,8%	14 100,0% 6,4%
Total	Effectif 150 السكن الوسط الاجتماعي 68,8% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 100,0%	68 31,2% 100,0%	218 100,0% 100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	11,057 ^a	5	,050
Rapport de vraisemblance	11,121	5	,049
Association linéaire par linéaire	,028	1	,867
N d'observations valides	218		

a. 1 cellules (8,3%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 4,37.

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,05 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير "هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة" ومتغير الوسط الاجتماعي، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 68,8 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي بنعم، واحتلت نفس الإجابة مكانة الصدارة لدى مختلف الأوساط الاجتماعية.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك بدلالة متغير السكن الوسط الاجتماعي

	هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	Total	
		لا	نعم
السكن الوسط الاجتماعي	Effectif	14	7
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	66,7%	33,3%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	15,1%	5,8%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	9,9%	5,8%
دار مغربية عصرية	Effectif	10	40
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	20,0%	80,0%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	10,8%	33,3%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	23,5%	33,3%
سكن عشوائي	Effectif	21	29
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	42,0%	58,0%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	22,6%	24,2%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	23,5%	24,2%
سكن قروي	Effectif	14	17
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	45,2%	54,8%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	15,1%	14,2%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	14,6%	14,2%
شقة	Effectif	29	19
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	60,4%	39,6%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	31,2%	15,8%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	22,5%	15,8%
فيلا	Effectif	5	8
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	38,5%	61,5%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	5,4%	6,7%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	6,1%	6,7%
Total	Effectif	93	120
السكن الوسط الاجتماعي	السكن الوسط الاجتماعي	43,7%	56,3%
هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي	السكن الوسط الاجتماعي	100,0%	100,0%
حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك	السكن الوسط الاجتماعي	100,0%	100,0%

Tests du khi-deux

	Valeur	ddl	Signification asymptotique (bilatérale)
khi-deux de Pearson	21,604 ^a	5	,001
Rapport de vraisemblance	22,595	5	,000
Association linéaire par linéaire	2,514	1	,113
N d'observations valides	213		

a. 0 cellules (0,0%) ont un effectif théorique inférieur à 5. L'effectif théorique minimum est de 5,68.

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,01 بمعامل الارتباط بيرسون بين متغير "هل تنوي تغيير بعض العادات الغذائية بنظامك الغذائي حفاظاً على سلامة صحتك وصحة أسرتك" ومتغير الوسط الاجتماعي، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 53,3 بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير الوسط الاجتماعي بنعم، واحتلت نفس الإجابة مكانة الصدارة لدى بعض الأوساط الاجتماعية.

جدول التقاطع الخاص بسؤال: هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة بدلالة متغير المستوى الدراسي

		هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة		Total
		نعم	لا	
المستوى الدراسي	بدون	Effectif 2 المستوى الدراسي 66,7% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 1,3%	1 33,3% 1,5%	3 100,0% 1,4%
	أولي	Effectif 4 المستوى الدراسي 100,0% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 2,7%	0 0,0% 0,0%	4 100,0% 1,8%
	ابتدائي	Effectif 8 المستوى الدراسي 53,3% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 5,3%	7 46,7% 10,3%	15 100,0% 6,9%
	اعدادي	Effectif 4 المستوى الدراسي 44,4% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 2,7%	5 55,6% 7,4%	9 100,0% 4,1%
	تأهيلي	Effectif 25 المستوى الدراسي 67,6% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 16,7%	12 32,4% 17,6%	37 100,0% 17,0%
	عالي	Effectif 107 المستوى الدراسي 71,3% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 71,3%	43 28,7% 63,2%	150 100,0% 68,8%
Total		Effectif 150 المستوى الدراسي 68,8% هل تعتقد أن بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مُضِرَّة بالصحة 100,0%	68 31,2% 100,0%	218 100,0% 100,0%

توجد علاقة دالة بين متغير "هل تعتقد ان بعض العادات الغذائية الخاصة بأسرتك مضرة بالصحة" ومتغير المستوى التعليمي، وتمثلت الفروق الإحصائية من خلال تباين أجوبة المستجوبين، حيث عبرت 68,8 بالمائة بالمائة من العينة المدروسة بدلالة متغير المستوى التعليمي، واحتلت نفس الإجابة مكانة الصدارة لدى بعض الأوساط الاجتماعية.

جدول التقاطع بين متغير المرض ومتغير الفئات العمرية.

			السن						Total
			من 18 الى 30 سنة	من 30 الى 45 سنة	من 45 الى 60 سنة	من 60 الى 75 سنة	من 75 الى 100 سنة	7	
نوع المرض	DAC	Effectif	15	15	12	35	28	16	121
		% du total	2,9%	2,9%	2,3%	6,7%	5,4%	3,1%	23,2%
	DT2	Effectif	7	11	12	37	36	9	112
		% du total	1,3%	2,1%	2,3%	7,1%	6,9%	1,7%	21,5%
	RCH	Effectif	0	5	6	1	2	3	17
		% du total	0,0%	1,0%	1,2%	0,2%	0,4%	0,6%	3,3%
	Hypothyroïdie	Effectif	0	0	0	0	1	0	1
		% du total	0,0%	0,0%	0,0%	0,0%	0,2%	0,0%	0,2%
	DT1	Effectif	49	19	16	11	7	1	103
		% du total	9,4%	3,6%	3,1%	2,1%	1,3%	0,2%	19,8%
	Obésité	Effectif	6	4	7	16	6	0	39
		% du total	1,2%	0,8%	1,3%	3,1%	1,2%	0,0%	7,5%
	DID	Effectif	3	4	1	3	1	4	16
		% du total	0,6%	0,8%	0,2%	0,6%	0,2%	0,8%	3,1%
	Surpoids	Effectif	0	1	2	0	2	0	5
		% du total	0,0%	0,2%	0,4%	0,0%	0,4%	0,0%	1,0%
	Triglycérémie / cholestérol	Effectif	1	2	6	22	25	5	61
		% du total	0,2%	0,4%	1,2%	4,2%	4,8%	1,0%	11,7%
	Maladie cardiaque	Effectif	4	0	0	1	0	0	5
		% du total	0,8%	0,0%	0,0%	0,2%	0,0%	0,0%	1,0%
13		Effectif	0	0	0	0	1	0	1

	% du total	0,0%	0,0%	0,0%	0,0%	0,2%	0,0%	0,2%
HTA	Effectif	0	2	2	11	9	4	28
	% du total	0,0%	0,4%	0,4%	2,1%	1,7%	0,8%	5,4%
Pancréatite	Effectif	0	0	7	3	0	2	12
	% du total	0,0%	0,0%	1,3%	0,6%	0,0%	0,4%	2,3%
Total	Effectif	85	63	71	140	118	44	521
	% du total	16,3%	12,1%	13,6%	26,9%	22,6%	8,4%	100,0%

توجد علاقة دالة بين بين متغير الامراض المتعلقة بالتغذية ومتغير الفئات العمرية، حيث نجد ان هناك بعض الامراض ترتفع نسبتها كلما انتقلنا من فئة عمرية لأخرى اعلى منها، والعلاقة عكسية لدى بعض الامراض الأخرى، حيث يكون خطر الإصابة بها اكبر كلما كانت الفئة العمرية تذهب في منحى تنازلي.

II-خلاصات واستنتاجات:

1-خلاصات المقابلة : حول التراث الغذائي بالناظور

ويبين الجدول رقم :6أهم الوجبات الغذائية اليومية بالناظور وطرق تحضيرها:

الاطعمة والأشربة	مكوناتها وخصائصها
وجبة الفطور: تسمى ب "آييق"	"أناي": الشاي يغلى على نار هادئة فوق "امران" ويضاف اليه النعناع او الشبيرة ويقدم في "اباراد" في "الصينيث" مع الكؤوس ويترك السكر جانبا حيث يضاف عند موعد الاحتساء.
	ارقهوا.
	"ثيمدجارين": البيض.
	آغي: الحليب ومشتقاته
	"ثروسي": الزبدة
	"أزجشت ن زيتون": زيت الزيتون والزيتون
	فطيرة قمح أو شعير: " ثفظاث ن درا/ "
	"أغروم": الخبز
	السفنج.
	يقلى في الزيت.
وجبة الغذاء: لا تعتبر وجبة أساسية في مجتمع الريف حيث ينشغل الرجال خلال فترة الزوال بالأنشطة الفلاحية أو الذهاب للسوق	الكسكس: سكسو
	البطاطس باللحم والخضر
	تطهى في "الطحين "
	العدس، الحمص، الفول
	يطبخ مع المرق

		الأسبوعي.
ثريبا	يقطع الفول الى أجزاء صغيرة، ويوضع في اسكسوت " فوق "اربامث" التي تملأ بالماء الساخن، بعد الطهي فوق النار يقدم مع زيت الزيتون والخبز	
العصرونية: تكون بعد العصر وقبل غروب الشمس	الشاي، التين المجفف، البيض، الزبدة، الزيت.	
وجبة العشاء: تعتبر وجبة رئيسية حيث يرجع الرجال من أشغالهم الفلاحية، بعد يوم شاق، خاصة أثناء موسم الحرث والحصاد.	البطاطس بالخضر.	تطهى في "طنجا"
	البيض المسلوق.	
	الدجاج بالمرق.	
	الكسكس.	
	الشاي، اللبن (أغي أسمام).	

الجدول رقم 7: الأطباق الغذائية خلال فصول السنة والمواسم الفلاحية

الاطعمة والأشربة	مكوناتها وخصائصها
ثما رقت: "الببصر"	حساء الفول أو الجلبان
ثا حرات: الحريرة	حساء بالدقيق والزيت والماء والعدس والحمص.
الربيع	ثببب: البقول بببب إلى نبات البقول الثوم والبصل وتقطع بببا على شببة مسطحة " ارمنجات"، لتوضع بببب فخاري" الطجبب أو "تبببب"، وتببب بببا بب الماء مع التوابل وتحرك بببا ب" ابببب" ثم بببب إلببب الملح. وتدهن بالبببب لتببب بببب " تازوظا"
بارا غوش: الهلببب	ببب تببببب وقلبب بببب مع البببب
إمامز	تببب من الشعبب قبل الحببب وقلبب نبببب البببب، ببب تببب بببب السنبابل بالبببب أو بالبببب وببب البببب ببب بببب الشعبب وبببب السنبابل، تببب وتجبب وتوضع ببب "إمسبا" قصب تبببببب لتببب ببببببب (مهببب كببب من البببب)، وببب غربلبب بببببب "أنببب"

تطحن في "تاسييات" ويستخرج منها نوعان من الطعام حسب حدة الطحن:ايوزان/ تازميت		
تم دقها جيدا و غربلتها ونفضها في "أندو"، فترش بالماء وتترك مدة من الزمن ثم تقدم للأكل مع الشاي بعد إضافة لها زيت الزيتون.	تازميت	الصيف
هُشمت بطريقة بسيطة وخفية، ويتم سلقها في الماء مع الملح والبصل والتوابل، أو يصنع منها عصيدة.	ايوزان	
يوضع "ايوزان ن تزميت" في صحن من الفخار واسع يسمى "ثابقت"، ويضاف إليها اللبن "أغي أسام" وتترك ليلة كاملة لتتماسك فيما بينها وتقدم باردة.	مكيبعة	
يعجن الدقيق ثم يسوى على شكل فطائر صغيرة وتطبخ في "مسخا" لتقدم مفتتة مع الدجاج المطبوخ بالتوابل والملاح والزيت والبصل.	التريد: يقدم خلال موسم الحرث.	الخريف
نوع من الخبز، يصنع من الشعير القديم المخزن لفترة لا تقل عن ثلاث سنوات.	أغروم أوحموم.	

الجدول رقم 8: الأطباق الغذائية بالريف الشرقي خلال الأعياد والمناسبات.

المناسبات	الوجبات
الأعراس	أحرحور: يصنع من دقيق الشعير على شكل حبات صغيرة مفتولة أكبر حجما من الكسكس، ثم يتم طهيها بالبخار في "اسكسوٲ" و"اربامٲ" هذه الأخيرة يطهى بها لحم الرأس مع اللفت والبصل والتوابل والملح والزيت...أو يغلى فيها الماء فقط، وقد يضاف بعض "السمن" إلى هذه الأكلة.
أيام العقيقة	زامبو: شعير أو قمح، يطحن ويخلط مع الزعتر واللوبز ونباتات فواحة ك "مينٲا"، بالإضافة إلى الحمص والملح.
عاشوراء والمولد النبوي.	أرفيس/ثرفيست: تحضر فطائر رقيقة من الدقيق وتطهى على "امسٲا"، ثم تسقى بمرق الدجاج المطبوخ مع التوابل والزيت والملح.
يعدّها أهل العروسة وتقدم في الليلة الثانية من العرس لبيت الزوجين.	امنديل: الدجاج أو الحمام بالبيض المسلوق.
ولادة البقرة وتقدم في الفطور أو العشاء.	أنخس: اللبأ؛ وهو الزبدة المستخرجة خلال ولادة البقرة، وتخلط بالبيض وتطهى في الطجين.
عيد الفطر	أحابيظ: يرش الدقيق بالماء الدافئ ويفتل حتى يصبح حبيبات كبيرة، ثم يتم نفض الدقيق عنها في "أندو" وتطبخ في ماء مغلي ليتم تقديم الوجبة مع المرق أو السمن.
عيد الأضحى	الكسكس باللحم الكبد المشوي

2-خلاصات عامة

خضعت العادات الغذائية بالريف الشرقي لسلسلة من التحولات والتغيرات الثقافية والاجتماعية نتيجة العصرية والحداثة. وهو ما عرض الثقافة الغذائية المحلية الى تغير في العديد من السلوكيات والممارسات الغذائية، وفي بعض الطقوس الاحتفالية من حيث مدلولها الاجتماعي والرمزي، وانبثق عن ذلك بروز سلوكيات وعادات غذائية جديدة. ولتحليل قنوات هذه التحولات وتفسير رموزها ودلالاتها الرمزية، فإننا نرى أنه من الضروري وضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، بداية من التحولات الماكروسوسولوجية التي عرفها الريف بشكل عام، الى غاية الممارسات الغذائية الجديدة التي أفرزتها هذه التحولات الكبرى.

العوامل الماكروسوسولوجية : مُحددات للسلوك الاستهلاكي الغذائي

عرف المجتمع الناظوري تحولات في البنى الاقتصادية والاجتماعية ومجالية عدة أثرت بشكل واضح في اختياراته الاستهلاكية الغذائية. وتعلقت مجمل هذه التحولات، بالتحولات في النسق القيمي الذي أفضى إلى تحولات في النمط الاستهلاكي. أي اننا امام تحول ماكروسوسولوجي انعكس على النظام الغذائي بالريف. وهكذا فقد الريف الشرقي كوحدة مجالية ثقافية العديد من خصائص الهوية الغذائية التي تميز بها على مر عقود من الزمن. واكتسب المجتمع قيماً استهلاكية أخرى جديدة. ومن بين تلك التحولات المجتمعية التي عرفها نذكر ما يلي:

-التأثيرات الكولونيالية وبداية تحول العادات الغذائية بالريف الشرقي : لقد جلب الاستعمار الاسباني للمنطقة مجموعة من الحاجيات الاستهلاكية الجديدة كما طور من استهلاك منتجات غذائية أخرى كانت مقتصرة على القليل من المترفين.

- كان لحجم التحويلات المالية للمهاجرين انعكاسات كبيرة على القدرة الشرائية للأسر بالناظور. حيث أحدث التدفق المالي نحو مدينة الناظور تحولاً في العادات الغذائية. من خلال شراء الأغذية المصنعة والجاهزة بدل أكل مما تنبته الأرض من خلال أعمال الفلاحة والزراعة التي كانت تقوم بها الأسر الريفية.

-إن التطور الحاصل في البنية العمرانية والمجالية بجماعة الناظور (مجال البحث) ينمو بشكل متواز مع التحولات الغذائية التي تعرفها المنطقة. إذ انتقلت منطقة الريف عموماً من السكن القروي والتقليدي الى المجال الحضري بتمظهراته العمرانية الجديدة. والتي من أبرزها البناء العمودي عوض البناء الأفقي وما أفرزه من أشكال عمرانية جديدة (محلات تجارية في الطابق السفلي والتي ستستغل في المحلات المقدمة للغذاء: المقاهي، المحلات، المطاعم...) أفضى إلى ممارسات وسلوكات غذائية جديدة.

الاستهلاك الغذائي في الفضاء العام والاستهلاك الافتخاري

تردد الأسر على الفضاء العام لتناول وجبات غذائية وهي من السلوكات الغذائية المستجدة داخل الأسرة الريفية. فمن خلال البحث الميداني، سواء الملاحظة أو الاستمارة التي تم إنجازهما، يتضح أن ممارسة فعل الأكل داخل الفضائين الخاص والعام معاً. إنه إعادة بناء حدود الفضائين وتحول في وظائفهما. فبعد أن كان الفضاء الخاص، هو الفضاء المخصص لكل ممارسة غذائية، أصبح الفضاء العام يتقاسم معه هذه الوظيفة. فالأكل خارج الفضاء المنزلي أصبح عادة غذائية تمارس بشكل متواتر سواء بشكل فردي أو مع الأصدقاء أو داخل الأسرة.

إن الإطار العام لقيم المجتمع الريفي، وكذا بنائه الاجتماعي والثقافي وما كان يختزله من سلوك يمتاز به، تم التمرد عليه من خلال الأكل في المحلات المقدمة للغذاء، سواء في: المطاعم، المقاهي، المحلات... بحيث نجد بعض المستهلكين يسعون للتميز عن الآخرين وذلك من خلال ارتياد أماكن تُصنف في خانة الفضاءات التي تقدم خدمات مرتفعة وغالية الثمن لا يستطيع الآخرون ارتيادها. فمطمح هؤلاء إذا يتمثل أساساً في التميز عن الآخرين، وهو في نفس الآن تمرداً على البناء الاجتماعي الغذائي.

ومن جهة أخرى، لعبت مواقع التواصل الاجتماعي والتقنيات والتكنولوجيا دوراً أساسياً في التواصل الثقافي والتبادل الرمزي بين مكونات ثقافية مختلفة، أدت هذه الوسائل نزعاً المحاكاة وتقليدية ثقافات أجنبية مختلفة عن الثقافة المحلية من خلال تبني عادات غذائية كانت في الماضي القريب سلوكيات غريبة بل شاذة وغير مقبولة. ففعل الأكل في المخيال

الشعبي للمجتمع الريفي فعل يتم داخل الفضاء الخاص في المنزل هو الفضاء الاجتماعي الغذائي بامتياز.

الفضاء الاجتماعي الغذائي: من الوحدة إلى التشتت المجالي

شكل السوق الأسبوعي منذ عقود فضاء اجتماعياً وثقافياً وسياسياً مركزياً في الحياة الاجتماعية للريفيين. حيث كان السوق مؤسسة اجتماعية تؤدي وظائف عديدة وعلى المستوى الاستهلاكي فقد كان السوق الوجهة الوحيدة للتسوق والمصدر الوحيد للتزود بالمواد الغذائية وغيرها.

فمن خلال وصف وتحليل حركية الأسر المستهلكة داخل الفضاء الاجتماعي الغذائي، للبحث عن كيف تعبر عن اختياراتها وقراراتها الاستهلاكية الغذائية، داخل بنية زمكانية مغايرة لما كانت عليه في السابق للكشف عن الوجهة المفضلة للتسوق في زماننا الحالي. تبين نتائج الاستمارة أن السوق الأسبوعي لا زال وجهة مفضلة للتسوق من طرف العديد من الأسر الريفية. إلا أنه لم يعد الوجهة الوحيدة في ظل التنوع الكبير الذي تعرفه فضاءات التسوق: السوق البلدي (Marché)، المراكز التجارية المتوسطة والكبيرة super marché، متجر الحي....

لقد أصبح الفضاء الاجتماعي الغذائي بالريف أكثر اتساعاً، وذلك من خلال التوسع الحضري، حيث لم يبقى هذا الفضاء مركزاً في السوق الأسبوعي، بل تعداه إلى أسواق صغيرة يومية، البعض منها منتظم والآخر عشوائي. بالإضافة لذلك، نذكر المحلات الموجودة في الأحياء والمحلات التجارية الكبرى (مرجان، كارفور...)

إن اتساع الفضاء الاجتماعي الغذائي، أدى إلى زيادة في وتيرة وكمية الاستهلاك حيث انتقل من الاستهلاك الغذائي الأسبوعي داخل فضاء واحد، أي السوق الأسبوعي، إلى الاستهلاك اليومي، في فضاءات متعددة. هذا التشتت والتنوع على مستوى الفضاءات الاجتماعية الغذائية ساهم في الرفع من إيقاع الاستهلاك الغذائي وتحوله من الأسبوعي إلى اليومي. وهذا الفضاء الاجتماعي الغذائي يعرف ظاهرة التشتت لكن بالمقابل عمل هذا التشتت على تهذيب سلوك الاستهلاك عند اقتناء المنتوجات الغذائية وذلك من خلال القيام

بقرارات شرائية واعية، بهدف إيجاد موازنة بين عدد من العوامل: السعر، مستوى الرضا، القيمة الاجتماعي للمنتوج الغذائي. وهذا ما يعني أن المستهلك أصبحت لديه ثقافة استهلاكية وذلك من خلال الاهتمام بالمنتجات الغذائية المصنعة: تاريخ الانتاج، مدة صلاحية الاستهلاك، العلامة التجارية، المكونات الأساسية للمنتوج إلى اخره. إن هذا التعدد في الفضاءات الغذائية يعكس تفاوتاً بين الطبقات الاجتماعية. فكل طبقة اجتماعية نمطها الاستهلاكي وكذلك فضاؤها الاستهلاكي الخاص بها.

تتغير الأنماط الاستهلاكية للمجتمعات تغيراً تدريجياً، وذلك بفعل العديد من المتغيرات المتداخلة في عملية الاستهلاك. ومن أهم تلك المتغيرات الاقتصادية ولاسيما الدخل والأسعار بالإضافة إلى متغيرات اجتماعية: كالمستوى التعليمي والمستوى الاجتماعي للأسرة والقيم السائدة فيها. ولأن الأسرة هي الخلية الأساس في المجتمع، فإن أنماط الاستهلاك فيها تؤثر وتتأثر بالنمط الاستهلاكي في المجتمع ككل.

ومما لا شك فيه أن وعي الأسرة مهم جداً في معرفة أنماط استهلاكها، فكلما تحصلت الأسرة على معلومات وبيانات كافية عن مشترياتها كلما تمكنت من القيام باختيار سليم عند الشراء وهنا تبرز أهمية خلق الوعي الاستهلاكي والعمل على تكوين عادات سليمة وبالتالي التخلص من العادات الاستهلاكية السيئة.

الثقافة الغذائية بين الخصوصية المحلية وتأثير الكونية:

يمكن القول أن مجتمع البحث يتأرجح بين الكونية والهوية المحلية. ذلك أن العولمة غيرت جملة من المفاهيم. فسار المجتمع محكوماً في الغالب بنظام عالمي جديد، كسر كل الحواجز الجمركية والحدودية وفتح البلدان على بعضها البعض سواء على المستوى المادي أو المستوى المعنوي الفكري. فأصبح الكون مدينة صغيرة يقع فيها تبادل السلع من مختلف أنحاء العالم، كما يقع فيها تبادل الأفكار والمعلومات والثقافات بين البلدان.

أثر بدوره على المطبخ التقليدي وهل عوضه بأخر عصري حديث في مواكبة التطور والتقدم التكنولوجي والتقني. وهنا نشير إلى أنه بدخول بعض الصناعات الحديثة، أصبح مجتمع البحث لا يتحدث سوى عن آلة الطحن الكهربائية والطهي السريعة والمُجمد والفرن

الكهربائي... حيث من خلال دراسة التحولات الغذائية بالناظور (مجال البحث) تم الكشف عن وجود اختلافات عما كان عليه الأمر في الماضي. علماً بأن هذا الاختلاف فرضه توفر العديد من المنتجات التسويقية والآلات المطبخية الحديثة.

وفيما يخص الأدوات المطبخية، فنادرًا ما نجد أسرة ريفية تحافظ على هذه الأدوات. حيث أن العديد منها اندثرت ولم تعد تستعمل داخل المطبخ الريفي وهذا راجع إلى العديد من العوامل المرتبطة بالأساس بالتكنولوجيا والتقدم التقني. لاسيما عند عودة المهاجرين من أوروبا الذين يجلبون معهم أواني عصرية للطهي.

الثقافة الغذائية بين الاستمرارية والتحول

طرأت تحولات كثيرة على مظاهر وإيقاع العيش بالمنطقة، حيث اندثرت عادات غذائية وحلت محلها أخرى بسبب التمدن والانخراط في الحياة المعاصرة، غير أن الأسر الريفية حافظت على عادات غذائية أخرى إلى غاية اليوم. فبالرغم من التحولات التي فرضتها حياة التمدن، لا تزال بعض الأسر بمجال البحث، تحافظ على الكثير من العادات والتقاليد المرتبطة بالغذاء الاحتفالي. خاصة تلك المرتبطة بالأعياد الدينية وهي فرصة لإعادة إحياء لحظات طقوسية تنتمي إلى الزمن الماضي. وهو في المخيال الشعبي والضمير الجمعي ماضٍ مأسوف عليه. حيث تحرص العديد من الأسر على ممارسة عادات اجتماعية، وفق طقوس متوارثة يحضر فيها الغذاء في بعده الرمزي. وهي عادات لازالت صامدة في وجه التغيرات التي شملت مختلف مجالات الحياة بهذه المنطقة. وأمام هذا الوضع نجد المجتمع البحث يتواجد وجدانياً بين منزلتين: يعاتب الحاضر ويتأسف على الماضي ويحن إليه من خلال سعيه للحفاظ على بعض عناصر ثقافته التقليدية كمحافظته على بعض العادات والتقاليد وبعض الطقوس وفي نفس الوقت يجري الواقع من خلال مواكبة الموضة والحداثة خاصة باستهلاك عناصر الثقافة المادية العصرية.

تدبير الموارد الغذائية: تحولات قيمية

عمدت الأسرة الريفية في فترة الرخاء والوفرة، إلى بيع الفائض من المحاصيل الزراعية والمنتجات الفلاحية في الأسواق المحلية قصد تحويلها لأموال، لشراء ما لا تستطيع

الأسرة توفيره بشكل مباشر من منتجات وخدمات. وكان السوق فضاء وسيطاً لإنعاش التبادلات الاقتصادية بين الأسرة القروية والمدينة حيث تبدأ استراتيجيات متعددة ومتباينة لترشيد الاستهلاك غير المباشر لموارد الأسرة القروية بموازاة الاستهلاك المباشر؛ لتتركب منها معادلات اقتصادية الهدف من ورائها هو حفظ الوجود الأسري المادي والرمزي.

من جهة أخرى دأبت الأسرة الريفية على ادخار المواد الغذائية في المواسم التي تكون فيها المحاصيل الزراعية وفيرة، وذلك بهدف الاستفادة منها في أوقات الشدة خصوصاً إبان الظروف المناخية الصعبة: الجفاف الأوبئة والحروب ..

غير أن الأسباب التي تدفع اليوم الأسر لادخار المواد الغذائية مختلفة تماماً على العوامل والأسباب التي حتمت على الأسر الريفية ادخار المواد الغذائية في الماضي. فالادخار في السابق أملت ظروف قاهرة، وفرضته ضرورة التفكير في استراتيجيات احترازية تحسباً لنفاذ أو ندرة الأكل في أي لحظة، مما كان يهدد حياة الأهالي. أما الادخار في الوقت الراهن، فهو متعلق بتدبير الفائض الغذائي

إن عنصر وفرة الحاجيات الفلاحية والغذائية والمنزلية في السوق الأسبوعي أو الحضري شجعت الأسر على التخلي عن منطق الادخار والتخزين، والاعتماد بشكل كلي على السوق لاقتناء حاجياتهم. من هنا نستنتج، تحول في طريقة تدبير الاستهلاك الغذائي من الاعتماد على الادخار والمواد المخزنة إلى الاعتماد على المال في حياتهم الاقتصادية بفعل الوفرة. وبالتالي حصول نوع من الارتياح في الحاضر والمستقبل الغذائي للأسرة. وهو ما يُمكن أن نُسَمِّيه الأمن الغذائي مقابل ما كانت تعيشه الأسر من خوف جماعي من الجوع. بالإضافة إلى ذلك، فإن تغير العادات الغذائية نتيجة الثقافة المستمرة التي تتعرض لها الأسرة القروية، جعلها أكثر اعتماداً على المنتجات الخارجية التي تصل إليها بعد عملية وسطات تجارية تتجاوز المحلي وأحياناً حتى الوطني.

كانت الكوارث الطبيعية مثل الجفاف، تشجع على الادخار أما الآن فهي تشجع على الهجرة وبالتالي البحث عن أعمال أخرى غير الزراعة. ومنه يمكن أن نقول أن الريف عرف تحولاً قيمياً، فأضحى الاعتماد على المال بشكل واضح بينما تلاشت قيم التضامن والتآزر.

السلة الغذائية: من الكفاف إلى الوفرة

نقصد بالبروتين الحيواني مادة اللحم في أشكاله المتنوعة: لحوم حمراء، دواجن، أسماك. إذ يعتبر اللحم مادة أساسية في النظام الغذائي بالمغرب بشكل عام. بالإضافة إلى كونه مصدر أساسي للبروتين الضروري لجسم الانسان، فإنه يحتل مكانة رمزية داخل المجتمع المغربي عامة. إنه وجه من وجوه قياس التحول في النمط الغذائي، من خلال تحليل المأكول والبحث عن متغيرات التحول مما هو ثانوي إلى ما هو أساسي في مكونات المائدة الريفية. واستنادا للمعطيات الرقمية للاستثمار فقد عبرت أجوبة العينة في الاستثمار أن 123 مبحوث(ة) يتناولون اللحم أكثر من ثلاث مرات في الأسبوع وهو ما يعبر عن انتقال حضور اللحم من الحضور الاحتفالي الى الحضور اليومي في المائدة الريفية. فاذا كان اللحم يحضر فقط في المناسبة الاحتفالية، فإنه أصبح في الوقت الراهن حاضرا على المائدة بشكل شبه يومي. ان هذا الحضور الشبه يومي للحوم على المائدة في أشكال متنوعة، هو ممارسة غذائية ذات بعد رمزي وطبقي. فأكل اللحم هو رفض ضمني للتواجد طبقيًا في خانة الفقراء أي ضمن الذين ليست لهم القدرة المالية لشراء اللحم بسبب ثمنه المرتفع في المقابل هو تعبير صريح لأكل ما يأكله الأغنياء وبالتالي، يصبح اللحم علامة للغنى والترف.

إن الوفرة الغذائية والايقاع الاستهلاكي الملاحظ في الفضاء الاجتماعي الغذائي، لا يمنعنا من طرح سؤال لتقييم كمية الغذاء المستهلكة داخل الاسرة. فإن كان النقص في الغذاء في الحالة الطبيعية التي عاشتها معظم الأسر الريفية خلال عقود من الزمن لأسباب تعود لظروف الطبيعة والمناخ وكذلك لأسباب أمنية وسياسية، فإن الحالة في الوقت الراهن تختلف تماما، حيث حالة الوفرة والفائض الغذائي هو الحالة السائدة اليوم والتي أنهت الخوف الجماعي من الجوع الفتاك.

إن تحقيق الاكتفاء الغذائي، لم يعد هاجسا لدى الأسر الريفية حيث أن الثورة التكنولوجية وتطور وسائل النقل ونقل السلع بين مختلف مناطق المغرب بل من خارج البلد، رفع من قيمة العرض الغذائي وأصبح يتجاوز الطلب بشكل كبير.

تحرير المرأة وانعكساتها على الممارسة الغذائية

عرفت المرأة في المجتمع الريفي كما هو الحال في جميع المجتمعات الذكورية بتبعيتها المطلقة للرجل. إلا أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المغرب عامة ومنطقة الريف خاصة في العشرية الأخيرة من القرن الماضي غيرت من حياتها بشكل ملموس وقوّت من موقعها داخل الأسرة. وتجلّى ذلك في تنامي دورها في تدبير شؤون الأسرة بطريقة مغايرة لما كانت عليه سابقاً، من خلال المشاركة في أخذ القرارات الأسرية وفي الحياة العامة. ويعتبر خروج المرأة للعمل وارتفاع نسبة تدرس الفتيات واستكمال التعليم الجامعي أحد القنوات التي كسرت من خلالها المرأة الريفية انغلاقها على العالم الخارجي وتحقيق الذات وهكذا بدأت تسجل حضوراً تدريجياً في الفضاء العام.

إن هذا التحول في الأدوار الاجتماعية للمرأة والحركة الانتقالية من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام لم يمر دون إحداث تصدعات داخل مؤسسة الأسرة خصوصاً في وظائفها التقليدية المتعلقة بتوفير الغذاء والتنشئة الاجتماعية من خلال التغذية سلوكاً وممارسة. فالغياب المؤقت للمرأة الريفية عن الفضاء الخاص بحكم الدراسة أو العمل، سمح بنشوء العديد من التحولات في الممارسات الغذائية والسلوكات الغذائية لأفراد الأسرة خاصة، لاسيما تلك المتعلقة بالتغذية في الفضاء العام. فلم يكن مألوفاً ارتياد المرأة سواء بشكل فردي أو جماعي على الفضاءات الغذائية العامة في المقاهي والمطاعم والمحلات المقدمة للوجبات الخفيفة.

وعليه فإن هذه الممارسات الغذائية من طرف المرأة خارج الفضاء الخاص يمكن اعتباره تمرداً على إحدى الوظائف الأساسية للمرأة المتعارف عليها اجتماعياً وهي مهمة الطبخ وإعداد الطعام لها ولأسرتها.

ومن جهة ثانية، أصبحت مسؤولية الاشراف على عملية شراء حاجيات الأسرة مشتركة بين الرجل والمرأة بعد ان كانت مقتصرة على الرجل فقط بحكم المكانة أو القيمة التي كان يحظى بها من طرف المجتمع. لقد أصبحت مشاركة المرأة واضحة من خلال اقتنائها بمفردها أو بمشاركة على الرجل لمختلف المواد والمنتجات الغذائية.

إن خروج المرأة الريفية لميدان العمل بناء على عدد من الدوافع الاجتماعية الثقافية، الاقتصادية وحتى النفسية، يعتبر عاملاً مساعداً على توسع دائرة الاستهلاك الغذائي بالنسبة للمجتمع؛ خصوصاً الاستهلاك في الفضاء العام. حيث أصبحت من جهة، العديد من الممارسات الغذائية المطبخية تجري خارج الفضاء الخاص للعديد من الأسر التي تتناول المأكولات الخفيفة خارج البيت، وهي عادة غذائية جديدة على المجتمع الريفي.

حيث يعتبر خروج المرأة بمعية أحد الصديقات أو أفراد الأسرة إباحة لسلوك ممنوع وغير مرغوب فيه اجتماعياً. لاسيما عندما يتعلق الأمر بالأكل في الشارع. فتحضير الأكل علاوة على العمليات المطبخية المرتبطة به تعتبر في التمثل المشترك وظيفة من وظائف النساء الحصرية. لهذا فالخروج للأكل في الفضاء العام، هو خروج عن الأدوار والوظائف الأساسية للمرأة المتعلقة بإعداد وتحضير الطعام.

خاتمة عامة:

موضوع البحث في الختام، عالج بحث الأطروحة مشكلة الاستهلاك الغذائي وتحولات العادات الغذائية وإبراز عواملها وأثارها على المجتمع بالريف الشرقي حالة مدينة الناظور في الفترة الراهنة، لاسيما الآثار الصحية والبيئية. ومقارنة كل هذا بالوضع السابقة لسنوات ما بعد الإستقلال أي ابتداءً من العقد السادس من القرن الماضي.

ولهذه الغاية، تم استخدام مجموعة من الأدوات المنهجية: المقابلة نصف موجهة، الملاحظة بالمشاركة وكذلك الاستمارة. لقد كان هاجس الإحاطة بمحددات السوق الاستهلاكي الغذائي حاسماً في اختيار عدة أدوات تنهل من المنهجين الكمي والكيفي. وبالرغم من ذلك، فقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات والمعوقات في سياق البحث الميداني على عدة مستويات.

وخلصت نتائج البحث تغيرات اقتصادية واجتماعية ومجالية عدة، صاحبها تغيرات كثيرة في نمط العيش والاستهلاك وقد طرأت على المجتمع الريفي.

إن البحث في سيروية تحول العادات الغذائية بالناظور يكشف أنه هناك سلوكيات غذائية جديدة في طور التشكل. حيث يتم تحويل مجموعة من الوظائف الغذائية التي كانت تمارس داخل المنزل إلى القطاع الاقتصادي ليتكفل بها. إننا أمام تحويل في الانتاج الغذائي من الفضاء الخاص إلى عالم التصنيع والتسويق وخير دليل على ذلك العجائن الغذائية التي أصبحت تعرف انتاجاً كبيراً من طرف شركات وطنية ودولية تغزو به الأسواق والمحلات التجارية بكل أصنافها. إذ أصبح هذه الأنواع من الأغذية الجاهزة جزء من العادات الغذائية الجديدة في النظام الاستهلاكي الغذائي الريفي. إذ تعتبر اليوم هذه العجائن كغذاء أساسي خاصة في وجبة العشاء، حيث تقوم معظم الأسر بتخزينها في خزانة المطبخ. لقد كانت هذه المنتجات المصنعة منذ عقود منذ الزمن تصنع في المنزل ببعض من الطحين والبيض وبعض الأدوات المطبخية البسيطة لكن الصناعات الغذائية استفادت من المكننة والتكنولوجيا وأساليب التسويق الحديثة وقدمت منتجات غذائية جاهزة تضاف إلى مكونات الأطباق.

الملاحق

-استمارة البحث الميداني- (الملحق 1)

تخص هذه الاستمارة بحثاً علمياً جامعياً -أطروحة دكتوراه- حول موضوع:
السلوك الاستهلاكي الغذائي وتحولات العادات الغذائية بالريف الشرقي
- حالة مدينة الناظور-
 لذا نرجوا منكم تعبئتها بعناية ودقة، خدمة للمعرفة وأهداف البحث العلمي.
 مع خالص الشكر لكم على تعاونكم.

1- بيانات أولية

1-رقم	الاستمارة:.....
2-	
3- النوع	1- رجل 2- امرأة
4- السن:	1-(24-20) 2-(29-25) 3-(34-30) 4-(39-35) 5-
6- الحالة العائلية:	1-عازب(ة) 2-متزوج(ة) 3-مطلق(ة)
4- أرمل(ة)	
7- عدد أفراد الأسرة:	1-(3-1) 2-(6-4) 3-(9-7) 4-(10+)
8- الفئة السوسيو مهنية:	1-فلاح/مزارع
2-مهن حرة (حرفي، تاجر، صاحب مقولة)	
3 موظف/إطار عالي	
4 موظف/إطار متوسط	
5 عامل/مياوم	
6- عاطل عن العمل	

آخر، حدد(ي).....

- 9- المستوى الدراسي : 1-بدون 2-أولي 3- ابتدائي 4- اعدادي 5-
تأهيلي 6-عالي 7- اخر حدد(ي).....

2- الأسرة والممارسات الغذائية

- 10- هل تدخر أسرته مواد غذائية كاحتياطات تحسباً للجفاف أو الضائقات الغذائية في المستقبل؟

1-نعم 2- لا 3- أحياناً

4- اخر حدد (ي)

- 11-إذا كان الجواب "نعم" ما نوع هذه الإحتياطات ؟

1- مياه 2- حبوب 3- قطاني 4-خضر
5-فواكه جافة 6-جميع المنتجات السابقة 7-اخر حدد(ي)

.....

- 12- ماهي وجهتكم المفضلة من أجل شراء حاجتكم من الغذاء؟

1- السوق الاسبوعي

2-السوق البلدي

3-متجر الحي

4-المساحات التجارية المتوسطة والكبيرة

- 13- في المتوسط ، كم عدد المرات التي تتسوق فيها من وجهتكم المفضلة؟

1-ثلاث مرات في الأسبوع أو أكثر

2-مرتين في الاسبوع

3-مرة في الأسبوع

4-مرتين في الشهر

5-مرة في الشهر

14- ما هي الأسباب التي تشجعك على الذهاب للتسوق للحصول على الطعام في السوق الأسبوعي؟ (اختر 3 إجابات بحد أقصى ، ثم رتبها من 1 إلى 3 ، كونها السبب الذي يحفزك على الذهاب إلى السوق)

- 1-القرب
 - 2-جودة المنتجات
 - 3-تنوع المنتجات
 - 4-سهولة الوصول
 - 5-الثمن
 - 6-شراء منتجات محلية
 - 7-غير ذلك، حدد (ي) :
- 15- في معظم الأحيان، يتم استهلاك المنتجات الغذائية التي تشتريها (إجابة واحدة فقط ممكنة)

- 1-في نفس اليوم
- 2-غدا
- 3-طيلة أيام الأسبوع
- 4-غير ذلك، حدد (ي) :

.....

3- الأسرة وتدبير الميزانية

16- ماهو الدخل الشهري لأسرتك بالتقريب؟

- 1-أقل من 3000 درهم
- 2- بين 3000 و 5000 درهم
- 3- بين 5000 و 7000 درهم
- 4- بين 7000 و 9000 درهم
- 5- أكثر من 10000 درهم

17- هل تقوم أسرتك بتوفير جزء من المدخول شهريا ؟

- 1- نعم 2- لا 3- أحياناً 4- آخر حدد(ي)

.....

18- هل تلجأ الى الاقتراض من اجل تغطية مصاريف المعيشة؟

- 1- نعم 2- لا 3- أحياناً 4- آخر حدد(ي)

.....

19- ما المرتبة التي تحتلها نفقات الإستهلاك الغذائي في مجموع مصاريف ميزانية أسرتك الشهرية؟

-المرتبة الأولى

-المرتبة الثانية

-المرتبة الثالثة

20- كيف تقيم نسبة الاستهلاك الغذائي مقارنة بمجموع النفقات الاسرية شهريا؟

- 1-ضعيفة 2-متوسطة 3-كبيرة 4-آخر

حدد(ي).....

4- الممارسات الغذائية في الفضاء العام

27- هل تقوم بأخذ وجبات جاهزة (فطور، غداء، وجبة خفيفة أو عشاء) في الفضاء العام؟

- 1-نعم 2- لا 3-أحياناً 4- آخر حدد(ي).....

.....

21- إذا كان الجواب ب"لا" ما سبب ذلك؟

1-ضيق الوقت

2-صعوبة الوقوف طوابير طويلة

3-جودة الوجبات سيئة

4-نقص في شروط السلامة الصحية

5-عدم وجود اختيار أطباق مناسبة

6-الأسعار مرتفعة جدا

7- غير عملي (وقوف السيارات، ساعات العمل، الوقت غير مناسب...)

22- إذا كان الجواب "نعم"، كم عدد المرات التي تتناول فيها وجبات جاهزة للأكل في الأسبوع (وجبات جاهزة، وجبات خفيفة...)?

1- مرة واحدة

2- مرتين

3- ثلاث

4- أكثر من خمس مرات

33- أين تشتري عادة وجباتك الجاهزة؟

1- المساحات التجارية المتوسطة والكبيرة

2- مطاعم متوسطة وفاخرة

3- مطاعم شعبية

4- مقهى، محل وجبة خفيفة، محلبة...

5- موزعون متخصصون في بيع وتسليم الوجبات الغذائية الجاهزة في المنزل

6- غيرها ، حدد (ي)

.....:

24- ما متوسط الميزانية التي تصرفها لشراء وجبة جاهزة لك ولأسرتك في الأسبوع؟

1- أقل من 50 درهم

2- بين 50 و 100 درهم

3- بين

100 و 200 درهم

4- بين 200 و 300 درهم

5- بين 300 و 400 درهم

6- أكثر

من 500

25- ما هي المعايير الثلاثة الرئيسية التي تؤثر على مشترياتك من الوجبات الجاهزة للأكل؟ (3 إجابات محتملة)

1- السعر

2- العلامة

3- الجودة

4-مجموعة متنوعة من الخيارات والوصفات

5-المكونات المستخدمة(المنتجات المحلية، دون مواد حافظة...)

6-غيرها ، حدد (ي)

.....:

26- من بين المعايير التالية، ما هي المعايير الخمسة الأكثر تأثيراً على اختيارك للمطعم لتناول طعام الغداء؟ (صنّف بعض الخيارات التالية من 1 إلى 5: 1 كونها المعيار الذي يؤثر عليك أكثر، و 5 من الخيارات التي تؤثر عليك أقل).

1-طريقة الإعداد والتقديم والتزيين

2-مجموعة متنوعة من الأطباق

3-إمكانية ممارسة نشاط آخر قريب (التسوق، الرياضة...)

4-مراعاة الوجبات الغذائية المحددة (خالية من المواد الحافظة، نباتي، خضروات ...)

5-سعر الوجبة

6-القرب من مكان العمل

7-جودة المنتج (المنتجات الطازجة، القوائم الصحية، الأطباق المتوازنة ...)

8-سرعة الخدمة

9-غيرها ، حدد (ي)

.....:

27-عند الاكل في المطاعم والمقاهي هل تقوم بأخذ صور بهاتفك المحمول لِمَا تناولته؟

1-نعم دائماً 2-لا 3-أحياناً

28-إذا كان الجواب بـ "نعم"، هل تقوم بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي

(فايسبوك، انستغرام..)؟

1-نعم دائماً 2-لا 3-أحياناً

IV- النمط الاستهلاك الغذائي المحلي (جماعة الناظور)

29- عادةً كم مرة تتناول البروتين الحيواني في الأسبوع (اللحوم والدواجن والأسماك)؟

1-يوميّاً 2-مرة أو مرتين 3-نادراً 4-أبداً

30-ضع (ي) علامة (X) على الكمية المستهلكة من المنتجات الغذائية داخل أسرتك في الاسبوع

الكمية بالكيلو غرام المنتجات الغذائية	أقل من 5kg	-10kg 5	10-15 kg	15- 20kg	أكثر 20 kg من
الخضر والفواكه					
الاسماك					
اللحوم الحمراء					
اللحوم البيضاء					
البقوليات					
الحليب ومشتقاته					

31-كيف تقيم كمية الغذاء المستهلكة داخل أسرتكم في الاسبوع ؟

1-منخفضة 2-متوسطة 3-فيها تبذير

العادات الغذائية والرهان الصحي

32-هل تعاني من مرض السمنة أو الوزن الزائد؟

1-نعم 2-لا

33-إذا كان الجواب ب "نعم" هل تتبع أي حمية لإنقاص الوزن؟

1-نعم 2-لا

34-هل سبق لك أن قمت باستشارة طبية لدى اختصاصي تغذية ؟

1-نعم 2-لا 3-لا ولكن أود القيام بذلك

35-هل تمارس أي نشاط رياضي للحفاظ على صحة جيدة ؟

1-نعم 2-لا

36- هل يوجد بين اسرتك شخصا مصابا بمرض متعلق بالتغذية؟

1- نعم 2- لا

37- إذا كان الجواب بـ "نعم" ؛ حدّد معلوماته التالية:

الجنس:

السن:

إسم المرض:

دليل الملاحظة بالمشاركة (الملحق 2)

نوعية النشاط:

تاريخ الملاحظة: _____ / _____ / _____

مدة الملاحظة بالدقائق:

مكان الملاحظة:

وصف النشاط:

تحديد الأبعاد الواجب مراعاتها فيما يتعلق بنوعية النشاط:

سلوك السكان
سلوكات المستهلكين وحركيتهم داخل السوق
التفاعلات والمواقف بين المستهلكين والباعة
الظروف المعيشية والقوة الشرائية، من خلال المشتريات (المواد الغذائية) وعدد التجار في السوق.

ملاحظة هامة	فرضيات	دلائل تفسيرية	وقائع/أحداث بارزة

تمفصلات وقائع/أحداث بارزة

السبب/النتيجة:

.....

.....

.....

.....

.....
.....

نتائج وانعكاسات:

.....
.....
.....
.....
.....

توقعات المستقبل:

.....
.....
.....
.....
.....

دليل المقابلة (الملحق 3)

معلومات شخصية عن المبحوث(ة)

- النوع:
- المهنة:
- الحالة الاجتماعية:
- السن:
- الحي:

المحور الأول الثقافة الغذائية التقليدية بمجتمع البحث

- (1) ماهي المأكولات التي اعتدتم تناولها في وجبة الصباح (الفطور)؟
- (2) ماهي المأكولات التي اعتدتم على تناولها في وجبة الغداء؟
- (3) ماهي المأكولات التي اعتدتم تناولها في وجبة العشاء؟
- (4) ما هو الوقت المعتاد عندكم في تناول كل وجبة؟
- (5) كم من وجبة يتم اعتمادها في اليوم؟
- (6) هل هناك وجبات مخصصة لكل فصل في السنة؟
- (7) اين تتناولون وجباتهم الغذائية هل هناك مكان مخصص؟
- (8) ما هي المنتوجات الغذائية التي تعتبر ضرورية وأساسية في البيت سابقا؟
- (9) من اين تحصلون عليها؟

المحور الثاني الممارسات الغذائية

- (10) هل هناك وجبات تحرمون أكلها؟ اذكرها؟
- (11) ما هي البدائل الغذائية التي اعتمدتم عليها وقت الوفرة وفي وقت الجفاف؟
- (12) ماهي الوجبات التي تطهى بالمناسبات الاحتفالية؟ (الختان، العقيقة، الخطوبة، الزواج، الوفاة)
- (13) ما هي عاداتكم الغذائية في المناسبات الدينية؟ عيدي الفطر والأضحى؟ عيد المولد النبوي؟
- (14) هل مازلتكم تحافظون عليها؟
- (15) هل كان هناك اختلاف بين الاسر في طرق طهي وتحضير هذه الأطباق؟
- (16) ماهي الادوات المستعملة في طهي هذه الأطباق؟ هل مازالت تستخدم؟
- (17) من أين تحصلون على هذه الأدوات من الذي يصنعها؟
- (18) كيف كنتم تقومون بتخزين طعامكم؟

19) من يهتم بتحضير الوجبات الغذائية داخل الاسرة؟ هل كنتم تستعينون بخادمة؟

المحور الثالث تحولات الثقافة الغذائية

1- هل تلاحظ تغير في العادات الغذائية؟

1- ما الذي تغير في المطبخ الريفي؟

2- هل في نظركم هذا التحول في العادات الغذائية إيجابي أم سلبي؟

3- حسب رأيكم ماهي الأسباب التي أدت بكم لتغيير عاداتكم الغذائية؟

4- ما هي المواد الغذائية التي اصبحت متداولة حاليا في المجتمع؟

5- هل الوجبات المتداولة اليوم اكثرها عصرية أم تقليدية؟

6- ماهي السلوكات والممارسات الغذائية الملاحظة اليوم والتي لم تكن متواجدة في

الماضي؟

ROYAUME DU MAROC

MINISTRE DE LA SANTE

CENTRE HOSPITALIER P.NADOR

UNITE : NUTRITION

PSI



المملكة المغربية

وزارة الصحة

المركز الاستشفائي الإقليمي الناظور

قسم التغذية

ok fait - lister

Liste des bénéficiaires de la séance d'Education nutritionnelle

Service : *Hôpital*
Janvier

Nom et prénom	Age	Poids	Taille	IMG	N° d'admission	Date d'admission	Motif d'hospitalisation
El Ghoul Mohamed	73 ans	-	-	-	385	5/1/2018	DT
Aber Kan mimoun	93 ans	-	-	-	277	5/1/2018	DT
adi Ilyass	9 ans	-	-	-	349	5/1/2018	DT
Hamamouchi Malsika	53 ans	-	-	-	203	3/1/2018	DT / AEG
Karimou malika	40 ans	-	-	-	376	5/1/2018	DT
Salimoudi Saïda	54 ans	-	-	-	138	2/1/2018	DT / 1 ^{er} chol
Aicha Adiss	8 ans	-	-	-	110	6/1/2018	DT
El Ghoul Med	73 ans	-	-	-	385	5/1/2018	DT
Aber Kan mimoun	93 ans	-	-	-	277	4/1/2018	DT / HTA / gatte
Ben Hadi Faysef	17 ans	-	-	-	238	3/1/2018	DT
Makhloufi Mohamed	81 ans	-	-	-	2617	6/1/2018	DT / gatte
Rahal Hassan	10 ans	-	-	-	285	4/1/2018	DT
Nada Chatoui	70 ans	-	-	-	504	8/1/2018	DT / OAC
El Halimi mimoun	70 ans	-	-	-	491	9/1/2018	DT
El Karati soumia	-	-	-	-	827	9/1/2018	DT / OAC / 1 ^{er}
chatoui Nada	7 ans	-	-	-	504	8/1/2018	DT
Khalid Huezou	18 ans	-	-	-	619	9/1/2018	DT
Fadi Adam	2 ans	-	-	-	770	11/1/2019	DT
Mite Zoukha	-	-	-	-	-	-	-

Hassna Mada
Diète

El-HILALI Mohammed El anbi
Chef de Pôle des soins
Infirmiers
Hôpital Hassan - Nador

(الملحق 4)

نموذج لوائح المرضى المستفيدين من التربية الغذائية بالمستشفى الإقليمي
بالناظور

جدول تقسيم قيم الودائع البنكية بجماعات الريف الشرقي برسم سنة 2017 (الملحق 5)



AGENCE DE NADOR

Répartition des dépôts et crédits des banques implantées dans le rayon d'action des provinces de Nador et Driouch

ANNEE 2017

en millions de Dh

LOCALITES	NOM	JANVIER		FEBVIER		MARS		AVRIL		MAI		JUIN		JUILLET		AOÛT		SEPTEMBRE		OCTOBRE		NOVEMBRE		DECEMBRE	
		DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS	DÉPÔTS	CREDITS
TOTAL RAYON D'ACTION		39 969 301	5 017 726	40 003 247	4 976 086	39 991 906	4 978 256	39 964 508	5 017 349	40 039 803	5 105 578	40 098 412	5 241 595	40 812 927	5 213 739	41 427 568	5 150 572	42 010 945	5 162 256	42 072 800	5 351 416	42 018 026	5 291 617	42 229 310	5 169 174
NADOR		19 483 514	4 000 188	19 479 404	3 960 584	19 468 038	3 942 606	19 406 906	3 974 783	19 451 311	4 058 883	19 442 058	4 188 699	19 775 837	4 146 749	19 979 908	4 082 867	20 314 646	4 113 045	20 301 651	4 289 640	20 263 243	4 193 450	20 346 148	4 125 328
AJ AROUI		3 815 070	185 942	3 817 121	187 281	3 804 586	186 407	3 800 565	187 414	3 793 227	191 519	3 802 762	194 148	3 906 988	194 951	4 000 501	192 957	4 030 785	191 555	4 046 519	194 695	4 003 391	201 497	4 084 273	194 021
ZEGANGANE		1 592 149	104 936	1 593 952	103 390	1 587 796	105 238	1 587 506	105 697	1 586 143	106 018	1 591 168	105 331	1 619 320	107 200	1 641 474	110 729	1 669 680	105 584	1 670 725	109 738	1 678 163	122 725	1 645 990	98 930
DRIOUCH		2 425 541	78 688	2 440 883	78 320	2 445 130	92 793	2 445 077	92 092	2 455 187	91 934	2 462 056	92 697	2 504 207	94 167	2 554 232	93 789	2 575 209	94 277	2 571 732	94 584	2 583 339	93 330	2 591 513	95 126
MIDAR		2 357 390	77 782	2 358 083	78 112	2 354 622	78 645	2 355 653	77 728	2 357 788	77 096	2 366 192	76 499	2 395 708	76 187	2 426 618	77 221	2 446 619	68 174	2 462 021	68 882	2 475 980	68 820	2 486 314	69 842
SELOUANE		973 037	142 909	970 323	142 447	977 710	145 206	973 853	140 870	972 395	139 724	973 420	137 329	988 641	144 485	1 005 691	144 018	1 020 098	143 496	1 026 645	142 128	1 009 777	156 712	1 044 928	142 354
BENI ENSAR		1 163 842	121 471	1 175 580	119 530	1 166 495	120 378	1 171 544	119 523	1 185 337	119 588	1 201 730	122 564	1 219 252	122 009	1 236 287	122 435	1 249 613	122 704	1 249 407	123 503	1 267 733	129 255	1 276 252	117 373
ZAIO		1 592 201	110 067	1 598 389	110 659	1 611 851	110 734	1 619 704	125 796	1 607 221	126 718	1 608 205	128 517	1 629 762	129 222	1 648 987	129 396	1 677 547	127 665	1 683 429	129 947	1 232 543	125 830	1 245 489	128 558
BEN TYEB		1 552 487	33 024	1 553 618	33 217	1 553 144	32 775	1 556 520	33 521	1 561 469	34 000	1 564 104	34 007	1 584 362	35 562	1 617 242	35 258	1 643 730	35 444	1 652 915	36 033	1 658 792	34 582	1 655 943	33 610
BOUDINAR		816 480	23 580	817 915	24 227	815 842	24 325	817 065	23 898	818 190	23 823	820 966	24 037	831 502	23 954	845 797	24 323	857 376	24 641	856 725	24 517	862 322	24 543	862 374	24 415
TAMSAMANE		713 011	7 077	710 575	7 220	710 156	7 396	709 259	7 361	713 123	8 104	716 661	7 943	732 464	7 114	752 832	6 919	760 325	6 779	766 932	6 935	769 323	6 984	771 761	7 267
KARIAT AREKMANE		468 403	29 026	466 722	28 441	465 783	29 176	464 253	28 778	462 829	27 382	465 370	27 078	481 926	27 219	499 353	26 577	504 451	26 098	507 838	25 927	511 835	26 402	514 116	25 484
DAR KEBDANI		697 961	16 063	698 997	15 985	702 428	15 735	707 767	15 616	711 754	15 897	715 006	15 685	730 213	17 039	743 270	16 608	753 968	16 637	758 755	16 842	764 072	15 719	768 387	15 850
AIN ZOHR		395 903	4 129	400 947	4 372	401 486	4 200	405 774	4 142	404 689	4 197	401 535	4 177	410 607	4 032	420 984	4 098	426 464	3 970	428 430	3 961	430 296	3 841	430 472	3 527
BENI CHIKER		441 735	12 776	443 280	13 089	445 214	12 988	451 196	12 624	453 381	12 970	452 411	12 887	457 795	13 471	465 604	13 706	470 697	13 630	477 569	13 877	479 908	13 759	485 121	13 485
RAS EL MA		179 935	16 312	179 292	16 220	178 937	16 004	176 970	15 309	176 921	15 280	177 810	15 275	184 609	15 279	193 388	15 240	194 457	15 180	192 839	15 244	190 004	15 151	190 436	15 014
FAIKHANA		249 191	21 181	248 759	20 868	248 914	20 587	252 812	20 455	254 556	20 263	256 354	21 091	262 560	21 448	265 002	21 468	274 031	20 800	273 129	20 934	274 795	20 525	280 843	20 383
TAFERSIT		296 741	6 184	297 461	6 115	297 028	6 037	299 766	5 124	302 127	5 096	304 370	6 005	307 250	6 174	309 862	5 247	312 667	5 139	310 287	5 094	310 125	5 081	311 434	5 835
AUTRES LOCALITES*		754 710	26 381	751 946	26 009	756 746	27 028	762 318	26 618	772 155	27 086	775 634	27 626	789 913	27 837	820 536	27 716	828 582	27 444	834 852	28 935	832 385	32 811	837 616	32 772

* AZLAF,TAZAGHINE,JAANENE,HASSI BERKANE,BNI BOUIFROUR

جدول تقسيم قيم الودائع البنكية بجماعات الريف الشرقي برسم سنة 2018 (الملحق 6)

AGENCE DE MADON

Répartition des dépôts et crédits des banques implantées dans le rayon d'action des provinces de Nador et Drifouch
ANNEE 2018

BANK	JANUARY		FEBRUARY		MARCH		APRIL		MAY		JUNE		JULY		AUGUST		SEPTEMBER		OCTOBER		NOVEMBER		DECEMBER		TOTAL
	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	DEPOSITS	CREDITS	
TOTAL RAYON D'ACTION	42 255 079	5 144 042	42 390 104	5 117 106	42 396 410	5 155 367	42 299 519	5 093 267	42 210 554	5 114 089	42 328 461	5 174 513	42 222 089	5 110 356	42 750 437	5 610 082	42 600 077	5 658 954	42 618 487	5 704 837	42 376 631	5 678 691	42 392 044	5 673 517	
MADON	20 111 112	4 088 378	20 371 050	4 100 197	20 349 405	4 081 189	20 303 578	4 027 380	20 257 922	4 018 229	20 316 115	4 088 653	21 087 108	4 415 383	20 558 739	4 550 665	20 774 611	4 567 746	20 717 417	4 597 133	20 688 387	4 572 362	20 718 951	4 564 442	
AL ANOU	4 078 510	1 081 514	4 081 323	201 919	4 095 357	1 091 901	4 077 735	204 552	4 058 206	208 438	4 077 990	211 440	4 111 739	212 708	4 119 492	214 976	4 139 912	213 242	4 134 179	215 495	4 131 131	214 011	4 090 397	217 268	
ZEKANGANE	1 644 129	1 600 599	1 650 135	1 601 059	1 658 971	1 648 492	1 643 007	89 540	1 643 007	89 811	1 648 039	98 956	1 658 985	89 703	1 660 351	90 484	1 680 048	91 981	1 687 293	92 486	1 685 375	91 908	1 689 989	91 558	
DRIFOUCH	2 021 059	94 889	2 005 442	97 461	2 001 348	95 200	2 001 367	95 246	2 005 954	96 082	2 000 629	98 682	2 001 029	97 722	2 005 877	95 594	2 028 777	95 331	2 020 304	94 750	2 024 748	91 778	2 034 030	89 984	
MADON	2 488 173	71 816	2 502 052	68 850	2 497 474	70 761	2 491 737	70 461	2 483 046	71 394	2 491 199	71 605	2 497 708	71 865	2 489 346	72 255	2 489 510	71 101	2 479 200	73 397	2 473 098	73 204	2 474 332	73 563	
SELOUANE	1 054 758	139 246	1 057 220	156 614	1 708 798	123 358	1 642 555	142 318	1 655 547	145 710	1 654 258	145 727	1 657 774	145 815	1 662 618	144 912	1 702 812	135 945	1 697 381	151 002	1 698 065	153 771	1 694 427	161 401	
DEMI ENSAR	1 679 861	120 849	1 697 211	122 538	1 706 035	130 888	1 704 019	124 599	1 689 716	124 706	1 690 077	125 541	1 694 271	125 933	1 705 731	128 189	1 820 106	140 479	1 706 387	127 035	1 725 944	131 520	1 728 874	132 343	
ZAOU	1 102 639	131 125	1 172 189	131 031	1 041 380	142 843	1 385 415	133 136	1 395 791	133 705	1 382 729	132 473	1 396 462	139 396	1 313 239	142 413	1 052 596	146 791	1 335 299	141 959	1 333 003	143 195	1 338 141	142 076	
BEN TYER	1 058 829	34 606	1 054 083	34 721	1 061 413	35 523	1 064 609	36 135	1 052 970	36 603	1 054 582	34 921	1 064 353	35 552	1 067 250	35 503	1 059 059	35 173	1 069 319	35 109	1 069 893	34 627	1 069 515	33 996	
BOUDJANAR	867 496	25 500	866 449	25 015	782 044	15 294	866 006	26 024	868 006	25 198	865 817	25 622	868 048	25 637	869 676	25 048	794 586	16 034	866 714	24 809	866 750	24 753	866 556	25 053	
TAMSMANE	770 242	7 936	769 138	7 166	770 166	7 365	769 515	7 497	767 478	7 753	770 326	7 020	770 645	7 042	786 026	7 081	785 579	6 961	783 572	7 070	784 920	6 926	788 939	7 641	
KANANT AERMANNE	514 739	25 616	513 623	26 014	513 361	26 553	508 815	25 988	508 979	26 618	513 551	26 287	518 168	26 397	518 904	27 211	523 556	26 649	524 630	26 716	521 994	26 681	525 564	25 487	
QAR VERDANI	778 305	15 772	780 393	15 654	865 538	25 271	778 174	15 722	780 924	16 316	782 510	16 236	784 341	16 546	790 510	16 295	803 352	24 648	799 667	16 362	804 958	16 353	806 808	16 556	
AUN ZOHOA	438 620	4 156	432 923	4 393	430 416	4 460	432 942	3 833	429 171	3 800	427 205	3 794	430 407	3 799	432 739	3 652	432 836	3 023	432 292	4 139	429 111	4 474	427 549	4 287	
BENI CHICKER	466 649	13 133	489 397	13 281	489 483	13 051	490 808	14 007	491 110	14 305	491 606	14 236	492 077	15 748	492 732	16 095	499 320	14 689	496 797	15 378	498 566	16 223	497 247	15 937	
RAS EL MA	189 060	15 291	189 523	15 068	189 123	15 122	190 883	15 103	191 759	15 407	190 256	15 804	191 111	15 097	207 927	16 608	208 412	16 422	202 198	16 652	199 569	16 059	195 380	17 270	
MAHMANA	288 009	20 816	284 689	21 005	285 091	21 011	287 205	21 104	286 085	20 974	288 356	20 743	289 929	22 482	288 217	21 400	288 561	20 887	293 583	23 081	291 513	23 218	292 775	23 104	
TAHERIST	311 733	5 875	316 393	5 892	316 937	5 914	315 455	5 520	316 290	5 643	314 939	5 658	312 948	6 248	315 685	5 816	315 161	5 106	314 308	5 992	316 640	5 469	317 186	5 460	
AUTRES CROQUETS*	844 056	32 035	847 071	32 108	853 660	33 208	855 269	34 392	850 989	34 770	848 845	35 405	854 314	36 301	862 520	36 615	871 123	36 179	873 347	35 743	873 346	31 937	867 004	26 091	

* AZAF, TAZAGNINE, AZAGNENC, JASSI, BENKANE, ENNI, BOUDJOUR

REPARTITION PAR LOCALITE DES GUICHETS BANCAIRES

LOCALITES	NOMBRE DE GUICHETS ANNEE 2017	NOMBRE DE GUICHETS ANNEE 2018*
NADOR	96	95
DRIOUCH	13	12
ZEGANGANE	10	10
AL ARAOUI	19	19
MIDAR	11	11
SELOUANE	9	9
BENI ENSAR	10	10
ZAIO	10	10
BEN TYEB	8	8
BOUDINAR	4	4
TAMSAMANE	5	5
KARIAT AREKMANE	3	3
DAR KEBDANI	4	4
AIN ZOHRA	4	4
BENI CHIKER	3	3
RAS EL MA	2	2
FARKHANA	3	3
TAFERSIT	3	3
AZLAF	2	2
TAZAGHINE	2	2
IAAZANENE	2	2
HASSI BERKANE	1	0
BENI BOUIFROUR	1	1
TOTAL	225	222

Inclus 3trois banques participatives

جدول تقسيم الشبابيك البنكية حسب جماعات الريف الشرقي برسم سنتي 2018/2017
(الملحق 7)

لائحة المراجع باللغة العربية

- المندوبية السامية للتخطيط/ الإحصائيات العامة للسكان والسكنى لـ 1960-1971-1982-1994-2004-2014

L'émigration / l'immigration marocaine è l'ère de la mondialisation
Actes du colloque international organise à Agadir les 10 et 11
Décembre 2010 publication d'IRCAM série colloque et séminaires N
34,2013

-ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، ج 1، البيضاء، 2007
ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار البيان، سنة 1377م
-ابن رزين التجيني، فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان، تقديم وتحقيق محمد ابن
شقران، (صورة من فن الطبخ في الاندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين)،
الرباط، 1981،

-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) لسان العرب دار صام 2003
-أبو عبيد البكري: كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق
أدريان، مينزونوف، باريس، الطبعة الأولى سنة 1965.
-أحدو محمد، الريف الشرقي بالمغرب وبنياته التقليدية (نموذج قلعية)، سلسلة شرفات، العدد
89، منشورات الزمن، مطبعة بني ازناسن، سلا، غشت 2017.
-احسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت لبنان، دار الطليعة
للطباعة والنشر، 1982.

-أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري
ومحمد الناصري، دار الكتاب، البيضاء، 1955
-أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيارُ المُعرب والجامع المُعرب عن فتاوى أهل إفريقية
والأندلس والمغرب، دار الكتب العلمية، 2012.
-البزاز امين، الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14 ميلادية مجلة كلية الآداب الرباط عدد
16.

- البشير تامر، التحولات الاجتماعية والمجتمع المدني في العالم العربي، حالة المغرب ضمن أشغال اللقاء الثاني لجهة الشرق الأوسط وشمال افريقيا للمجلس العالمي، العمل الاجتماعي في موضوع التحولات الاجتماعية في العالم العربي واقع وتساؤلات، المنظم بالرباط بتاريخ 18 19 يونيو 2012، تنسيق ادريس الكراوي.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، مكتبة يسر، ج1، تونس، 1998
- الحسين بوظيلب اهمية تطور التحويلات المالية للمهاجرين المغاربة بأوروبا حالة الريف الشرقي ص 5-21 ص 16 في:
- العساف صالح حمد، المدخل الى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان -الرياض، 2003.
- أوجيست موليراس، المغرب المجهول، ج 1، اكتشاف الريف، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تلغراف، 2007.
- أورسولا كينغسمائل هارت، وراء باب الفناء. الحياة اليومية للنساء الريفيات، ترجمة عبد الله الجرמוني، منشورات "تيفراز ن أريف"، بمساهمة جمعية ملتقى المرأة بالريف، مطبعة النجاح الجديدة، 2010.
- تالكوت بارسونز النظريات الوظيفية للتغير «». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. 19842.
- جميلة السعدي، مركب الحديد والصلب وميناء بني انصار، مساهمتهم ودورهما في تطوير المنطقة الشرقية مجلة جغرافية المغرب، العدد 3، 1979
- جيرمان مويت، سرد لسجن السيد مويت في مملكتي فاس والمغرب، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، 1989
- دافيد مونتكمري هارت، القانون العرفي الريفي، ترجمة محمد الوالي من الإسبانية إلى العربية، اصدار المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل التابع للمعهد، 2004.

-دافيد مونتكمري هارت، أيت ورياغل، قبيلة من الريف المغربي الترجمة العربية: عبد المجيد عزوزي، حميد الرايس، محمد أونيا، منشورات صوت المغاربة الديموقراطيين بهولندا، 2016

-ستيفن ميلز، النزعة الاستهلاكية كأسلوب حياة، سلسلة كراسات وعروض، منشورات المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002

-شافا فرانكفورت وناشميز دافيد ناشميز، طرائق البحث في العلوم الإجتماعية، ترجمة دة ليلي الطويل، الناشر: بترا للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، 2004.

-عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي من الشاي الى الأتاي العادة والتاريخ كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط الطبعة الأولى سنة 1999 مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء

-عبد الرحمن الزكريتي، ثقافة المقاومة بالريف، مقارنة سوسيو-انثربولوجية للأسرة القروية واستراتيجيات تدبير الحياة اليومية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، طبعة 2016.

-عبد الرحيم العطري، قرابة الملح الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، المكتبة الجامعية، 2016.

-عبد العالي أحمتي، التغذية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط: قضايا ومناهج، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الموسم الجامعي 2002/2001.

-عبد العزيز فهمي هيكل، موسوعة المصطلحات الاقتصادية الإحصائية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان 1986

-عبد اللطيف كداي، التحولات الاجتماعية القيمة للشباب المغربي محاولة للرصد والفهم، التدريس مجلة كلية علوم التربية، العدد 7، السلسلة الجديدة، يونيو 2015

-عبد الله هرهار، ذاكرة الطعام في أسس النظام الغذائي وعاداته، الثقافة الشعبية، مجلة فصيلة علمية متخصصة، العدد 11 خريف 2010

-علال الزروالي، التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، الجزء الاول، 1999 و2000.

-علال زروالي (المسكن الريفي القديم بالريف الشرقي)، مجلة حفريات مغربية، 26 العدد 3، فبراير 2004م.

-قيس مرزوق الورياشي، "الريف الشرقي: التحولات الاجتماعية والواقع الحضري"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، العدد 1، 1983/1984، ص: 343 348
-كارل ماركس «موجز في المادية التاريخية». ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. (1984).

-كارول كونيهان، أنثروبولوجيا الطعام والجسد: النوع والمعنى والقوة. ترجمه سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة، الطبعة الاولى، 2013.

-ماكس فيبر، الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي مقلد، مركز الاتحاد العربي، بيروت، (بدون تاريخ)

-مجلة اسيناك، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، عدد مزدوج 5/4 2010 بوظيلب الحسين، الهجرة الدولية بالريف الشرقي وانعكاساتها.

-مجلة أمل، الأطعمة والأشربة في تاريخ المغاربة العدد: 16 / 1999.

-مجلة أمل، التغذية والأزمة في المغرب النصف الثاني من ق 17 وق 18، العدد: 17/ 1999

-محمد ابن عزوز حكيم، سبته وليلى في عهد الحماية، دار الطبع والنشر العربية، 1988.
-محمد الأمين البزار: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18-19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 1992.

-محمد البركة وسعيد بن حمادة وعبد الهادي البياض، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد. منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 77، أكتوبر 2016

- محمد المعزوزي وجعفر بن عجيبة، سبتة ومليلية حتى لا ننسى، شركة الهلال للطباعة والنشر 1986.
- محمد اونيا، المجتمع الريفي قبل المقاومة (1897/1921)، مجلة أمل، عدد8، السنة الثالثة، 1996.
- محمد أقضاض: الاحتراق والتوهج، الريف بين1860و1920، مطبعة 29 الجسور، وجدة، الطبعة الأولى سنة 2001.
- محمد شفيق، البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية المطبعة العصرية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1985
- محمد يسرى إبراهيم، اقتصاديات مجتمع الانفتاح، دار أم القرى للطباعة والنشر الإسكندرية، الإسكندرية، 1997
- مريم سلطان، الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-1999.
- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002
- مصطفى عمر التير، أسس البحث الاجتماعي، معهد الإنماء العربي للدراسات الاجتماعية، الطبعة الأولى، 1989.
- مصطفى عشير، قطاع السكنى بالريف، المنجزات والآفاق، جامعة الشريف الادريسي المفتوحة، الحسيمة، الدورة الرابعة، 1991.
- معجم المعاني الجامع نسخة الكترونية WWW.HMANY.COM
- نبيل حميدشة، المقابلة في البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، يونيو 2012
- نعيمة المدني، تحول العادات الغذائية بالمغرب القروي: دراسة أنثروبولوجية، دار الأمان، الطبعة الأولى 2015

- هربرت سبنسر " نمو المجتمعات "، ضمن: التغير الاجتماعي: مصادره، نماذجه ونتائجه. إعداد أميتاي اتزيوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1984.
- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكالية، التقنيات والمقاربات، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007

لائحة المراجع باللغة الفرنسية والإنجليزية

- Abdelkrim Belguendouz, L'émigration des travailleurs marocains, l'encyclopédie du Maroc, Fascicule géographie Humaine, 1978
- Adam. Maurizzio, Histoire de l'alimentation végétale chez l'Homme, Journal d'agriculture traditionnelle et de botanique appliquée
- Adams Carol, The Sexual politics of meat : A Feminist vegetarian critical theory, New York, 1990.
- Agbessi Dos Santos M.Damon, Manuel de nutrition africaine, Edition Carthela, 1987, P 63
- Annick Faniel, Les habitudes alimentaires et les repas: sources de construction des identités culturelles, Centre d'Expertise Ressources d'Enfances, 2013.
- Antonio Bravo Nieto, L'architecture coloniale espagnole du XXème siècle au Maroc, Édition La porte, N° 5, 1993
- Benoit Gautier, Recherche sociale: de la problématique à la collecte des données, Presses de l'université de Québec, 5eme Edition, 2009.
- Boudon Raymon, Dictionnaire critique de la sociologie, Paris, PUF, 1986
- Busnot Dominique, Histoire du règne de Moulay Ismail, Roi de Maroc, Fès, Tafilalt, Sous, Rouen, 1731 Jean Louis Miega, le Maroc et l'Europe, Tome III, Paris: Presses universitaires de France, 1962
- Chiva Matty. De l'honnête volupté: la place du plaisir dans le déterminisme des conduites alimentaires. Université de Paris X – Nanterre, 1997
- Claude Fischler, L'omnivore, Paris, Odile Jacob, 1990.

- Claude Lévi-Strauss, L'Origine des manières des tables, Paris, Plon, 1968.
- Claude Lévi-Strauss, le cru et le cuit, Editions Plon, Paris, 1964.
- Claude Lévi-Strauss, Le triangle culinaire, L'ARC, N: 26, 1965.
- Deaton, A, «Franco Modigliani and the Life Cycle Theory of Consumption» , Deaton Research Program in Development Studies and Center for Health and Wellbeing, Princeton University, March 2005.
- Dictionnaire de Biologie, Edition CILF 2000.
- Duesenberry James Stemple. Income, saving and the theory of consumer behaviour, Havard UP, 1949.
- Eduard Michaux-Bellaire, Le Rif, conférence faite au cours des Affaires indigènes, Édition Hachette BNF, Collection Sciences sociales, 1925.
- Emile Durkheim, De la Division du Travail Social, Paris, PUF, 1960
- Emile Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, le système totémique en Australie, PUF, 1968,
- Emilie Blanco, Coronel en El Rif, la biblioteca de Melillia, 1995.
- Farn Petter and George Armelgos, Consuming passions: The Anthropology of eating, New York, Houghton Mifflin, 1980.
- Faustine Régnier, Anne Lhuissier et Séverine Gojard, Sociologie de l'alimentation, Collection: Repères Éditeur: La Découverte, 2009
- Ferdinand Braudel: civilisation matérielle, économie et capitalisme XV – XVIII, les structures du quotidien, Paris, 1972

- Fischler Claude, la nourriture: pour une anthropologie culturelle de l'alimentation, communication N°31, 1979.
- Frank Kardes, Maria Cronley et Thomas Cline, Consumer Behavior, Mason, OH, South-Western Cengage, 2011
- Fred Kerlinger. Foundations of behavioral research. New York, Holt, Rinehart, and Winston, INC, 1973.
- Freud Sigmund, Totem and Taboo, New York, Vintage, 1918.
- Georges Balandier, Sens et Puissance, PUF, Paris, 1971
- Georges Condominas, L'espace social. À propos de l'Asie du Sud-Est, Paris, Flammarion, 1980.
- Germain Ayache, Les origines de la Guerre du Rif , Editions de la Sorbonne Paris, et Rabat: SMER, 1981
- Grigori Lazarev, «changement social et développement: études sociologiques sur le Maroc», in BESM, RABAT, Nouvelle édition, 1978.
- Grigori Lazarev, changement social et développement dans les compagnes marocaines, in B.E.S.M, 1978.
- Guitouni Abdelkader, Le Nord-Est marocain, réalités et particularités d'une région excentrée, BMFI, Oujda, 1995.
- Guy Rocher, le changement social, introduction à la sociologie générale, édition HMH, Paris, 1986.
- Halbwachs Maurice: la classe ouvrière et les niveaux de vie. Thèse de doctorat présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Paris, 1930

- Hubert Annie, «le plat national existe-t- il ?» , Revue des Sciences Sociales, N° 27, dossier : Révolution des Cuisines), 2000
- Jack Goody, Cuisines, cuisine et classes, Paris, Editions du Centre Pompidou, coll. «Alors », 1984.
- James George Frazer, Le Rameau d'or, Librairie orientaliste Paul Geuthner, traduit d'anglais, 1ere édition 1980,
- Jean Anthelme Brillat-Savarin, Physiologie du gout, ou méditations de gastronomie transcendante, éd Charpentier, 1838.
- Jean Duvignaud, Chebika: Mutations dans un village du Maghreb Broché. Cérès, Tunis, 1994.
- Jean Pierre Corbeau, Nourrir de plaisir : Régression, transgression, transmission, régulation ? Les cahiers de l'OCHA, n :13, 2008.
- Jean Pierre Corbeau, Jean Pierre Poulain, Penser l'alimentation, Toulouse, Privat, 2002.
- Jean-Pierre Corbeau, Héron R., Janin Pierre. Les sens du bien-manger : entretien avec Jean-Pierre Corbeau. Socio-Anthropologie, 39, 145-156. (2019), P :146
- Jean-Pierre Poulain, Manger aujourd'hui. Attitudes, normes et pratiques, Editions Privat, Paris, 2002
- KEYNES John Maynard, La Théorie générale de l'emploi, de l'intérêt et de la monnaie, traduit par : Jean de Largentaye, Éditions, Payot, Paris.
- Larousse, éditions Larousse,2008
- Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 9eme édition, Dalloz, Paris, 1993

- Marcel Mauss, Essai sur le don. Forme et raison de l'échange dans les sociétés archaïques, Presses universitaires de France, coll. « Quadrige Grands textes », 2007
- Margaret Mead, Manuel for the study of food habits, in bulletin of national research council National Academy of Science, N°11
- Mary Douglas, De la Souillure. Essai sur les notions de pollution et de tabou, Paris, La découverte, 1981
- Mary Douglas, les structures du culinaire, ISSN 0588-8018, N° 31, 1979 (: La nourriture. Pour une anthropologie bioculturelle de l'alimentation / coord. Par Claude Fischler), P 145-170.
- Matalon Benjamin et Rodolphe Ghliglion, Les enquêtes sociologiques: théories et pratiques Paris: COTIN 4eme ed, 1985.
- Mead Margaret, Manuel for study of food habits, bulletin of national research Council, academy of sciences N°111, 1945.
- Mead Margaret, Mœurs et sexualité en Océanie, Paris, Plon, «Terre Humaine »1963
- Mendras Henri, Forsé Michel, Le changement social, tendances et paradigmes, Paris, Armand Colin, 1983.
- Milton Friedman: A Theory of the Consumption Function, National Bureau of Economic Research, Princeton University Press ,1957
- Mohamed Houbaida, Le Maroc végétarien, 15e–18e siècles. Histoire et biologie, Casablanca, 2008
- Monkachi Mohamed. L'alimentation traditionnelle dans les campagnes du nord du Maroc. In: Médiévales, n°33, 1997. Cultures et

nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger.

-Moulin Léo, L'Europe à table, Introduction à une psychologie des pratiques alimentaires, Bruxelles, Elsevier Sèquoia, 1975.

-Oubahli Mohamed «La main et le pétrin»: Alimentation céréalière et pratiques culinaires dans l'Occident musulman au Moyen Age, thèse de doctorat soutenu à EHESS Paris, 2002.

-Parviz Ghadirian, Résultats préliminaires d'une enquête sur les habitudes alimentaires des canadiens-français à Montréal, Med et Nuit, 1996.

-Paul Descamps, L'État social des peuples sauvages: chasseurs, pêcheurs, cueilleurs, 1932

-Paul Guillaume, la Formation des habitudes, Paris: PUF, 1973

-Pierre Bourdieu, La Distinction: Critique sociale du jugement, Edition Minuit, 1979.

-Raymond Jamous, Honneur et Baraka, les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Revue de l'Occident musulman de la Méditerranée, n°34, 1982.

-Raymond Quivy et Luc Van campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales DUNOD 1998.

-Richards Audrey. Hunger and work in a savage Tribe: A functional study of nutrition among the Southern Bantu. London : Routledge & Kegan Paul. 1932

-Roger Bastide, Anthropologie appliquée, P.B Payot, Paris, 1971

- Roland Bartes, Toward a psychology of contemporary food consumption, edited by Elborg Foster and Robert Foster, New York, 1975.
- Rosenberger Bernard, Société, pouvoir et alimentation, nourriture et précarité au Maroc précolonial, Ed, Alizés, 2001.
- Tourne F, "Le Comportement alimentaire des étudiants français", Edition: MNEP/CEFS, Paris, Novembre 1982, P 80
- Trémoulinas Alexis, Sociologie des changements sociaux, Paris, Edition La découverte, 2006.
- Trémolières Jean, Alimentation et Santé «Manuel de l'alimentation humaine» Tome I, Les bases de l'alimentation, ESF, 9eme édition, 1980
- Maurice Angers, initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines. Collections techniques de recherches, casbah, Alger, Algérie, 1997.

قوائم الرسوم البيانية والجداول

الخريطة رقم 1 الريف الشرقي

الخريطة رقم 2 مدينة الناظور

الجدول رقم 1: الميزان التجاري المغربي بين 1890-1912 المنتجات من الأسواق الأوربية

الجدول رقم 2: واردات المغرب من بعض المواد الغذائية من الأسواق الأوربية

الجدول رقم 3: تطور واردات السكر بالمغرب (بالفرنك الفرنسي) بين سنتي 1902-1913

الجدول رقم 4: كمية الشاي التي تم إنزالها بالموانئ المغربية ما بين 1902-1912

الجدول رقم 5: كمية الشاي التي تم إنزالها بميناء الدار البيضاء ما بين 1894-1898

الجدول رقم 6: أهم الوجبات الغذائية اليومية بالريف الشرقي وطرق تحضيرها

الجدول رقم 7: الأطباق الغذائية بالريف الشرقي خلال فصول السنة والمواسم الفلاحية

الجدول رقم 8: الأطباق الغذائية بالريف الشرقي خلال الأعياد والمناسبات.

الجدول رقم 9: قائمة الأدوات المطبخية ووظائفها بالريف الشرقي

الجدول رقم 10: قائمة لبعض أنواع الأطعمة المخزنة

الجدول رقم 11: أدوات وطرق التخزين الأطعمة

الجدول رقم 12: تطور عدد المحلات المهنية بإقليم الناظور بين سنتي 1971-1995

الجدول رقم 13: تطور عدد المحلات المهنية بجماعات إقليم الناظور بين سنتي 1995-1971

الجدول رقم 14: توزيع الساكنة وتطورها من خلال الإحصائيات العامة الستة إقليم الناظور

الجدول رقم 16: المنتجات الغذائية بإقليم الناظور: النوع والمصدر

الجدول رقم 17: البنية المهنية لعينة البحث

الجدول رقم 18: بنية الأعمار لعينة البحث

الجدول رقم 19: الخصائص التعليمية لعينة البحث

الجدول رقم 20: خصائص السكن لعينة البحث

الفهرس

- 1..... كلمة شكر وتقدير
- 2 ملخص البحث باللغة العربية
- 3..... ملخص البحث باللغة الفرنسية

القسم الأول: الإطار النظري للبحث

- 6..... مقدمة عامة:

الفصل التمهيدي

- 1- إشكالية البحث وعناصرها 11
- أ- مشكلة البحث وإطارها الزمكاني 11
- ب- الأسئلة الفرعية..... 14
- 2-فرضيات البحث : 14
- 3-أهداف وأهمية البحث 17
- 4-الدراسات السابقة على المستوى الوطني : 17

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للبحث

- I - الاستهلاك : المفهوم والسلوك 23
- I - 1الاستهلاك : تعريفه وأنواعه..... 23
- أ-الاستهلاك الوسيط:.... 24
- ب-الاستهلاك النهائي:.... 24
- I - 2 سلوك المستهلك..... 24
- I - 3 المفاهيم الاقتصادية حول الاستهلاك 25
- أ-كينز: نظرية الدخل المطلق..... 26
- ب-دوزنبري نظرية الدخل النسبي 26

- ت- فريدمان نظرية الدخل الدائم 27
- ث- سلوك الاستهلاك وفقاً لنظرية دورة الحياة: 29
- ج- ما الذي تشترك وتختلف فيه نظريات الاستهلاك؟ 29
- I - 4-تصورات سوسيولوجية لظاهرة الاستهلاك 30
- أ-التصور المادي التاريخي 30
- ب- المنظور الوظيفي 31
- II - العادات الغذائية : مقارنة مفاهيمية 32
- II - 1 تعريف الغذاء : في اللغة والبيولوجيا 32
- II - 1 العادات الغذائية : 34
- أ-الغذاء وقوة العادة 34
- ب-العادات الغذائية والطبقة الاجتماعية 35
- ت- العادات الغذائية كنموذج ثقافي 36
- III - مدلول التغير الاجتماعي من خلال النظريات السوسيولوجية 37
- 1التغير الاجتماعي في النظريات السوسيولوجية : 38
- أ-النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية 38
- ب-النظريات السوسيولوجية الحديثة 40
- ت-النظريات السوسيولوجية المعاصرة 42
- 2 -التحول أو التغير : صعوبة تحديد المفهوم 43
- أ-التحول الاجتماعي: 44
- ب-التغير الاجتماعي 44

الفصل الثاني: موضوع التغذية في العلوم الاجتماعية

- I -التغذية في الدراسات التاريخية 47
- 1- التغذية والبحث التاريخي بأوروبا والمغرب..... 48
- أ-التغذية والبحث التاريخي بأوروبا 48
- ب-الحوليات: الغذاء في أبعاد معرفية جديدة..... 49
- ت- التغذية والاهتمام التاريخي بالمغرب..... 50
- ث- تاريخ التحولات الغذائية: خصوصية التحقيب..... 54
- 2التغذية عند المغاربة خلال العصر الوسيط..... 55
- أ - المغرب النباتي..... 55
- ب - تأثير الظروف الطبيعية والسياسية على تغذية المغار..... 58
- ت - بعض السلوكات الغذائية وموقف فقه النوازل..... 61
- ث - التغذية والتمايز الاجتماعي: 64
- I -3 تطور العادات الغذائية خلال القرنين 17 و18..... 66
- أ - بدايات الإنتاج الزراعي بالمغرب..... 66
- ب-العادات الغذائية من خلال الرحالة الأجانب..... 67
- ت-أزمات التغذية خلال القرنين 17 و18 70
- I -3 القرن 19 وبدايات التحولات الغذائية بالمغرب..... 72
- أ-وضعية التجارة العامة للمغرب خلال القرن 19..... 72
- ت-تأثر المغاربة بالنمط الاستهلاكي الأوروبي:..... 82
- II -موضوع التغذية في النظريات الأنثروبولوجية 84
- II-1الأنثروبولوجيا والرؤية الوظيفية للتغذية :..... 85
- II-2 التغذية في الأنثروبولوجيا الأمبريقية : 86
- II-3التغذية في الأنثروبولوجيا الثقافية : 87

88.....	II-4 المنظور البنيوي للتغذية :
91.....	III-التغذية من خلال النظريات السوسيولوجية المعاصرة
91.....	III-1 الاستهلاك التفاعلي
92.....	III-2 مفهوم التميز والتراتبية الاستهلاكية.....
94.....	III-3 موضوع التغذية وإعادة قراءة المجتمع....
95.....	III-4 موضوع التغذية قراءات متعددة.....
96.....	III-5 أطروحة الطبخ الفوضوي ونقاشاته

الفصل الثالث: الغذاء بين التعبير الثقافي ودينامية التنظيم الاجتماعي

101.....	I -الغذاء وأشكال التعبير الثقافي
101.....	1 الغذاء والتعبير الطقوسي
101	أ - الطقس مقاربات تعريفية.....
102.....	ب-العادات الغذائية: من الطقس الديني إلى الطقس الاحتفالي.....
103.....	-2التغذية والتعبير عن الهوية.....
104.....	أ-غذاء الهوية
106.....	ب-الأطباق الوطنية ودورها في التعبير عن الهوية.....
106.....	ت-العادات الغذائية عند المهاجرين والبحث عن الهوية.....
107.....	I-3التغذية والقيم الثقافية.....
107.....	أ- الطعام بوصفه رمزا ولغة.....
109.....	ب-الثقافة الغذائية رافد للثقافية.....
110.....	ت-الطعام والجنس والجسد
112.....	ث-النموذج الغذائي والقيم الثقافية.....
114.....	II -المقاربة الاجتماعية للظاهرة الغذائية:

115.....	1-II التغذية ودينامية العلاقات الاجتماعية
116.....	2-II التغذية ودينامية النوع
118.....	أ- الطعام وعلاقات النوع والسلطة
118.....	ب- الطعام والجنس والجسد
119.....	3-II التغذية والطبقات الاجتماعية
119.....	أ- التغذية والتمايز الاجتماعي
121.....	ب- التغذية والانتماء الاجتماعي
121	ت- العادات الغذائية والفئات الاجتماعية
122.....	ث- الوظائف الاجتماعية للنماذج الغذائية

القسم الثاني: البحث الميداني

دراسة التحولات الغذائية بالريف الشرقي حالة -مدينة الناظور-

126.....	الفصل الأول: الإطار المنهجي
127.....	I - المجال الجغرافي للبحث
130.....	II- الدراسة الميدانية والتقنيات المنهجية
132.....	1- أهمية الدراسة الميدانية في البحث السوسولوجي
133.....	2- الخطة المنهجية للبحث:

2-1 المنهج الكيفي

أ- المقابلة نصف موجهة ودواعي استخدامها:

ب- العينة: حجمها وشروط تحديدها

ت- نوعية أفراد العينة

ث- تقنية الملاحظة بالمشاركة

2- المنهج الكمي

- أ- الاستمارة في البحث السوسيولوجي:
- ب- مجتمع البحث والعينة:
- ت- بنية الاستمارة ومحاورها:
- ث- معطيات وبيانات من مصادر بحثية أخرى:
- ج- تحليل المعطيات

III - تجربة البحث الميداني

- 1- صعوبات البحث
- 2- أخلاقيات البحث:

الفصل الثاني: التراث الغذائي بمدينة الناظور وصف وتحليل

I- مكونات وبنية النظام الغذائي بالريف الشرقي: حالة مدينة الناظور

1- الأغذية من أصل نباتي: 153

- أ- الشعير والقمح ومواد أخرى لصناعة الخبز ومشتقاته: 154
- ب- خضر وفواكه وثمار 156

2- بنية ومضمون النظام الغذائي بالريف : نظام الوجبات الخمس 157

- أ- الفطور: وجبة مكررة 158
- ب- وجبة الغداء 160
- ت- وجبة العشاء: أساس اليوم الغذائي 164
- ث - جرد أهم الأطباق التراثية بالريف الشرقي: 165
- ج- الأشربة: 166
- ح- اللحم والحضور الاحتفالي: 167

3- الفعل الغذائي والمحددات الزمكانية 168

- أ- فضاءات الأكل 168
- ب -توقيت الوجبات 168

ت الوجبات الموسمية: لكل فصل غذاءه.....	171
II - العادات الغذائية في المناسبات الدنيوية و الدينية:	
1- العادات الغذائية في المناسبات الدنيوية.....	173
أ -العرس: الغذاء الاحتفالي.....	173
ب- وليمة العقيقة: غذاء وظيفي.....	174
ت -الوفاة: جداد غذائي.....	176
2-العادات الغذائية في المناسبات الديني.....	176
أ - عيد الفطر:.....	177
ب -عيد الأضحى	178
ت- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.....	178
III -ادخار الغذاء : تجميع الوفرة وتدبير الندرة.....	
1-المطبخ الفضاء والمحتوى :	179
2-أدوات ومواعين تحضير الاطعمة.....	184
3- التقنيات المطبخية لتخزين الطعام.....	185
4- الأغذية البديلة في أوقات الشدة :.....	191
5-المحرمات الغذائية للمجتمع بين الثقافة والدين.....	193

الفصل الثالث: التحولات الماكروسيولوجية وتأثيرها في تجديد النمط الاستهلاكي الغذائي بالناظور

I-الهجرة الدولية بالريف الشرقي.....	194
1- الهجرة نحو الجزائر منذ نهاية القرن 19.....	194
أ- الهجرة شرقا أو هجرة البحث عن الغذاء.....	194
ب- من العمل الفلاحي إلى العمل المأجور:	196
2 - الهجرة في اتجاه الدول الأوروبية: من الأرض إلى النقد.....	197
أ- التأثيرات الاقتصادية للهجرة.....	198

201.....	ب- التأثيرات الاجتماعية للهجرة
II-تحولات البنية الاقتصادية بإقليم الناظور-	
203.....	
203.....	1 - المرتكزات التاريخية لاقتصاد المنطقة
203.....	أ- ما قبل الاستقلال
204.....	ب- العلاقات التاريخية والتجارية مع مليلية
206.....	ت - مرحلة ما بعد الاستقلال:
207.....	2- تطور البنية الاقتصادية بإقليم الناظور
209.....	أ-مرتكزات جديدة لبنية الأنشطة الاقتصادية:
211.....	ب-التطور النوعي للأنشطة الاقتصادية والتجارية:
212.....	III-التمدن بالريف الشرقي : تحولات المجال والقيم
212.....	1- لمحة تاريخية عن مراحل التمدن بإقليم الناظور
212.....	أ- المرحلة الاستعمارية
213.....	ب- التحولات السوسيو-ديموغرافية ما بعد الاستقلال
214.....	النمو الديمغرافي مرحلة الاستقلال:
215.....	2-عوامل تحول الساكنة القروية
215.....	أ- العامل الطبيعي:
216.....	ب- انتشار ظاهرة التحضر:
217.....	التهيئة العمرانية بالناظور
218.....	IVتحولات الفضاء الاجتماعي الغذائي بالناظور-
218.....	1-تحولات البنية العقارية بالناظور وإنتاج الممارسات الغذائية بالفضاء العام
220.....	أ-السكن الريفي التقليدي : مورفولوجية الأمن والاكتفاء الغذائي
221.....	ب-السكن الريفي التقليدي: بنية الاكتفاء الغذائي
224.....	ت-البنية العقارية الغذائية: من إنتاج الغذاء إلى استهلاكه
228.....	2-دراسة دينامية تحولات الأسواق الأسبوعية بالناظور : ملاحظات واستنتاجات

أ- السوق الاسبوعي بالريف الشرقي: المؤسسة والوظائف.....	228
ب-التمركز المجالي للأسواق التقليدية بالريف الشرقي	228
ت -تحولات بنية الأسواق التقليدية	230
ج -السوق فضاء للممارسات الغذائية.....	232

الفصل الرابع: السلوكات والممارسات الغذائية المستجدة بالناظور

I-عرض نتائج البحث الميداني واختبار الفرضيات:	241
المحور الأول: صفات عينة البحث	241
المحور الثاني: اختبار الفرضيات.....	250
II-خلاصات واستنتاجات:	304
1-خلاصات المقابلة : حول التراث الغذائي بالناظور.....	304
2-خلاصات عامة	309
خاتمة عامة:.....	319
الملاحق.....	320
لائحة المراجع باللغة العربية.....	216
لائحة المراجع باللغة الفرنسية والإنجليزية.....	244
قوائم الرسوم البيانية والجداول.....	251